القتال الروحي

لورينزو سيبولي

القتال الروحي

لورينزو سكوبولي

جدول المحتويات

الفصل |
من جوهر الكمال المسيحي
من متطلبات النضال لبلوغها
ومن الأشياء الأربعة الضرورية في هذا الصراع

الفصل 1
عدم الثقة بالنفس

الفصل
الثاني في الثقة

الفصل الرابع
كيف يمكن للإنسان أن يعرف هل هو نشيط في عدم الثقة بالنفس والثقة بالله

الفصل الخامس
عن خطأ الكثيرين الذين يظنون أن قصور القلب فضيلة

الفصل السادس
مزيد من التوجيهات حول كيفية تحقيق عدم الثقة بالنفس والثقة في الله

الفصل السادس
من التمارين الروحية، وأولها من ممارسة الفهم، التي يجب أن تبقى حذرة ضد الجهل والفضول.

الفصل السابع
حول العوائق التي تحول دون التمييز الصحيح للأشياء، والطريقة التي يجب اتباعها لفهمها بشكل صحيح

الفصل التاسع

خطر آخر يجب الحذر منه حتى يتمكن من ممارسة التمييز الحقيقي

الفصل العاشر
ممارسة الإرادة، والغاية التي يجب أن تتجه إليها جميع أفعالنا، سواء كانت داخلية أو خارجية

الفصل الحادي عشر
من بعض الاعتبارات التي قد تبعث على الإرادة السعي إلى إرضاء الله في كل شيء

الفصل الحادي عشر
من تنوع الإرادات في الإنسان، والحرب بينهما

الفصل الثاني عشر
عن طريقة مقاومة دوافع الحس، وعن الأفعال التي تقوم بها الإرادة لاكتساب عادات الفضيلة

الفصل الرابع عشر
ما الذي يجب فعله عندما يبدو أن الإرادة العليا قد تم خنقها بالكامل وتغلبت عليها الإرادة المؤقتة والأعداء الآخرون؟

الفصل الخامس عشر
بعض النصائح تتعلق بطريقة هذه الحرب، وخاصة ضد من، وبأي قرار يجب شنها

الفصل السادس عشر
بأية طريقة يجب أن يذهب جندي المسيح إلى الميدان في الصباح الباكر؟

الفصل السابع عشر
الترتيب الذي يجب مراعاته في الصراع مع عواطفنا الشريرة

الفصل السابع عشر
عن الطريق لمقاومة النبضات المفاجئة للعواطف

الفصل التاسع عشر

عن طريق مقاومة خطايا الجسد

الفصل العشرون
كيفية محاربة الكسل

الفصل الحادي والعشرون
تنظيم الحواس الخارجية وكيفية الانتقال منها إلى تأمل الألوهية

الفصل الثاني والعشرون
"كيف تكون الأشياء واحدة لنا" وسيلة لتنظيم حواسنا، وتقودنا إلى التأمل في الكلمة المتجسد في أسرار حياته وآلامه

الفصل الثاني والعشرون
وبعض الوسائل الأخرى التي يمكننا من خلالها تنظيم حواسنا وفقًا للمناسبات المختلفة التي تظهر

الفصل الرابع والعشرون
من طريقة حكم اللسان

الفصل الخامس والعشرون
أنه، لكي يحارب جندي المسيح بنجاح ضد أعدائه، يجب عليه أن يتجنب قدر الإمكان كل اضطراب واضطرابات ذهنية.

الفصل السادس والعشرون
ماذا يجب أن نفعل عندما نجرح؟

الفصل السابع والعشرون
من الوسائل التي يستخدمها الشيطان لمهاجمة وخداع أولئك الذين يرغبون في تسليم أنفسهم لممارسة الفضيلة، وأولئك الذين وقعوا بالفعل في عبودية الخطية

الفصل السابع والعشرون
من اعتداءات الشيطان ومكائده على الذين يستعبدهم في عبودية الخطية

الفصل التاسع والعشرون
من بين الفنون والحيل التي يستخدمها في عبودية الخطيئة، فإن أولئك الذين يعرفون بؤسهم، سيرغبون في أن يكونوا أحراراً؛ وكيف أن قراراتنا غالبًا ما تكون غير فعالة

الفصل الثلاثون
من ضلال الذين يتصورون أنهم يسيرون نحو الكمال

الفصل الحادي والثلاثون
من اعتداءات الشيطان وحيله ليبعدنا عن طريق القداسة

الفصل الثاني والثلاثون
من ما ورد أعلاه الهجوم الأخير والحيلة التي يسعى الشيطان من خلالها إلى جعل الفضائل التي اكتسبناها مناسبة لخرابنا

الفصل الحادي والثلاثون
بعض النصائح حول التغلب على الأهواء الشريرة واكتساب الفضيلة

الفصل الرابع والثلاثون
يجب أن نكتسب الفضائل تدريجيًا من خلال تدريب أنفسنا بدرجاتها المختلفة، وتوجيه انتباهنا أولاً إلى واحدة ثم إلى أخرى.

الفصل الخامس والثلاثون
عن الوسائل التي يتم بها اكتساب الفضائل، وكيف يجب أن نستخدمها بعد ذلك حتى نهتم لفترة طويلة بفضيلة واحدة فقط

الفصل السادس والثلاثون
أنه في ممارسة الفضيلة يجب علينا أن نتقدم بيقظة متواصلة

الفصل السابع والثلاثون

أنه كما يجب علينا أن نستمر دائمًا في ممارسة كل الفضائل، كذلك يجب ألا نتجنب أي فرصة تتيح تحقيقها.

الفصل الثامن والثلاثون
أن نقدر تقديرًا عاليًا جميع فرص النضال من أجل اكتساب الفضائل، وخاصة تلك التي تمثل أكبر الصعوبات

الفصل التاسع والثلاثون
كيف نستفيد من المناسبات المختلفة لممارسة فضيلة واحدة؟

الفصل الأربعون
الوقت الذي يجب أن نخصصه لممارسة كل فضيلة، وعلامات تقدمنا

الفصل الحادي والأربعون
أنه يجب ألا نستسلم لرغبة الخلاص من التجارب التي نتحملها بصبر، وكيف علينا أن ننظم كل رغباتنا حتى نتقدم في القداسة

الفصل الثاني والأربعون
كيف نقاوم الشيطان عندما يسعى إلى خداعنا بالغيرة الطائشة؟

الفصل الثالث والأربعون
عن تجربة إصدار أحكام متهورة على قريبنا، الناشئة عن تحريض الشيطان وقوة ميولنا الشريرة، وعن طريقة مقاومة هذا الإغراء

الفصل الرابع
والأربعون في

الفصل الخامس
والأربعون الصلاة

الفصل السادس والأربعون

تأمل

الفصل السابع والأربعون
طريقة أخرى للتأمل

الفصل الثامن والأربعون
طريقة صلاة مبنية على شفاعة السيدة العذراء

الفصل التاسع والأربعون
بعض الاعتبارات لحث الثقة في مساعدة العذراء المباركة

الفصل ل
طريقة التأمل والصلاة التي تنطوي على شفاعة القديسين والملائكة

الفصل لي
التأمل في آلام المسيح والمشاعر المستمدة من التأمل فيها

الفصل ليل
الفوائد المستمدة من التأملات في الصليب والتقليد بفضيلة المسيح المصلوب

الفصل الثامن
فيما يتعلق بسر الإفخارستيا الأقدس

الفصل الرابع
الطريقة التي يجب أن نتناول بها القربان المقدس

الفصل الخامس
الاستعداد للمناولة ودور الافخارستيا في إثارة محبة الله فينا

الفصل السادس
بخصوص الشركة الروحية

الفصل الثامن عشر
بخصوص عيد الشكر

الفصل الثامن عشر
تقديم النفس لله

الفصل التاسع
في الإخلاص المعقول والجفاف

الفصل العاشر
فيما يتعلق بفحص الضمير

الفصل الحادي والستون
بخصوص الطريقة التي يجب أن نثابر بها على الجهاد الروحي حتى الموت

الفصل الثاني والستون
وفي استعدادنا ضد الأعداء الذين يهاجموننا ساعة الموت

الفصل الثالث والستون
في غزوات العدو الأربعة عند ساعة الموت. الاعتداء الأول على الإيمان وكيفية مقاومته

الفصل الرابع والعشرون
في غزوات العدو الأربعة عند ساعة الموت. الهجوم الثاني لليأس وعلاجه

الفصل الخامس والستون
في غزوات العدو الأربعة عند ساعة الموت. الهجوم الثالث من إغراء Vainglory

الفصل السادس والستون
في غزوات العدو الأربعة عند ساعة الموت. الهجوم الرابع للأوهام المختلفة التي يستخدمها الشيطان ساعة الموت

دراسة عن سلام النفس والسعادة الداخلية للنفس التي تموت عن ذاتها
لكي تحيا من أجل الله

الفصل
طبيعة قلب الإنسان وكيفية إدارته

الفصل | الثاني
الحرص الذي يجب أن تمارسه النفس في الحصول على السكينة الكاملة

الفصل الثاني
ضرورة بناء هذا المسكن السلمي بالتدريج

الفصل الرابع
ضرورة التخلي عن العزاء الإنساني في الحصول على السلام الداخلي

الفصل الخامس
ضرورة إبقاء النفس منعزلة ووحيدة حتى تعمل إرادة الله المقدسة فيها

الفصل السادس
ضرورة أن تسترشد محبتنا للقريب بالحكمة حتى لا يتزعزع صفاء النفس

الفصل السادس
ضرورة تجريد نفوسنا بالكامل من إرادتها حتى تتقدم إلى الله

الفصل السابع
وعن إيماننا بالسر المقدس، والطريقة التي بها نقدم أنفسنا لله

الفصل التاسع

السعادة الحقيقية لا توجد في المتعة أو الراحة، بل في الله وحده

الفصل العاشر

- ضرورة عدم الاستسلام للعوائق والاشمئزاز الذي نجده في الحصول على هذا السلام الداخلي

الفصل الحادي عشر

عن حيل الشيطان لتدمير سلام نفوسنا وكيفية مكافحتها

الفصل الحادي عشر

ضرورة المحافظة على اتزان النفس وسط التجارب الداخلية

الفصل الحادي عشر

يسمح الله بالتجارب من أجل خيرنا النهائي

الفصل الرابع عشر

أسلوب السلوك الذي يجب أن نعتمده فيما يتعلق بأخطائنا

الفصل الخامس عشر

يجب على الروح أن تؤلف نفسها دون ضياع الوقت وتحرز تقدمًا مطرداً

الفصل |

من جوهر الكمال المسيحي

من متطلبات النضال لبلوغها

ومن الأشياء الأربعة الضرورية في هذا الصراع

هل تبلغ في المسيح ذروة الكمال، وبالإقتراب أكثر فأكثر من الله تصير روحًا واحدًا معه؟ قبل الشروع في هذه أعظم وأنبل المشاريع التي يمكن تصورها، يجب عليك أولاً أن تتعلم ما يشكل الحياة الروحية الحقيقية والكاملة.

لأن الكثيرين جعلوه يتألف حصريًا من التقشف، ونقع الجسد، وقمصان الشعر، والتأديب، والسهرات الطويلة والصيام، وغيرها من المصاعب الجسدية والتكفير عن الذنب. ويتخيل آخرون، وخاصة النساء، أنهم قد أحرزوا تقدمًا كبيرًا في هذا الصدد، إذا صلوا كثيرًا من الصلوات الصوتية، واستمعوا إلى العديد من القداسات والمراسيم الطويلة، وترددوا على العديد من الكنائس، واستقبلوا العديد من المناولة. والبعض الآخر (وأولئك أحيانًا بين المتدينين المنعزلين) مقتنعون بأن الكمال يعتمد كليًا على الحضور الدقيق في الجوقة، وعلى الصمت، والعزلة، والانتظام. وهكذا فإن البعض في هؤلاء، والبعض الآخر في أعمال مختلفة مماثلة، يظنون أنه يمكن وضع أسس الكمال.

لكن الأمر ليس كذلك بالفعل؛ لأنه بما أن بعض هذه الأشياء هي وسائل لاكتساب النعمة، والبعض الآخر ثمار النعمة، فلا يمكن اعتبارها تشكل الكمال المسيحي وحياة النعمة الحقيقية. إنها بلا شك أقوى وسيلة، في أيدي أولئك الذين يستخدمونها بشكل جيد وتكتم، لاكتساب النعمة من أجل اكتساب القوة والنشاط ضد خطيئتهم وضعفهم، والدفاع عن أنفسهم ضد أعدائنا المشتركين، وتزويد كل تلك المساعدات الروحية الضرورية لجميع خدام الله، وخاصة للمبتدئين في الحياة الروحية. وأيضًا هي ثمار نعمة في الأشخاص الروحيين حقًا، الذين يؤدبون الجسد لأنه أهان خالقه، ولكي يبقيه متضعًا وخاضعًا في خدمته.

الذين يصمتون ويعيشون منعزلين لكي يتجنبوا أدنى إهانة لربهم، ويتحدثوا مع السماء؛ الذين يحضرون العبادة الإلهية، ويبذلون أنفسهم لأعمال التقوى؛ الذين يصلون ويتأملون في حياة ربنا وآلامه، ليس من باب الفضول أو المتعة المعقولة، ولكن لكي يعرفوا بشكل أفضل وأعمق خطيئتهم، ويشعل صلاح الله ورحمته

وتتزايد في قلوبهم محبة الله وكراهية أنفسهم، متبعين ابن الله والصليب على أكتافهم في طريق نكران الذات؛ الذين يترددون على الأسرار المقدسة، لمجد جلالته الإلهي، ليتحدوا أكثر مع الله، ويكتسبوا قوة جديدة ضد أعدائه.

لكن هذه الأعمال الخارجية، رغم أنها كلها مقدسة في حد ذاتها، قد تكون بسبب خطأ أولئك الذين يستخدمونها كأساس لبنائهم الروحي، سببًا للدمار أكثر فتكًا من الخطايا العلنية.
مثل هؤلاء الأشخاص يتركون قلوبهم غير محروسة لرحمة ميولهم الخاصة، ومعرضين لخداع الشيطان الكامن، الذي، عندما يراهم خارج الطريق المباشر، لا يسمح لهم بمواصلة هذه التدريبات بارتياح فحسب، بل يقودهم في خيالهم الباطل إلى الاستمتاع بمباهج الفردوس، ويتخيلون أنفسهم أنهم سيرتفعون عاليًا وسط الجوقة الملائكية ويشعرون بالله في داخلهم. أحيانًا يجدون أنفسهم مستغرقين في تأملات سامية أو غامضة ومنتشية، وينسون العالم وكل ما يحتويه، ويعتقدون أنهم قد اختطفوا إلى السماء الثالثة.

لكن حياة هؤلاء الأشخاص وأحاديثهم تثبت عمق الوهم الذي وقعوا فيه، وابتعادهم الكبير عن الكمال الذي نبحث عنه؛ لأنهم في كل شيء، كبيرها وصغيرها، يرغبون في أن يكونوا مفضلين وموضعين فوق الآخرين؛ إنهم متمسكون برأيهم، وعنيدون في إرادتهم؛ وهم عميان عن أخطائهم، فهم مشغولون ومجتهدون بمراقبة ونقد أفعال الآخرين وأقوالهم.

ولكن عندما تلمس فقط بإصبعك نقطة شرفهم، وهو التقدير الباطل الذي يعتبرون أنفسهم فيه ويطلبون من الآخرين أن يمسكوهم، فإن ذلك يقاطع عباداتهم النمطية، فيشعرون بالانزعاج والإهانة إلى أبعد الحدود.

وإذا أرسل الله القدير المرض أو الحزن أو الاضطهاد، لإعادتهم إلى المعرفة الحقيقية لأنفسهم وطريق الكمال (هذا محك ولاء عبيده، الذي لا يصيبهم أبدًا بدون إذنه أو أمره)، فسيتم اكتشاف الأساس غير المستقر لصرحهم الروحي، ويتم كشف الجزء الداخلي منه، الذي تآكل بالكامل وشوه بالكبرياء؛ لأنهم يرفضون الاستسلام لإرادة الله، والخضوع لإرادة الله دائمًا

أحكام عادلة رغم أنها غامضة، في جميع الأحداث، سواء كانت بهيجة أو حزينة، التي قد تصيبهم؛ ولن يفعلوا ذلك بعد
مثال ابنه الإلهي في آلامه وتواضعه، ويضعون أنفسهم تحت كل المخلوقات، ويحسبون مضطهديهم كأصدقاء محبوبين، وأدوات لصلاح الله، ومتعاونين معه في إماتة نفوسهم، وكمالها، وخلاصها.

ومن ثم فمن المؤكد أن هؤلاء الأشخاص في خطر جسيم؛ فإنهم إذ تظلم عينهم الداخلية التي يتأملون بها أنفسهم وأعمالهم الخارجية الحسنة، ينسبون لأنفسهم درجة عالية جداً من الكمال؛ ومن ثم ينتفخون بالكبرياء فيصدرون أحكامًا على الآخرين، في حين أن هناك حاجة إلى درجة غير عادية جداً من نعمة الله المساعدة لتغيير أنفسهم.

لأن الخاطئ الصريح يتحول ويستعيد إلى الله بسهولة أكبر من الرجل الذي يكفن نفسه تحت عباءة الفضيلة الظاهرية.
إذن ترى بكل وضوح، كما قلت، أن الحياة الروحية لا تتكون من هذه الأشياء.
إنها لا تتكون إلا من معرفة صلاح الله وعظمته، وعدمنا وميلنا إلى كل شر؛ في محبته وكراهية أنفسنا، في خضوع، ليس له وحده، بل حبًا له، لجميع مخلوقاته؛ في التخلي الكامل عن كل إرادتنا والاستسلام المطلق لكل مسراته الإلهية؛ علاوة على ذلك، الاستعداد والقيام بكل هذا من أجل مجد الله فقط وإرضائه فقط، ولأنه يريد ذلك ويستحق أن يُحب ويُخدم.

هذه هي شريعة المحبة التي طبعتها يد الرب نفسه على قلوب عباده المؤمنين. هذا هو نكران الذات الذي يطلبه منا. هذا هو نيره الحلو وحمله الخفيف. هذه هي الطاعة التي يدعونا إليها سيدنا وفادينا بصوته ومثاله. في التطلع إلى مثل هذا الكمال السامي لك

سيتعين عليك أن تمارس العنف المستمر على نفسك من خلال الصراع السخي مع إرادتك في كل شيء، كبيراً كان أم صغيراً، حتى يتم القضاء عليه تمامًا؛ لذلك يجب أن تعد نفسك للمعركة بكل استعداد ذهني؛ لأنه لن يحصل على التاج سوى المحاربين الشجعان.

وهذا في الواقع أصعب النضالات؛ لأنه بينما نحن نحارب أنفسنا، فإن النفس تحاربنا، ولذلك فإن النصرة هنا هي أعظم وأثمن في نظر الله. لأنه إذا كنت سوف تضع نفسك

أن تدوس وتبيد كل شهواتك ورغباتك الجامحة، حتى في أصغر الأمور وأكثرها تافهًا، فسوف تقدم خدمة أعظم وأكثر قبولاً لله مما لو كنت مضطرًا إلى ضبط نفسك على الدم، أو الصوم بشكل أكثر صرامة من النساك أو النساك القدامى، أو تحويل ملايين النفوس، ومع ذلك تترك حتى واحدًا من هذه الشرور حيًا في داخلك طوعًا. لأنه على الرغم من أن اهتداء النفوس هو بلا شك أثمن عند الرب من إماتة الهوى، إلا أنه لا شيء يجب أن يكون في نظركم أعظم من الإرادة والقيام بنفس الشيء الذي يطلبه الرب منك ويطلبه منك بشكل خاص. ومن المؤكد أنه سيكون مسرورًا بشكل أفضل إذا سهرت واجتهدت لإماتة أهوائك، بدلاً من أن تترك بوعي وعمد واحدًا حيًا بداخلك، وخدمته في أمر آخر له أهمية أكبر في حد ذاته.

والآن بعد أن رأيت أين يتكون الكمال المسيحي، وأنه يتطلب حربًا حادة متواصلة ضد الذات، عليك أن تزود نفسك بأربعة أسلحة أكيدة وضرورية، لكي تؤمن الكف وتفوز في هذا القتال الروحي. هؤلاء

نكون:

عدم الثقة بالنفس (الثقة بأنفسنا)؛

الثقة بالله (الثقة بالله)؛

يمارس؛ و

الصلاة.

وسنتناول كل هذه الأمور، بعون الله، بإيجاز وصراحة.

الفصل الثاني
عدم الثقة في النفس (الخلاف)

من الضروري جداً عدم الثقة بالنفس في هذا الصراع، بحيث بدونه لن تكون قادراً، أقول ليس على تحقيق النصر المنشود، ولكن حتى على التغلب على أقل قدر من عواطفك. ولينعكس هذا جيداً في ذهنك؛ لأن طبيعتنا الفاسدة تدفعنا بسهولة إلى تقدير خاطئ لأنفسنا؛ بحيث أننا، كوننا لا شيء حقًا، نحسب أنفسنا شيئًا، ونفترض، دون أدنى أساس، على قوتنا الخاصة.

وهذا خطأ ليس من السهل علينا أن ندركه، ولكنه مزعج للغاية في نظر الله. لأنه يريد ويحب أن يرى فينا اعترافًا صريحًا وحقيقيًا بهذه الحقيقة الأكيدة، وهي أن كل الفضيلة والنعمة التي فينا مستمدة منه وحده، وهو ينبوع كل خير، وأنه لا يمكن أن يصدر منا شيء صالح، ولا حتى فكرة يمكن أن تجد القبول في عينيه.

وعلى الرغم من أن عدم الثقة بالنفس المهم جداً هذا هو في حد ذاته عمل يده الإلهية، وقد مُنح لمحبوبه، تارة عن طريق الإلهامات المقدسة، وتارة عن طريق التأديبات القاسية والإغراءات العنيفة التي لا تقاوم تقريبًا، وبوسائل أخرى لا نفهمها نحن أنفسنا؛ ولا تزال إرادته هي أننا من جانبنا يجب أن نبذل كل ما في وسعنا لتحقيق ذلك. لذلك أضع أمامك أربع طرق، يمكنك من خلالها، بالاعتماد دائمًا على النعمة الإلهية، أن تحصل على هذه العطية.

الأول هو أن تعرف وتضع في اعتبارك دناءتك و العدم، وعدم قدرتك على فعل أي خير، والذي به تستحق الدخول إلى ملكوت السماوات.
والثاني، أن نطلبها من الرب باستمرار في صلاة حارة ومتواضعة. لأنها هديته. ولكي نصل إلى تحقيقها، يجب علينا أن ننظر إلى أنفسنا ليس فقط باعتبارنا محرومين منها، بل باعتبارنا أنفسنا غير قادرين على الحصول عليها. لذلك، قدم نفسك باستمرار أمام الجلالة الإلهية، بإيمان مؤكد أنه مستعد من صلاحه العظيم أن يستجيب لطلبك؛ انتظر بصبر طوال الوقت الذي تعينه عنايتك، وبلا شك سوف تحصل عليه.

والثالث هو أن تقف خائفًا من حكمك على نفسك، ومن ميلك الشديد إلى الخطيئة، ومن أعداد لا حصر لها من الأعداء الذين لا تستطيع أن تقاومهم بأقل قدر.

عن ممارستهم الطويلة في الحرب المفتوحة والحيل السرية، وعن تحولاتهم إلى ملائكة نور، وعن الفنون والتحديقات التي لا حصر لها والتي ينشرونها لنا سراً حتى في طريق القداسة ذاته.

والرابع هو، عندما يلحق بك أي خطأ، أن تنظر بعمق أكبر إلى نفسك، وتشعر بوضوح أكبر بضعفك المطلق والمطلق؛ لأنه من أجل هذه الغاية سمح الله بسقوطك، حتى أنه، بعد أن حذرك بوحيه واستنير بنور أكثر وضوحًا من ذي قبل، يمكنك أن تعرف نفسك، وتتعلم أن تحتقر نفسك كشيء حقير للغاية، وبالتالي تكون أيضًا على استعداد لأن يحسبك الآخرون ويحتقرونك. لأنه بدون هذه الرغبة لا يمكن أن يكون هناك عدم ثقة مقدسة بالنفس، والتي تقوم على التواضع الحقيقي ومعرفة الذات التجريبية.

من الواضح أن معرفة الذات هذه ضرورية لكل من يرغب في الاتحاد بالنور الأسمى والحقيقة غير المخلوقة؛ وكثيراً ما تستغل الرأفة الإلهية سقوط المتكبرين والمتغطرسين لتقودهم إليها؛ وتحملهم بحق للوقوع في بعض الأخطاء التي كانوا يثقون في تجنبها بقوتهم الخاصة، حتى يتعلموا أن يعرفوها ولا يثقوا بأنفسهم مطلقًا.

ومع ذلك، فإن ربنا لا يستخدم هذه الطريقة القاسية حتى تفشل تلك الوسائل الأكثر نعمة التي تحدثنا عنها سابقًا في تحقيق العلاج الذي صممته رحمته الإلهية. فهو يسمح للإنسان بالسقوط بعمق أكبر أو أقل بما يتناسب مع كبريائه واحترامه لذاته؛ بحيث أنه لو لم تكن هناك قرينة (كما في حالة السيدة العذراء مريم)، فلن يكون هناك سقوط.

لذلك، كلما سقطت، لجأ فوراً إلى معرفة الذات المتواضعة، واطلب من الرب بإلحاح أن يمنحك النور لتعرف نفسك حقًا، وعدم الثقة الكاملة في نفسك، لئلا تسقط مرة أخرى، ربما في هلاك أعمق.

الفصل الثالث

الثقة بالله (الثقة)

إن انعدام الثقة بالنفس، وهو أمر ضروري كما أظهرنا في هذا الصراع، ليس كافيا وحده. وما لم نتعرض للقتال، أو نبقى عاجزين ومهزومين في أيدي أعدائنا، فيجب أن نضيف إليها الثقة الكاملة في الله، ونتوقع منه وحده العون والنصر. لأننا، نحن الذين لسنا شيئًا، لا نستطيع أن ننتظر شيئًا من أنفسنا إلا أن نسقط، ولذلك ينبغي علينا أن لا نثق في أنفسنا تمامًا؛ لذلك نرجو من ربنا أن نتوقع بالتأكيد النصر الكامل في كل صراع. ولكي نحصل على معونته، دعونا نتسلح بثقة حية فيه.

ويمكن تحقيق ذلك أيضًا بأربع طرق:

أولاً: أن تطلب ذلك من الله.

ثانيًا، بالنظر بعين الإيمان إلى حكمة الله المطلقة وقدرته المطلقة، التي لا يوجد شيء مستحيل أو صعب أمامها، والثقة في صلاحه غير المحدود واستعداده الذي لا يوصف ليعطي، ساعة بساعة ولحظة بلحظة، كل ما تحتاجه الحياة الروحية، والانتصار الكامل على أنفسنا، إذا أردنا أن نرمي أنفسنا بثقة بين ذراعيه. لأنه كيف لراعينا الإلهي، الذي تبع خروفه الضال لمدة ثلاث وثلاثين سنة بصرخات عالية ومريرة عبر ذلك الطريق المؤلم والشائك، الذي سفك فيه دم قلبه وضحى بحياته، كيف يرفض أن يحول نظرته السريعة إلى الخروف الفقير الذي يتبعه الآن في طاعة لأوامره، أو برغبة (رغم أنها ضعيفة وضعيفة في بعض الأحيان) في طاعته! عندما يصرخ إليه بشفقة طلبًا للمساعدة، ألا يسمع، ويضعه على كتفيه الإلهيتين، ويدعو أصدقاءه وجميع ملائكة السماء ليفرحوا معه؟ لأنه إن لم يكف ربنا عن البحث باجتهاد عن الخاطئ الأعمى والأصم، عن دراخما الإنجيل الضائعة، حتى وجده؛ هل يستطيع أن يتخلى عن ذاك الذي، مثل الخروف الضال، يصرخ ويدعو بشفقة إلى راعيه؟ وإذا كان الله يقرع باستمرار على قلب الإنسان، راغبًا في الدخول والعشاء هناك، ونقل عطاياه إليه، فمن يستطيع أن يصدق أنه عندما ينفتح ذلك القلب ويدعوه للدخول، فإنه يصم أذنيه عن الدعوة، ويرفض الدخول؟

ثالثًا، الطريقة الثالثة لاكتساب هذه الثقة المقدسة هي أن نتذكر تلك الحقيقة التي يعلمها الكتاب المقدس بكل وضوح، أنه لم يخز أحد من الناس الذين وضعوا ثقتهم في الله على الإطلاق.

والرابع، الذي سيخدم في الوقت نفسه نحو تحقيق عدم الثقة بالنفس والثقة في الله، هو هذا: عندما يظهر أي واجب للقيام به، أو أي صراع مع الذات، أو محاولة أي انتصار على الذات، قبل أن تقترحه أو تقرره، فكر أولاً في ضعفك؛ المنعطف التالي، المليء بعدم الثقة بالنفس، إلى حكمة الله وقوته وصلاحه؛ وبالاعتماد على ذلك، عزم على العمل والنضال بسخاء. ثم، بهذه الأسلحة بين يديك، وبمساعدة الصلاة (التي سنتحدث عنها في مكانها المناسب)، استعد للعمل والجهاد.

ما لم تلتزم بهذا الترتيب، على الرغم من أنك قد تبدو لنفسك أنك تفعل كل الأشياء بالاعتماد على الله، فستجد نفسك في كثير من الأحيان مخطئًا؛ لأن الثقة بالنفس المتغطرسة شائعة جداً، والأشكال التي تتخذها خفية جداً، لدرجة أنها تكمن دائمًا تقريبًا حتى في ظل عدم ثقة متخيلة في النفس وثقة وهمية في الله.

لكي تتجنب الافتراض قدر الإمكان، ولكي تكون كل أعمالك مبنية على عدم الثقة بالنفس والثقة في الله، يجب أن يسبق النظر في ضعفك النظر في قدرة الله الكلية؛ وكلاهما معًا يجب أن يسبق كل أفعالك.

الفصل الرابع

كيف يمكن للإنسان أن يعرف هل هو نشيط في عدم الثقة بالنفس والثقة بالله

وكثيراً ما يظن العبد المغرور أنه قد اكتسب عدم الثقة بالنفس والثقة بالله عندما يكون الأمر على خلاف ذلك تماماً.

وهذا سوف يتضح لك من خلال التأثير الذي يحدثه السقوط على عقلك. إذا كنت حزينًا ومنزعجًا جداً بسبب ذلك لدرجة أن تميل إلى اليأس من إحراز تقدم أو فعل الخير، فهذه علامة أكيدة على أن ثقتك في نفسك وليس في الله. لأن من لديه قدر كبير من عدم الثقة بالنفس والثقة في الله، لا يشعر بالدهشة ولا باليأس ولا بالمرارة عندما يسقط؛ لأنه يعلم أن هذا نشأ من ضعفه وعدم ثقته بالله. على العكس من ذلك، فإنه يصبح أكثر ارتيابًا في نفسه، وأكثر ثقة في الله بتواضع، ويكره فوق كل شيء خطيئته والأهواء الجامحة التي سببتها، ويندب بحزن هادئ وعميق وصبور على إهانته ضد الله، فإنه يتابع مشروعه، ويتبع أعداءه، حتى الموت، بروح أكثر تصميمًا وشجاعة من ذي قبل.

أود لو أن بعض الأشخاص الذين يُطلق عليهم روحانيين قد أخذوا في الاعتبار هذه الأمور جيداً، والذين لا يستطيعون ولن يشعروا بالراحة عندما يقعون في أي خطأ. إنهم يندفعون إلى أبيهم الروحي، للتخلص من القلق والانزعاج الناجمين عن محبة الذات المجروحة، بدلاً من ذلك الهدف الذي يجب أن يكون هدفهم الرئيسي في البحث عنه، لتطهير أنفسهم من وصمة الخطية، وتحصين أنفسهم ضد قوتها بواسطة سر التوبة الأقدس.

الفصل الخامس

عن خطأ الكثيرين الذين يظنون أن قصور القلب فضيلة

كثيرون أيضًا يخدعون أنفسهم بهذه الطريقة، فيظنون أن الخوف والقلق اللذين يتبعان الخطيئة مشاعر فاضلة؛ ولا تعلموا أن هذه المشاعر المؤلمة تنبع من الكبرياء المجروح، والغرور الذي يعتمد على الثقة في أنفسهم وفي قوتهم. لقد اعتبروا أنفسهم شيئًا ما، واعتمدوا بشكل غير ملائم على سلطاتهم الخاصة. إن سقوطهم يثبت لهم غرور هذا الاعتماد على الذات، فيشعرون على الفور بالانزعاج والدهشة كما لو كانوا قد شاهدوا شيئًا غريبًا، ويشعرون بالإحباط عندما يرون الدعامة التي كانوا يثقون بها تنهار فجأة.

وهذا لا يمكن أن يصيب الإنسان المتواضع الذي يتكل على إلهه وحده، ولا يتعدى على نفسه بشيء. ومع أنه يحزن عندما يقع في خطأ ما، إلا أنه لا يتفاجأ ولا ينزعج؛ لأنه يعلم أن بؤسه وضعفه، اللذين ظهرا بوضوح لنفسه في نور الحق، قد جلبا عليه كل هذا.

وبما أن قوتنا الكاملة لإخضاع أعدائنا تنبع أساسًا من عدم الثقة بالنفس والثقة في الله، فسوف أعطيكم بعض التوجيهات الإضافية لتمكينكم، بالمعونة الإلهية، من الحصول عليها. اعلم إذن، بحقيقة معينة، أنه لا كل المواهب، الطبيعية أو المكتسبة، ولا كل النعم المقدمة مجانًا، ولا معرفة كل الكتب، ولا التدريب الطويل المعتاد في خدمة الله، ستمكننا من فعل مشيئته، إلا في كل عمل صالح ومقبول يجب القيام به، في كل تجربة يجب التغلب عليها، في كل خطر يجب تجنبه، في كل صليب يجب حمله وفقًا لإرادته، قلوبنا تدعم وتدعم بمعونة خاصة منه، وبمساعدة خاصة منه، اليد ممدودة لمساعدتنا. يجب علينا إذن أن نضع هذا في الاعتبار طوال حياتنا، كل يوم، كل ساعة، كل لحظة، حتى لا ننغمس أبدًا في التفكير في الثقة بالنفس.

أما بالنسبة للثقة في الله، فاعلم أنه من السهل عليه أن ينتصر على الكثير من الأعداء كما يسهل على القليل منهم؛ كبار السن وذوي الخبرة مثل الضعفاء والشباب.

لذلك نفترض أن النفس مثقلة بالخطايا، وبها كل خطأ محتمل وكل عيب يمكن تصوره، وأنها حاولت بكل وسيلة ممكنة وكل نوع من الرياضة الروحية، أن تترك الخطية وتمارس القداسة. سنفترض أن هذه النفس قد فعلت كل هذا، ومع ذلك فإنها فشلت في تحقيق أدنى تقدم في القداسة، بل على العكس من ذلك، كانت أكثر ميلاً نحو الشر.

ومن أجل هذا كله يجب ألا تفقد ثقتها في الله، ولا تتخلى عن صراعها الروحي وتضع سلاحها، بل يجب أن تستمر في القتال بحزم، عالمة أنه لا أحد سيهزم في هذا القتال الروحي إلا من يكف عن النضال ويفقد الثقة في الله، الذي لا يخذل جنوده عونه أبدًا، رغم أنه يسمح لهم أحيانًا بالإصابة. واصل القتال إذن ببسالة؛ لأن هذا يعتمد على مسألة الصراع برمتها. لأن هناك علاجًا جاهزًا وفعالاً لجراح جميع المقاتلين الذين يتطلعون بثقة إلى الله ومعونته طلبًا للمساعدة؛ وعندما لا يتوقعون ذلك، سيرون أعداءهم ميتين عند أقدامهم.

الفصل السابع

من التمارين الروحية، وأولها من ممارسة الفهم، التي يجب أن تبقى حذرة ضد الجهل والفضول

إذا لم يتم تزويدنا في هذه الحرب بأسلحة سوى عدم الثقة بالنفس والثقة في الله، فكلاهما ضروريان، فلن نفشل في تحقيق النصر على أنفسنا فحسب، بل سنسقط في شرور كثيرة. لذلك، يجب أن نضيف إلى ذلك استخدام التمارين الروحية، السلاح الثالث المذكور أعلاه.

وتتعلق هذه بشكل رئيسي بالفهم والإرادة.

وأما الفهم فينبغي أن نحترز من أمرين قد يحجبانه.

أحدهما هو الجهل الذي يظلمه ويمنعه من اكتساب معرفة الحقيقة، الموضوع الصحيح للفهم. لذلك يجب أن تكون واضحة ومشرقة بالتمرين، حتى تكون قادرة على رؤية وتمييز بوضوح كل ما هو ضروري لتنقية النفس من الأهواء الفوضوية، وتزيينها بالفضائل المقدسة.

ويمكن الحصول على هذا الضوء بطريقتين. الأول والأهم هو الصلاة، ونطلب من الروح القدس أن يسكبها في قلوبنا. وهذا لن يفشل في فعله إذا كنا بالحقيقة نطلب الله وحده وتحقيق مشيئته المقدسة، وإذا سلمنا حكمنا في كل شيء لحكم أبينا الروحي.

والآخر هو أن ندرب أنفسنا باستمرار على التفكير الحقيقي والعميق في كل الأشياء، لنكتشف ما إذا كانت صالحة أم شريرة حسب تعليم الروح القدس، وليس حسب مظهرها الخارجي، كما تؤثر على الحواس أو يحكم عليها العالم.

إن هذا الاعتبار، إذا مورس بشكل صحيح، سيعلمنا أن نعتبر كل ما يحبه العالم الأعمى والفاسد ويرغب فيه ويسعى إليه، على أنه باطل وغرور. سيُظهر لنا بوضوح أن الكرامة والملذات على الأرض ليست سوى باطل وإزعاج للروح؛ تلك الأذى والعار الذي يلحقه بنا العالم يجلب المجد الحقيقي، ويجلب لنا الرضا في المحن؛ أن العفو عن أعدائنا وإحسانهم هو شهامة حقيقية، وهو عمل يشبهنا كثيراً بالله؛ وأن احتقار العالم أفضل من حكمه؛

وأن الطاعة الطوعية من أجل محبة الله لأبسط مخلوقاته أعظم وأنبل من قيادة الأمراء الأقوياء؛

وأن إماتة وإخضاع شهواتنا التافهة أكثر مجداً من تقليص المدن القوية، أو هزيمة الجيوش الجبارة، أو عمل المعجزات، أو إقامة الموتى.

الفصل السادس

حول العوائق التي تحول دون التمييز الصحيح للأشياء، والطريقة التي يجب اتباعها لفهمها بشكل صحيح

سبب عدم تمييزنا لكل هذه الأشياء وغيرها الكثير هو أننا نتصور الحب أو الكراهية لها من النظرة الأولى. وهكذا يصبح فهمنا مظلمًا، بحيث لا يستطيع الحكم عليها بشكل صحيح.

لئلا تقع في هذا الوهم، خذ كل العناية الممكنة للحفاظ على إرادتك نقية وخالية من العاطفة المفرطة لأي شيء مهما كان.
عندما يُعرض عليك أي شيء، انظر إليه بفهمك؛ وفكروا فيه بشكل ناضج قبل أن تدفعكم الكراهية إلى رفضه، إذا كان شيئًا مخالفًا لميولكم، أو بالحب إلى الرغبة فيه، إذا كان يرضيهم.

لأنه بهذا يكون الفهم، الذي لا تحجبه الأهواء، حرًا وواضحًا، وقادرًا على إدراك الحقيقة، وتمييز الشر الكامن وراء اللذة الخادعة، والخير المحجب تحت مظهر الشر.

ولكن إذا كانت الإرادة أولاً تميل إلى حب أو كراهية أي شيء، فإن الفهم لن يكون قادرًا على ممارسة الحكم الصحيح عليه.
لأن العاطفة التي تطفلت على نفسها تحجب الفهم، لدرجة أنها تنظر إلى الموضوع على أنه مختلف عما هو عليه، ومن خلال تمثيله للإرادة، تؤثر على تلك القدرة، بما يتعارض مع كل قانون وقاعدة العقل، على حبه أو كرهه بشكل مفرط.
يصبح الفهم مظلمًا تدريجيًا أكثر فأكثر، وفي هذا الغموض العميق، يبدو الموضوع أكثر فأكثر مكروهًا أو محببًا للإرادة.

ومن ثم، إذا لم يتم مراعاة هذه القاعدة الأكثر أهمية، فإن هاتين القوتين، الفهم والإرادة، على الرغم من نبلهما وتميزهما، ستغرقان سريعًا في انحدار بائس من الظلمة إلى ظلام أكثر قتامة، ومن الخطأ إلى خطأ أعمق.

احفظ نفسك إذن بكل يقظة من كل عاطفة مفرطة تجاه أي شيء مهما كان، حتى تختبره أولاً بنور الفهم، وبشكل رئيسي بنور النعمة والصلاة، وبحكم أبيك الروحي.

ويجب ملاحظة ذلك بعناية شديدة فيما يتعلق بالأعمال الخارجية الصالحة والمقدسة، لأن الخطر أعظم هنا من

الوهم والطيش.

ومن ثم قد تتلقى هنا ضرراً خطيراً من بعض الظروف في الزمان، أو المكان، أو الدرجة، أو فيما يتعلق بالطاعة؛ كما أثبت ذلك كثيرون ممن تعرضوا لخطر عظيم في أداء الرياضات المقدسة والمحمودة.

خطر آخر يجب الحذر منه حتى يتمكن من ممارسة التمييز الحقيقي

الأمر الثاني الذي يجب أن يُحفظ منه الفهم هو الفضول: لأننا بملئه بالأفكار المؤذية والباطلة والوقحة نعجزه ونعطله عن إدراك ما هو أكثر ما يؤثر على إماتتنا وكمالنا الحقيقيين.

ولتحقيق هذه الغاية، يجب أن تكون كشخص ميت أمام كل تحقيق لا لزوم له حتى في الأمور الأرضية المشروعة.
قم دائمًا بكبح جماح عقلك قدر الإمكان، وأحب أن تبقيه منخفضًا.

لتكن لك أخبار العالم وتغيراته، كبيرة كانت أم صغيرة، كأنها لم تكن؛ وإذا تطفلوا على أنفسهم فارفضهم واطردهم عنك.

كن صاحيًا ومتواضعًا حتى في الرغبة في فهم السماويات، ولا ترغب في معرفة سوى المسيح المصلوب وحياته وموته وما يطلبه منك. اطرح عنك كل الأشياء الأخرى، وبذلك تكون مرضيًا جداً عند الله. لأنه يحب ويسعد أولئك الذين يريدونه ويطلبونه وحدهم تلك الأشياء التي تخدم محبة صلاحه الإلهي وكمال مشيئته.

سوف. وكل الطلبات والاستفسارات الأخرى تنتمي إلى حب الذات والكبرياء وفخاخ الشيطان.
باتباعك لهذه التعليمات ستتجنب العديد من المخاطر؛ لأن الحية الماكرة عندما ترى أن إرادة الذين يهدفون إلى الحياة الروحية أن تكون قوية وحازمة، تهاجم فهمهم، حتى يتمكن من السيطرة على الأول والآخر.

لذلك، غالبًا ما يبث في أذهانهم تأملات سامية وفضولية، خاصة إذا كانوا من ذوي الرتب الفكرية الحادة، ويسهل نفخهم بالكبرياء؛ وهو يفعل هذا لكي ينشغلوا بالتمتع بمثل هذه المواضيع ومناقشتها، حيث يستمتعون بالله، بينما يقنعون أنفسهم كذبًا، وفي الوقت نفسه يهملون تطهير قلوبهم وتطبيق أنفسهم على معرفة الذات والإماتة الحقيقية. لذلك، إذ يقعون في فخ الكبرياء، يصنعون صنمًا لأذهانهم.

ومن ثم، لأنهم اعتادوا بالفعل على اللجوء في جميع الظروف إلى حكمهم الخاص، فإنهم يأتون تدريجياً

الاعتقاد بشكل غير محسوس أنهم لا يحتاجون إلى نصيحة أو سيطرة من الآخرين.

هذه حالة خطيرة جداً، ومن الصعب جداً علاجها، حيث أن كبرياء الفهم أكثر خطورة من كبرياء الإرادة؛ لأنه عندما يُدرك الفهم كبرياء الإرادة، فإنه يمكن علاجه بسهولة مع مرور الوقت عن طريق الخضوع لأولئك الذين تدين لهم بالطاعة. ولكن كيف، أو على يد من، يمكن أن يُشفى، وهو الذي يعتقد بإصرار أن رأيه يستحق أكثر من رأي الآخرين؟ كيف عليه أن يخضع لحكم الآخرين، الذي يعتبره أدنى بكثير من حكمه؟

الفهم هو عين النفس، الذي به ينكشف ويطهر جرح الإرادة المتكبرة. فإذا كانت تلك العين ضعيفة وعمياء ومنتفخة بالكبرياء، فمن تشفى؟

وإذا صار النور ظلمة، وفسد الحكم، فماذا سيحدث للباقي؟

لذلك قاوم هذا الكبرياء الخطير عدة مرات، قبل أن يتغلغل في نخاع عظامك.

خفف حدة عقلك، وأخضع رأيك عن طيب خاطر لرأي الآخرين، وكن أحمق في محبة الله، وستكون أحكم من سليمان.

ممارسة الإرادة، والغاية التي يجب أن تتجه إليها جميع أفعالنا، سواء كانت داخلية أو خارجية

بالإضافة إلى هذا التمرين الضروري للفهم، يجب عليك تنظيم إرادتك بحيث لا تتركها تتبع رغباتها الخاصة، بل قد تكون في كل شيء متوافقة مع المتعة الإلهية.

وتذكر أنه لا يكفي السعي وراء الأشياء التي ترضي الله فحسب؛ ولكن يجب عليك أن تفعل ذلك، وأن تفعل ذلك أيضًا، عندما يدفعك إليه، وبهدف إرضائه وحده.

في ممارسة الإرادة هذه، حتى أكثر مما كانت عليه في ممارسة

إذا فهمنا، سنواجه معارضة قوية من الطبيعة، التي تسعى إلى ذاتها ورفاهيتها ومتعتها في كل شيء؛ ولكن بشكل خاص في ما هو مقدس وروحي. إنه يتلذذ بهؤلاء، ويتغذى عليهم بشراهة كما يأكل طعامًا صحيًا.

لذلك، بمجرد تقديمها لنا، ننظر إليها بحزن، ونرغب فيها، ليس لأن هذه هي مشيئة الله، وليس بهدف إرضائه فحسب، بل من أجل الرضا والفائدة المستمدة من إرادة تلك الأشياء التي يريدها الله.

وهذا الوهم هو أكثر دقة من مجرد تفوق الشيء المرغوب فيه. ومن ثم، فحتى في رغبتنا في الله نفسه، فإننا نتعرض لأوهام محبة الذات، التي غالبًا ما تقودنا إلى النظر أكثر إلى مصالحنا الخاصة، وإلى الفوائد التي نتوقعها من الله، أكثر من إرادته، التي تعني أننا يجب أن نحبه ونرغب فيه ونطيعه من أجل مجده وحده.

سأوضح لك الآن طريقة لتجنب هذا الطريق، الذي من شأنه أن يعيقك في طريق الكمال، وأن تعوّد نفسك على الإرادة والقيام بكل الأشياء بدافع من روح الله، وبنية خالصة تتمثل في تكريم وإرضاء الله وحده، الذي يرغب في أن يكون الغاية والمبدأ الأوحد لكل كلمة وكل عمل لدينا. عندما يظهر لك أي شيء كما لو كان يريده الله، فلا تسمح لنفسك بإرادته حتى ترفع أفكارك إليه أولاً لتكتشف ما إذا كان يريدك أن تريده، ولأنه يريد ذلك، ولكي ترضيه وحده.

دع إرادتك إذًا، إذ تتأثر وتنجذب إلى إرادته، تكون مدفوعة لإرادته لأنه يريدها، وفقط لإرضائه وإكرامه.

وبالمثل، إذا كنت ترفض أشياء تتعارض مع إرادة الله، فلا ترفضها حتى تثبت عين عقلك أولاً على إرادته الإلهية، الذي يريد أن ترفضها فقط لإرضائه.

ومع ذلك، اعلم أن عمليات الاحتيال والخداع ذات الطبيعة الماكرة لا يشتبه فيها إلا قليلاً؛ لأنه عندما نسعى دائمًا إلى الذات سراً، غالبًا ما يقودنا ذلك إلى تخيل أن هدفنا ودافعنا هو إرضاء الله بينما في الواقع الأمر مختلف تمامًا.

وهكذا، عندما نختار أو نرفض أي شيء من أجل مصلحتنا ورضانا، فإننا غالبًا ما نتخيل أننا نختار أو نرفضه على أمل إرضاء الله، أو خوفًا من استياءه.

إن العلاج الحقيقي والفعال لهذا الوهم هو نقاوة القلب، التي تتمثل في هذا - وهو في الواقع هدف وموضوع كل هذه الحرب الروحية - وضع الإنسان العتيق ولبس الإنسان القديم.
جديد.

ولتحقيق هذه الغاية، بما أنك ممتلئ بذاتك، احرص في بداية كل فعل على تحرير نفسك قدر الإمكان من كل خليط لأي شيء يبدو أنه خاص بك.

لا تختار شيئًا، ولا تفعل شيئًا، ولا ترفض شيئًا، إلا إذا شعرت أولاً أنك متأثر وانجذب إليه بإرادة الله النقية والبسيطة.

إذا كنت لا تشعر دائمًا بهذا الدافع في الأعمال الداخلية للعقل، وفي الأعمال الخارجية، التي هي مجرد عابرة، فيجب أن تكون راضيًا بأن يكون لديك هذا الدافع حاضراً فعليًا دائمًا، محتفظًا دائمًا بنية نقية لإرضاء إلهك وحده في كل شيء. ولكن في الأفعال التي تستمر لمدة أطول، من الجيد ليس فقط إثارة هذا الدافع داخل نفسك في البداية، ولكن أيضًا تجديده بشكل متكرر، وإبقائه حيًا حتى النهاية. وإلا فإنك ستكون في خطر الوقوع في فخ آخر لحبنا الطبيعي لذواتنا، والذي، لأنه يميل دائمًا إلى الاستسلام للذات بدلاً من الله، غالبًا ما يجعلنا نغير أهدافنا وأهدافنا دون وعي، مع مرور الوقت.

خادم الله الذي لا يحترز من هذا الخطر، غالبًا ما يبدأ العمل بفكر واحد هو إرضاء ربه وحده؛ ولكن سرعان ما يبدأ تدريجيًا وبشكل غير محسوس في الاستمتاع بعمله لدرجة أنه يفقد رؤية الإرادة الإلهية ويتبع إرادته الخاصة. إنه يركز كثيراً على الرضا الذي يشعر به فيما يفعله، وعلى الشرف والمنفعة التي سيجنيها

ومن ثم، إذا وضع الله نفسه أي عائق في الطريق، سواء عن طريق المرض أو حادث أو من خلال تدخل الإنسان، فإنه يشعر بالاضطراب والقلق على الفور، وغالبًا ما يقع في التذمر ضد العائق، مهما كان، أو بالأحرى، ضد الله نفسه. دليل واضح على أن نيته لم تكن كلها من الله، بل انبثقت من أصل شرير ومصدر فاسد.

لأن من يتصرف فقط بدافع من الله، وبهدف إرضائه وحده، لا يرغب في شيء على شيء آخر. إنه يرغب فقط في الحصول على ما يرضي الله، وفي الوقت وبالطريقة التي قد تكون أكثر قبولاً له؛ وسواء حصل عليه أم لا، فهو هادئ وراضي بنفس القدر؛ لأنه في كلتا الحالتين ينال مراده، ويحقق نيته، التي ليست إلا مجرد إرضاء الله.

لذلك اجمع نفسك بجدية، واحرص دائمًا على توجيه كل عمل إلى هذه النهاية المثالية.

وعلى الرغم من أن ميل شخصيتك الطبيعية يجب أن يتحرك لفعل الخير من خلال الخوف من آلام الجحيم أو الرجاء في أفراح الجنة، إلا أنه يمكنك هنا أن تضع أمامك، كغايتك النهائية، إرادة الله ورضاه، الذي يسرك أن تدخل ملكوته وليس إلى الجحيم. ليس من صلاحيات الإنسان أن يدرك تمامًا قوة وفضيلة هذا الدافع؛ لأن أي عمل تافه، يتم القيام به بهدف إرضاء الله وحده، ولمجده وحده، له (إذا جاز التعبير) قيمة أكبر بلا حدود من العديد من الأعمال الأخرى ذات الكرامة والأهمية الكبرى التي يتم القيام بها بدون هذا الدافع. ومن ثم فإن فلسًا واحداً يُعطى لرجل فقير بهدف واحد فقط هو إرضاء جلالته الإلهية، أكثر قبولاً عند الله من التخلي الكامل عن جميع الخيرات الأرضية لأي غرض آخر، حتى من أجل الحصول على نعيم السماء؛ فالغاية في حد ذاتها ليست جيدة فحسب، بل مرغوبة إلى حد كبير.

إن ممارسة كل الأشياء بهدف واحد هو إرضاء الله وحده تبدو صعبة في البداية، ولكنها ستصبح واضحة وسهلة بالممارسة، إذا كنا، بمشاعر القلب الحارة، نرغب في الله وحده، ونشتاق إليه باعتباره خيرنا الوحيد والأكمل؛ الذي يستحق أن يبحث عنه جميع الخلق لنفسه ويعبدونه ويحبوه فوق كل شيء.

كلما كانت تأملاتنا أعمق وأكثر استمرارية حول سموه اللامتناهي، كلما كانت هذه التأملات أكثر حماسة وتكراراً.

تمارين الإرادة؛ وهكذا سنكتسب بسهولة وسرعة أكبر عادة أداء كل عمل من المحبة الخالصة لذلك الرب الرحيم، الذي هو وحده المستحق لتقديسنا ومحبتنا.

أخيراً، من أجل تحقيق هذا الدافع الإلهي، أنصحك أن تطلبه من الله بالصلاة الملحة، وأن تتأمل كثيراً في الفوائد التي لا تعد ولا تحصى، التي أنعم بها علينا بمحبته الخالصة والنزيهة.

من بعض الاعتبارات التي قد تبعث على الإرادة السعي إلى إرضاء الله في كل شيء

علاوة على ذلك، لكي تميل إرادتك بسهولة أكبر إلى طلب مجد الله ومجده في كل شيء، تذكر دائمًا أنه، بطرق عديدة ومتنوعة، قد أحبك وأكرمك أولاً.

في الخليقة، بأن يخلقكم من العدم على مثاله، وسائر المخلوقات لخدمتكم.

في الفداء، لا يرسل ملاكًا، بل ابنه الوحيد، ليفتديك، لا بثمن الفضة والذهب الفاسد، بل بدمه الثمين، وبموته الأكثر إيلامًا ومخزيًا. تذكر أنه في كل ساعة، بل في كل لحظة، يحميك من أعدائك، ويحارب عنك بنعمته، ويقدم لك باستمرار، في سر المذبح، ابنه الحبيب ليكون طعامك ودفاعك؛ أليست كل هذه العلامات تدل على التقدير والحب الذي لا يقدر بثمن الذي يحمله لك الله اللانهائي؟ ليس من صلاحيات الإنسان أن يتصور، من ناحية، مدى عظمة القيمة التي يضعها الرب علينا نحن المخلوقات المسكينة في وحدتنا وبؤسنا؛ ومن ناحية أخرى، ما أعظم الرد الذي يجب أن نقدمه لجلالته الأعظم، الذي فعل لنا الكثير والكثير من الأشياء العظيمة.

لأنه إذا كان أسياد الأرض، عندما يتم تكريمهم حتى من قبل الفقراء والمتواضعين، يشعرون بأنهم ملزمون بتكريمهم في المقابل، فكيف ينبغي لطبيعتنا الدنيئة أن تحط من قدر نفسها تجاه الملك الأعلى للسماء والأرض، الذي نحبه بشدة ونقدره كثيراً؟
وإلى جانب كل هذا، وقبل كل شيء، تذكروا دائمًا بوضوح أن الجلال الإلهي يستحق أن يُحب لنفسه وحده، وأن يُخدم فقط من أجل مسرته.

الفصل الحادي عشر

من تنوع الإرادات في الإنسان، والحرب بينهما

على الرغم من أنه يمكن القول في هذا الصراع أن لدينا في داخلنا إرادتين، إحداهما العقلية والتي تسمى عقلانية ومتفوقة، والأخرى من الحواس، والتي تسمى الحسية والدنيا، والتي يتم وصفها عادة بكلمات الشهية واللحم والإحساس والعاطفة؛ ومع ذلك، بما أن هذا هو السبب الذي يشكلنا نحن البشر، فلا يمكن أن يقال إننا نرغب في أي شيء تريده الحواس ما لم نميل إليه أيضًا عن طريق الإرادة العليا. وهنا يتكون صراعنا الروحي بشكل أساسي. إن الإرادة المعقولة موضوعة، إذا جاز التعبير، في منتصف الطريق بين الإرادة الإلهية التي فوقها، والإرادة الدنيا، أو إرادة الحواس، التي تحتها، تتعرض للهجوم باستمرار من كليهما؛

وكل يسعى بدوره إلى جذبه وإخضاعه وإخضاعه إلى الطاعة.

ومع ذلك، يجب أن يتحمل غير الممارسين الكثير من التعب والمتاعب، خاصة في البداية، عندما يقررون إصلاح حياتهم الشريرة، ونبذ العالم والجسد، واستسلام أنفسهم لمحبة وخدمة يسوع المسيح. لأن المعارضة التي تواجهها الإرادة العليا، من الحرب المستمرة بين الإرادة الإلهية والحسية، حادة وشديدة، ومصحوبة بمعاناة حادة.

ليس الأمر كذلك مع أولئك الذين يمارسون الخير في طريق الفضيلة أو الرذيلة؛ إنهم يتبعون دون صعوبة الطريق الذي دخلوا إليه؛ الفاضل يستسلم بسهولة للإرادة الإلهية، والاستسلام الشرير دون مقاومة لإرادة الحواس.

لكن لا ينبغي لأحد أن يتخيل أنه من الممكن المثابرة على ممارسة الفضائل المسيحية الحقيقية، أو خدمة الله كما ينبغي أن يُخدم، ما لم يعنف نفسه بجدية، ويتحمل ألم الفراق عن كل الأشياء الممتعة مهما كانت، كبيرة كانت أم صغيرة، التي تتشابك حولها مشاعره الأرضية.

ومن ثم فإن قليلين جداً هم الذين يصلون إلى الكمال؛ لأنهم بعد أن تغلبوا بجهد كبير على الرذائل الكبرى، لن يستمروا في ممارسة العنف على أنفسهم من خلال النضال ضد دوافع الإرادة الذاتية، وعدد لا نهائي من الرغبات الأقل أهمية. إنهم يشعرون بالضجر من هذا النضال المتواصل؛ إنهم يعانون من هؤلاء الأعداء التافهين

وينتصر عليهم، وبذلك يكتسب السيطرة المطلقة على قلوبهم.

وينتمي إلى هذه الفئة رجال، إذا لم يأخذوا ما يملكه الآخرون، فإنهم يلتصقون بمودة مفرطة بما هو ملكهم بشكل قانوني. فإن لم ينالوا الكرامات بطرق غير مشروعة، فلا يتجنبونها كما ينبغي؛ ولكن، على العكس من ذلك، لا تكف عن الرغبة في هذه الأشياء، بل وفي بعض الأحيان عن البحث عنها بطرق مختلفة. إذا صاموا الصوم الواجب، لكنهم لا يميتون أذواقهم بسبب الإفراط في الأكل، أو الانغماس في اللقمات الرقيقة. إذا كانوا يعيشون في قارة، إلا أنهم لا يتخلون عن العديد من الانغماسات التي تعيق كثيراً الاتحاد مع الله ونمو الحياة الروحية؛ وبما أنها خطيرة جداً حتى على أقدس الأشخاص، والأكثر خطورة على أولئك الذين لا يخشونهم كثيراً، فيجب على الجميع تجنبها قدر الإمكان.

ومن ثم فإن كل أعمالهم الصالحة تتم بروح فاترة، و يرافقه الكثير من البحث عن الذات، والعديد من العيوب الكامنة، ونوع معين من احترام الذات، والرغبة في أن يتم الثناء عليه وتقديره من قبل العالم.

مثل هؤلاء الأشخاص لا يفشلون في إحراز أي تقدم في طريق الخلاص فحسب، بل يتراجعون أيضًا؛ ولذلك فهم معرضون لخطر الانتكاس إلى خطاياهم السابقة، لأنهم ليس لديهم محبة للقداسة الحقيقية، ولا يظهرون سوى القليل من الشكر لربهم الذي أنقذهم من طغيان الشيطان. علاوة على ذلك، فإنهم عميان وجاهلون للغاية بحيث لا يستطيعون رؤية الخطر الذي يواجهونه؛ وهكذا يقنعون أنفسهم كذباً بأمنهم الخاص.

وهنا نكتشف الوهم، وهو الأخطر لأنه قليل الفهم. كثيرون ممن يطمحون إلى الحياة الروحية، يحبون أنفسهم دون وعي أكثر مما ينبغي؛ ولذلك يمارسون في أغلب الأحيان تلك التمارين التي تناسب أذواقهم، ويهملون التمارين الأخرى التي تمس الميول الطبيعية والشهوات الحسية للأسرع، والتي يجب عليهم بكل سبب توجيه قوة المعركة الكاملة ضدها.

لذلك أحثك وأنصحك أن تحب الألم، لأنه سيجلب معه ما هو نهاية وهدف النضال كله، النصر على الذات. كلما تعمقت في حب الصعوبات التي يواجهها المبتدئون في الفضيلة وفي الحرب، كلما كان النصر أضمن وأسرع؛ وإذا كان حبك

مهما كانت الصعوبة والصراع المضني، وليس النصر والفضيلة التي يجب تحقيقها، فسوف تحصل على كل ما ترغب فيه بسرعة أكبر.

عن طريقة مقاومة دوافع الحس، وعن الأفعال التي تقوم بها الإرادة لاكتساب عادات الفضيلة

عندما تتعرض إرادتك المعقولة للهجوم من قبل إرادة الحس من ناحية، والإرادة الإلهية من ناحية أخرى، وكل منهما يسعى إلى السيطرة عليها، يجب عليك الاستفادة من التمارين المختلفة، حتى تتمكن الإرادة الإلهية من التحكم فيك دائمًا.

أولاً، عندما تهاجمك وتضربك دوافع الحس، عارضها بمقاومة شجاعة، حتى لا توافق الإرادة العليا.

ثانيًا، عندما تتوقف الاعتداءات، قم بإثارة هذه الاعتداءات من جديد، من أجل قمعها بقوة أكبر وقوة أكبر. ثم تحداهم مرة أخرى في صراع ثالث، لعلك تعود نفسك فيه على ردهم بالازدراء والمقت.

يجب أن يكون هذان التحديان في المعركة موجهين لكل شهوة غير منظمة، باستثناء حالة تجارب الجسد، التي سنتحدث عنها بدلاً منها.

وأخيرًا قم بأفعال تتعارض مع كل هوى شرير يجب مقاومته.

وسيتضح ذلك من خلال المثال التالي.

لنفترض أنك تعرضت لهجوم من مشاعر نفاد الصبر. انظر جيداً إلى نفسك، وستجد أن هذه المشاعر موجهة باستمرار ضد الإرادة العليا، من أجل الحصول على موافقتها.

والآن، ابدأ التمرين الأول؛ ومن خلال أفعال الإرادة المتكررة، ابذل كل ما في وسعك لخنق كل شعور عند ظهوره، حتى لا توافق إرادتك عليه. ولا تكف عن هذا حتى يتعب عدوك حتى الموت ويستسلم مهزومًا.

ولكن انظر هنا خبث الشيطان. عندما يدرك أننا نقاوم الحركات الأولى لأي انفعال، فإنه لا يكف عن إثارة هذه الحركات فحسب، بل عندما يكون متحمسًا، فإنه يسعى لبعض الوقت إلى تهدئتها، حتى لا نكتسب، بممارسة مقاومة الانفعال، عادة الفضيلة المعاكسة. كما أنه يود أن يسلمنا إلى فخاخ الكبرياء والمجد الباطل، من خلال تلميحه إلينا بمهارة أننا، مثل الجنود البواسل، ندوس بسرعة أعداءنا.

فانتقل إذن إلى الصراع الثاني، متذكراً ومثيراً في داخلك تلك الأفكار التي دفعتك إلى نفاد الصبر، حتى تؤثر عليك تأثيراً معقولاً. ثم استعد لقمع كل شعور من هذا القبيل بإرادة أقوى وسعي أكثر جدية من ذي قبل.

ولأنه، مهما قاومنا أعداءنا بقوة، من منطلق الشعور بالواجب والرغبة في إرضاء الله، فإننا لا نزال في خطر، ما لم نحملهم في كراهية تامة، من أن نتغلب عليهم يومًا ما، ونهاجمهم مرة أخرى ولو للمرة الثالثة؛ ولا ارفضهم فقط بالاشمئزاز، بل بالسخط، حتى يصيروا مكروهين ومكروهين في عيونكم.

وأخيراً، لتزين روحك وتكميلها بالتعود على كل الفضائل، قم بتدريب نفسك على المجموعات الداخلية التي تتعارض بشكل مباشر مع كل أهوائك غير المنضبطة.
فهل تبلغ مثلاً كمال الصبر؟ عند تلقي أي إهانة تدفعك إلى نفاد الصبر، لن يكون كافيًا تدريب نفسك على أساليب الحرب الثلاثة الموصوفة أعلاه، بل يجب عليك أن تفعل المزيد حتى تقبل وتحب الإهانة التي تحملتها عن طيب خاطر؛ ورغبة في الخضوع لها مرة أخرى، من نفس الشخص، وبنفس الطريقة؛ تتوقع وتهيئ نفسك لتحمل أشياء أصعب.

هذه الأفعال المتضادة ضرورية لكمالنا في كل الفضائل، لأن الممارسات التي تحدثنا عنها متعددة وفعالة، على الرغم من أنها ليست كافية لاستئصال جذور الخطيئة.

ومن ثم (لتتبع نفس المثال) على الرغم من أننا عندما نتلقى إهانة، فإننا لا نستسلم لدافع نفاد الصبر، بل على العكس من ذلك، نقاومه بالطرق الثلاثة المذكورة أعلاه، ومع ذلك، ما لم نعوّد أنفسنا من خلال العديد من أفعال الإرادة المتكررة على حب الازدراء، والابتهاج بأن نكون محتقرين، فلن نتغلب أبداً على خطيئة نفاد الصبر، التي تنبع من الاهتمام بسمعتنا والتهرب من الازدراء.

وإذا تُرك الجذر الشرير حيًا، فإنه سينمو من جديد دائمًا؛
مما يتسبب في إضعاف الفضيلة، وأحيانًا هلاكها تمامًا، وإبقائنا في خطر مستمر من الانتكاس عند أول فرصة قد تتاح لنا. وبدون هذه الأفعال المتعارضة، لن نتمكن أبداً من اكتساب عادة الفضيلة الحقيقية.

وتذكروا أيضًا أن هذه الأفعال يجب أن تكون متكررة ومتعددة جداً، وذلك للقضاء تمامًا على العادة الشريرة، التي، كما استحوذت على قلوبنا من خلال أعمال الخطية المتكررة، كذلك يجب أن يتم إزاحتها عن طريق الأفعال المعاكسة، لإفساح المجال لعادة الفضيلة.

مرة أخرى، يتطلب تكوين عادة الفضيلة عدداً أكبر من الأفعال الفاضلة مقارنة بالأفعال الشريرة لتكوين عادة الرذيلة؛ لأن الأولين، مثل الأخيرين، لا تساعدهم طبيعتنا الفاسدة.

وأود أن أضيف إلى كل ما قيل، أنه إذا كانت الفضيلة التي تمارس فيها نفسك تتطلب ذلك، فيجب عليك أيضًا أن تمارس أعمالاً خارجية تتوافق مع الداخل؛ مثل، على سبيل المثال، كلمات المحبة والوداعة والخدمات المتواضعة المقدمة لأولئك الذين أحبطوك أو أهانوك بأي شكل من الأشكال.

وعلى الرغم من أن كل هذه الأفعال، سواء كانت داخلية أو خارجية، يجب أن تكون، أو ينبغي أن تبدو لك، ضعيفة وخافتة، وكما كانت، ضد إرادتك، إلا أنه يجب ألا تهملها بأي حال من الأحوال؛ على الرغم من ضعفها، فإنها ستبقيك آمنًا وصامداً في القتال، وتسهل أمامك الطريق إلى النصر.

وكن مستعداً دائمًا ومتيقظًا لمقاومة اعتداءات كل عاطفة، ليس فقط تلك العنيفة والمستبدة، بل أيضًا الأقل والألطف؛ فهذه إنما تفتح الطريق أمام ما هو أعظم، والذي به تتشكل عادات الرذيلة تدريجيًا في داخلنا.

لقد حدث في كثير من الأحيان، نتيجة لقلة الاهتمام الذي أبداه بعض الرجال لاستئصال هذه الرغبات الأقل من قلوبهم، بعد أن تغلبوا على الاعتداءات الأكثر عنفًا لنفس العاطفة، أنه عندما لم يتوقعوا ذلك على الإطلاق، سقط عليهم أعداؤهم القدامى مرة أخرى، وتعرضوا لهزيمة كاملة ومميتة أكثر مما حلت بهم من قبل.

تذكر، مرة أخرى، أن تقوم بإماتة وإحباط رغباتك من وقت لآخر في أشياء مشروعة ولكن ليست ضرورية؛ فإن اتباع مثل هذا التأديب له فوائد كثيرة؛ سوف يعدك ويجهزك أكثر فأكثر للسيطرة على الذات في أشياء أخرى؛ وبذلك تصبح خبيراً وقويًا في صراع التجربة؛ تنجو من فخاخ كثيرة لإبليس، وتنجز عملا حسنا يرضي الرب.

أنا أتحدث إليكم بوضوح. إذا، بالطريقة التي علمتك إياها، ستثابر بأمانة على هذه التمارين المقدسة لإصلاح الذات والسيطرة عليها، أعدك أنك ستحقق إنجازات عظيمة في وقت قصير.

يتقدم، وسيصبح روحيًا، ليس بالاسم فقط، بل بالحق. لكنني لا أطلب منك بأي طريقة أخرى أن تأمل في الوصول إلى القداسة الحقيقية والروحانية، ولا بأية تمارين أخرى، مهما كانت ممتازة في تقديرك، على الرغم من أنك تبدو منغمسًا فيها تمامًا، وتجري أحاديث لطيفة مع ربنا.

لأني، كما قلت لك في الفصل الأول، القداسة الحقيقية والروحانية لا تتكون من ممارسات ترضينا وتتوافق مع طبيعتنا، ولا تنتج منها، بل فقط من خلال تسمير تلك الطبيعة بكل أعمالها على الصليب، وتجديد الإنسان كله بممارسة الفضائل الإنجيلية، وتوحيده بمخلصه وخالقه المصلوب.

لا يمكن أن يكون هناك شك في أنه كما أن عادات الرذيلة تتشكل من أفعال كثيرة ومتكررة من الإرادة العليا التي تخضع لسيطرة الشهوات الحسية، كذلك، على العكس من ذلك، عادات الفضيلة الإنجيلية يتم اكتسابها من خلال أداء أعمال متكررة ومتكررة متوافقة مع الإرادة الإلهية، التي تدعونا إلى ممارسة أنفسنا تارة في فضيلة، وتارة في فضيلة أخرى.

لأنه كما أن إرادتنا، مهما تعرضت لهجوم شرس من الخطيئة أو من اقتراحات طبيعتنا الدنيا، لا يمكن أن تصبح خاطئة أو أرضية ما لم تستسلم أو تميل إلى التجربة، كذلك لن تصل أبدًا إلى القداسة والاتحاد مع الله، مهما كانت دعوتك بقوة وهاجمتك بقوة النعمة الإلهية والإلهامات السماوية، ما لم تكن إرادتك متوافقة مع إرادته الداخلية، أو إذا لزم الأمر، بالأفعال الخارجية.

ما الذي يجب فعله عندما يبدو أن الإرادة العليا قد تم خنقها بالكامل وتغلبت عليها الإرادة المؤقتة والأعداء الآخرون؟

إذا بدت لك الإرادة العليا في بعض الأحيان عاجزة عن مقاومة الإرادة الأدنى وأعدائها الآخرين لأنك لا تشعر في داخلك بإرادة فعالة تعارضهم، ومع ذلك قف ثابتًا ولا تترك الميدان؛ لأنه يجب عليك دائمًا أن تعتبر نفسك منتصراً حتى تتمكن من إدراك أنك استسلمت بوضوح.

لأنه بقدر ما لا تحتاج إرادتنا العليا إلى الأدنى لإنتاج أفعالها، فمن دون موافقتها الخاصة، لا يمكن أبداً إجبارها على الخضوع، مهما تعرضت للهجوم الشديد.

لأن الله قد منح إرادتنا حرية وقوة لدرجة أنه إذا كانت كل الحواس، وكل الأرواح الشريرة، بل العالم كله، تسلحها وتتآمر للاعتداء عليها وقمعها بكل قوتها، فلا يزال بإمكانها، على الرغم منها، أن تريد أو لا تريد كل ما تريد أو لا تريد؛ وكم مرة على الإطلاق، ومتى على الإطلاق، وكيف على الإطلاق، ولأي غرض ينبغي على الإطلاق أن يرضي ذلك.

وإذا هاجمك أعداؤك في أي وقت بعنف وضغطوا عليك لخنق إرادتك، بحيث يبدو أنه لا يوجد لديك نفس للقيام بأي عمل إرادي معارض، ومع ذلك لا تفقد شجاعتك، ولا تلقي بذراعيك، بل استخدم لسانك في الدفاع عن نفسك، قائلاً: "لن أستسلم. أنا لا أوافق". كرجل عليه خصمه وأمسك به، ولم يتمكن من الوصول إليه بطرف سيفه، فضربه بالمقبض؛

وبينما يحاول أن يقفز إلى الوراء ليجرح عدوه بهذه النقطة، هكذا تلجأ أنت إلى معرفة نفسك، إلى معرفة أنك لا شيء، ولا تستطيع أن تفعل شيئًا، وبالإيمان بالله، القادر على كل شيء، وجه ضربة إلى هذا الشغف المعادي، قائلاً: "أعنني يا رب، أعنني. يا إلهي، أعنني. يا يسوع. يا مريم!

حتى لا أستسلم لهذا العدو».

ويمكنك أيضاً، عندما يمنحك عدوك الوقت، أن تستعين بعقلك لتساعد ضعف إرادتك، وذلك بالتأمل في نقاط مختلفة، قد يمنحه النظر فيها القوة ويعيد أنفاسه لمقاومة العدو. على سبيل المثال: ربما تكون تحت اضطهاد ما أو تجربة أخرى، وتميل بشدة إلى نفاد الصبر، بحيث يبدو لك أن إرادتك لا تستطيع، أو على الأقل لن تتحملها.

فشجعه إذن بالمناقشة مع السبب في النقاط التالية:

فكر أولاً في ما إذا كنت قد منحت أي سبب للشر الذي تعاني منه وبالتالي استحقته؛ لأنك إذا فعلت ذلك، فإن كل قواعد العدالة تتطلب منك أن تتحمل بصبر الجرح الذي ألحقته بنفسك بيدك.

ثانيًا: إذا كنت بلا لوم في هذه الحالة بالذات، ففكر في خطاياك الأخرى، التي لم يوبخك الله عليها بعد، والتي لم تعاقب نفسك عليها كما ينبغي، كما كان ينبغي عليك أن تفعل. فبما أن رحمة الله تحول عقوبتك المستحقة، والتي ينبغي أن تكون أبدية، إلى عاطفة خفيفة مؤقتة، فيجب أن تقبلها، ليس فقط عن طيب خاطر، بل بالشكر.

ثالثًا - إذا بدت لك إهاناتك ضد الجلالة الإلهية خفيفة، والتكفير الذي تحملته عنها ثقيلاً (إلا أنه إقناع لا ينبغي أن تسمح لنفسك أبدًا بالاستمتاع به)، فيجب أن تتذكر أنه لا يمكنك دخول ملكوت السماوات إلا من خلال الباب المستقيم للضيقة.

رابعًا: حتى لو كان من الممكن الدخول إلى هناك بأي طريق آخر، فإن ناموس المحبة يمنعك من التفكير في ذلك، إذ إن ابن الله، مع كل أصدقائه وكل أعضائه، دخل إلى ذلك الملكوت عبر طريق مليء بالأشواك والصلبان.

خامسًا: ما عليك أن تفكر فيه بشكل أساسي، في هذه المناسبة وفي جميع المناسبات الأخرى، هو إرادة الله، الذي، من أجل الحب الذي يحمله لك، ينظر برضا لا يوصف إلى كل عمل من أعمال الفضيلة والإماتة التي تقوم بها، كجندي مخلص وشجاع، انتقامًا لمحبته لك. وتأكد من هذا، أنه كلما بدت التجربة غير معقولة في حد ذاتها، وأكثر خزيًا، بسبب عدم استحقاق أولئك الذين تأتي منهم، وبالتالي أكثر إزعاجًا وصعوبة في التحمل، بقدر ما ستكون أكثر إرضاءً للرب، إذا كان في الأشياء المضطربة في حد ذاتها، وبالتالي مريرة جدًا ومكروهة بالنسبة لك، يمكنك أن توافق وتحب إرادته الإلهية وعنايته، حيث يتم ترتيب جميع الأحداث، مهما كانت معاكسة، وفقًا لذلك. القاعدة والنظام الأكثر كمالا.

بعض النصائح تتعلق بطريقة هذه الحرب، وخاصة ضد من، وبأي قرار يجب شنها

ترى الآن بأي طريقة يجب أن تجاهد لكي تغلب نفسك، وتزين نفسك بكل الفضائل.

واعلم، علاوة على ذلك، أنه للحصول على نصر أسرع وأسهل على أعدائك، فمن المناسب، بل من الضروري، أن تحاربهم يوميًا، وخاصة ضد حب الذات، وأن تتعلم أن تقدر، كأصدقاء أعزاء ومحسنين، كل الإهانات والمضايقات التي يمكن للعالم أن يكدسها عليك.

ولأن الناس لا يعرفون ضرورة هذه الحرب اليومية، ولا يعيرونها إلا القليل من الاهتمام، كما قلت من قبل، فإن انتصاراتهم نادرة وصعبة وغير كاملة وغير مستقرة.

علاوة على ذلك، فإنني أحذرك من أنه يجب عليك تحقيق ثبات روحي كبير في هذا الصراع. وهذه العطية سوف تحصل عليها بسهولة إذا طلبتها من الله؛ من ناحية، الكراهية التي لا تنتهي وغضب أعدائك، والعدد الهائل من صفوفهم وأسرابهم؛

ومن ناحية أخرى، ما أعظم صلاح الله والمحبة التي يحبك بها، وكم أقوى أيضًا ملائكة السماء وصلوات القديسين، الذين يجاهدون من أجلهم.

نحن.

وبهذا الاعتبار، تم تمكين الكثير من النساء الضعيفات من التغلب على كل قوة وحكمة العالم، وكل اعتداءات الجسد، وكل غضب الهليكوبتر والتغلب عليها.

لذلك، يجب ألا تشعر بالفزع أبدًا، حتى لو بدا أحيانًا أن عدوك يعزز صفوفه ضدك، على الرغم من أن الصراع يهدد بأن يستمر طوال حياتك، وعلى الرغم من أن السقوط شبه المؤكد يهددك من كل جانب؛ فاعلم يقينًا أن كل قوة أعدائنا وحكمتهم في يد قائدنا الإلهي، الذي نظمت المعركة على شرفه؛ V من المؤكد أنه يثمننا إلى أبعد الحدود، وقد دعانا بنفسه إلى الصراع، ولن يسمح أبدًا بأن يتم التغلب عليك. بل وأكثر من ذلك، هو نفسه سيقاتل عن يمينك، ولن يفشل في وقته المناسب في إخضاع أعداءك أمامك؛ وهذا أعظم أجرك إذا تأخر في نصرتك إلى آخر يوم في حياتك.

هذا وحده هو همك، أن تقاتل بشجاعة، وألا تلقي أسلحتك أو تشارك في القتال أبداً، مهما كانت جراحك كثيرة.

أخيرا. إذا فشلت في عدم القتال بشجاعة، ضع في اعتبارك أن هذا صراع لا مفر منه؛ وأن من لا يقاتل يجب أن يتم أسره أو قتله. علاوة على ذلك، يتعين علينا أن نتعامل مع أعداء أقوياء جداً، ونمضي ممتلئين بالكراهية القاتلة، بحيث لا يتركون لنا أي أمل في السلام أو الهدنة.

بأية طريقة يجب أن يذهب جندي المسيح إلى الميدان في الصباح الباكر؟

لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي، يقول رب الجنود.
--زكريا 4: 6)

عندما تستيقظ في الصباح، فإن أول ما تلاحظه ببصرك الداخلي هو الحقل المدرج الذي أنت محاصر فيه، وقانون القتال هو أن من يقاتل لا يجب أن يرقد هناك ميتًا إلى الأبد.

هنا تصور لنفسك، من ناحية، عدوك (ذلك الميل الشرير الذي تعهدت بالفعل بالتغلب عليه) يقف الآن أمامك، جاهزًا لجرحك وقتلك؛ وانظر أيضًا عن يمينك قائدك المنتصر يسوع المسيح، مع أمه القديسة مريم العذراء، وعريسها الحبيب القديس يوسف، وجموع لا حصر لها من الملائكة، وخاصة القديس ميخائيل رئيس الملائكة؛

وعلى اليد اليسرى، الشيطان الجهنمي، بكل جيوشه، مستعد لإثارة هذه العاطفة وإقناعك بالاستسلام لها. ثم يبدو أنك تسمع صوتًا كما لو كان ملاكك الحارس يخاطبك:

"عليك أن تحارب هذا اليوم وأعداءك الآخرين. لا تدع قلبك يضعف، ولا تضعف روحك، ولا تستسلم لأي سبب من الأسباب، لا خوفًا أو لأي سبب آخر، لأن ربنا قائدك واقف بجانبك مع كل جيوشه المجيدة، وسيحارب عنكم ضد جميع أعدائك، ولن يسمح لصورتهم أن تتغلب عليك أو تتغلب عليك."

"قف فقط بثبات، واعمل العنف على نفسك، وتحمل الألم الذي يسببه لك هذا العنف. ابك بلا انقطاع من أعماق قلبك، وادعو الرب، وهكذا بالتأكيد سوف تفوز بالنصر. إذا كنت ضعيفًا وعديم الخبرة، وإذا كان أعداؤك أقوياء ومتعددين، فستكون عون الذي خلقك وفداك أكثر تنوعًا، وسيكون إلهك أقوى بما يفوق كل قياس ومقارنة، وأكثر استعدادًا لإنقاذك من جميع أعدائك". تدميرك."

"قاتل ببسالة إذن، ولا تكره المعاناة؛ لأن هذه المقاومة الشاقة لميولك الشريرة، هذا النضال المؤلم ضد العادات الشريرة، هو الذي سيكسبك النصر، ويكسبك كنزًا تشتري به ملكوت السماوات، وتتحد روحك بالله إلى الأبد."

ابدأ القتال باسم الرب، بأسلحة عدم الثقة بالنفس والثقة في الله، أي الصلاة والتدريبات الروحية؛ وتحدي عدوك في المعركة، أي ذلك الميل، أيًا كان، الذي، وفقًا للترتيب المذكور أعلاه، قررت التغلب عليه. افعل هذا، تارة بالمقاومة الصريحة، وتارة بالاشمئزاز الشديد، أو مرة أخرى، بأفعال مناقضة للفضيلة، فتجرحه مرارًا وتكرارًا، حتى الموت، لإرضاء ربك، الذي ينظر، مع الكنيسة كلها، منتصرًا، ليرى صراعك.

أقول لكم مرة أخرى، يجب ألا تتعبوا من النضال، لكن تذكروا الالتزام الذي يقع على عاتقنا جميعًا لخدمة الله وإرضائه، والضرورة المطلقة للقتال في هذه المعركة، التي لا يمكن لأحد الهروب منها دون جروح أو موت. علاوة على ذلك، أقول لك، إنك إذا هربت من الله كمتمرد، وسلمت نفسك للعالم ومباهج الجسد، فسوف تظل مجبرًا، على الرغم منك، على العمل بعرق جبينك ضد العديد والعديد من الخصوم، الذين سوف يخترقون قلبك بألم مميت.

فكر إذن في مدى حماقة تحمل كل هذا التعب والمتاعب، التي لا تؤدي إلا إلى كدح أكبر، ومشاكل لا نهاية لها وموت روحي، لتجنب ما سينتهي قريبًا، والذي سيقودنا إلى السعادة الأبدية واللامتناهية في التمتع الأبدي بإلهنا.

الفصل السادس عشر

الترتيب الذي يجب مراعاته في الصراع مع عواطفنا الشريرة

ومن الأهمية بمكان أن نعرف كيفية مراعاة النظام الواجب في هذا القتال، خشية أن نقاتل بطريقة عرضية أو متقطعة، كما يفعل الكثيرون مما يتسبب في إصابتهم الكبيرة. والترتيب الذي يجب مراعاته في حرب أعدائكم وميولكم الشريرة يكون كما يلي:

انظر جيداً إلى قلبك، وابحث باجتهاد حتى تكتشف ما هي الأفكار والعواطف التي تحيط به، وما هي العاطفة التي يتأثر بها أكثر طغيانًا؛ وضد هذا أولاً احمل السلاح ووجه هجومك. إذا تعرضت في هذه الأثناء لهجوم من قبل أعداء آخرين، انقلب على الأقرب إليك والذي يهددك في هذه اللحظة؛ لكن لا تعود بعد ذلك إلى مقاضاة مؤسستك الرئيسية.

الفصل السادس عشر

عن الطريق لمقاومة النبضات المفاجئة للعواطف

وإلى أن نعتاد على تجنب السكتات الدماغية المفاجئة، سواء كانت بسبب الإهانة أو غيرها من الظروف المعاكسة، فمن الجيد، لكي نكتسب مثل هذه العادة، أن نتوقعها، ونرغب في معاناتها مراراً وتكراراً، وبالتالي ننتظرها بعقل مستعد.

الطريقة لتوقعها هي أن تأخذ بعين الاعتبار العاطفة التي تميل إليها أكثر، وكذلك الأماكن والأشخاص الذين تعودت على التحدث معهم؛ ومن هنا يمكنك بسهولة تخمين ما من المحتمل أن يصيبك. وإذا واجهت أي ظرف آخر غير متوقع لم تتوقعه، على الرغم من أنك ستجد نفسك معززة باستعدادك لمواجهة الشرور الأخرى التي توقعتها، إلا أنه يمكنك أيضًا الاستفادة من المساعدة الإضافية التالية.

عند أول لمسة للإهانة أو التجربة، مهما كانت، انهض على الفور، وارفع قلبك إلى الله، متأملاً في صلاحه ومحبته التي لا توصف، الذي يرسل لك هذه العاطفة، بحيث، من خلال تحملها من أجل محبة الله، يمكنك بذلك أن تكون أكثر تطهيراً، وتقترب منه وتتحد معه.

وأنت عالمًا بمدى سروره بأن تعاني منه، التفت إلى جانب نفسك وقل بتوبيخ شديد: "لماذا ترفض أن تحمل هذا الصليب، الذي لم يُرسل إليك من إنسان، بل من أبيك الذي في السماوات!" ثم التفت إلى الصليب واحتضنه بكل صبر وفرح ممكن، قائلاً: "أيها الصليب، الذي صنعته العناية الإلهية قبل ولادتي، أيها الصليب المحبوب إليّ بمحبة ربي المصلوب، سمّرني الآن عليك، حتى أسلم نفسي للذي مات عليك فداءً لفدائي!"

وإذا تغلبت عليك العاطفة في البداية، وأصبحت مجروحًا، وغير قادر على رفع قلبك إلى الله، فاجتهد حتى في ذلك الحين أن تفعل كما في البداية، وحارب كما لو كنت لا تزال غير مجروح.

ومع ذلك، فإن العلاج الأكثر فعالية ضد هذه الدوافع المفاجئة هو إزالة السبب من حيث تنطلق. وبالتالي، إذا اكتشفت أنه من خلال عاطفتك تجاه أي شيء، فإنك تدخل في اضطراب ذهني مفاجئ كلما تم تقديمه لك، فإن العلاج هو بمثابرة الجهود لسحب عاطفتك منه.

ولكن إذا كان الاضطراب ينبع من شخص لا تتفق معه إلى حد أن كل تصرفاته الصغيرة تزعجك وتزعجك، فإن العلاج هنا هو أن تجبر نفسك على محبته والاعتزاز به، ليس فقط كمخلوق تم تشكيله بنفس اليد السيادية معك، وتم خلقه من جديد بنفس الدم الإلهي، ولكن أيضًا لأنه يقدم لك فرصة، إذا قبلتها، لتصبح مثل ربك، الذي هو لطيف ومحب لجميع البشر.

الفصل التاسع عشر
عن طريق مقاومة خطايا الجسد

ويجب مقاومة هذه الخطايا بطريقة خاصة بها، ومختلفة عن الطريقة المستخدمة ضد أي إغراء آخر.
ولذلك، لكي تنجح المقاومة، لا بد من مراعاة ثلاث فترات.

1. قبل التجربة.
1. أثناء التجربة.
ثالثا. بعد الإغراء.

1. قبل التجربة، يجب أن يكون الصراع ضد الأشياء التي تسببها بشكل عام.
أولاً، عليك أن تحارب الرذيلة، لكن لا تواجهها أبداً؛ على العكس من ذلك، تجنب بأقصى ما في وسعك كل مناسبة وكل شخص قد يتعرض فيه لأدنى خطر. وإذا اضطررت في بعض الأحيان إلى التحدث مع هؤلاء، فليكن ذلك باختصار، بسلوك جدي ومتواضع، وبعوالم من القسوة بدلاً من الحنان المفرط والوداعة.

ولا تكن واثقًا من نفسك إذا كنت حراً، وخلال سنوات عديدة من هذه التمارين استمرت متحررًا من إغراءات الجسد؛ لأن هذه الرذيلة اللعينة تتقدم سراً، وغالبًا ما تفعل في ساعة واحدة ما فشلت في تحقيقه طوال سنوات عديدة؛ وكلما كان الألم أشد خطورة، كلما كانت الجروح قاتلة، وكلما كان الشكل الذي تتخذه أكثر ودية، وبدا أن سبب الشك أقل.

وكثيرًا ما يكون هناك خطر كبير، كما أظهرت التجربة وما زالت تظهر، في الاتصال الجنسي الذي يُمارس تحت ذرائع عادلة ومشروعة، مثل القرابة، أو علاقات الواجب، أو، مرة أخرى، الفضيلة الكبيرة في الشخص المحبوب. لأن لذة الحس المسمومة تتسلل إلى هذا الاتصال المتكرر وغير الحكيم، وتضخ سمومها تدريجيًا، حتى تخترق نخاع الروح وتظلم العقل أكثر فأكثر، حتى لا يتم في النهاية مراعاة الأشياء الخطيرة حقًا، مثل نظرات الحنان المتبادلة، والكلمات المحبة، والاستمتاع بالمحادثة؛ وهكذا، فإن التغيير الذي يزحف على كليهما، يقعان أخيرًا في الدمار، أو في بعض الإغراءات الأكثر صعوبة وصعوبة في التغلب عليها.

مرة أخرى أقول لك، حلق! لأنك كالقش. ثق بعدم القيام بذلك
أن يستحم ويمتلئ بالماء لهدف صالح وقوي، وأن يكون عازمًا ومستعدًا للموت بدلاً من الإساءة إلى الله؛ لأن حرارة النار الملتهبة بالتحريك المتكرر سوف تجفف تدريجيًا مياه عزيمتك الصالحة، وعندما تكون على أقل تقدير، سوف تلهبك لدرجة أنك لن تحترم أصدقاء ولا أقرباء، ولا تخاف الله، ولا تهتم بالحياة أو الشرف ولا بكل آلام الجحيم. لذلك طير، طير لئلا يُدركك ويُؤسرك ويُقتل.

ثانياً: اجتنب البطالة، وكن يقظاً، وانشغل بالأفكار والأعمال التي تناسب حالك في الحياة.
ثالثًا، لا تقاوم أبدًا إرادة رؤسائك؛ ولكن أظهر لهم طاعة جاهزة، وتنفيذ جميع أوامرهم على الفور، وأكثر من يتواضعون لك، وأكثر من يعارضون إرادتك الطبيعية وميلك.

رابعاً: احذر من إطلاق الأحكام المتسرعة على جارك، خاصة فيما يتعلق بهذه الرذيلة؛ وإن كان قد سقط ظاهرًا، فارحمه؛ لا تكن مريرًا عليه ولا تحتقره.

بل اجمع من سقوطه ثمرة التواضع ومعرفة الذات، معترفًا بأنك مجرد تراب ورماد، مقتربًا من الله في الصلاة، ومتجنبًا بعناية أكثر من أي وقت مضى كل تعامل قد يكون فيه حتى ظل خطر.

لأنه إذا كنت مستعدًا للحكم على الآخرين واحتقارهم، فإن الله سوف يؤدبك على نفقتك، ويجعلك تقع في نفس الخطأ حتى يقنعك بضعفك، حتى بمثل هذا الإذلال يمكن شفاء الخطيتين.

وحتى لو أفلتت من هذه الخطيئة، ما لم تضع جانبًا حكمك غير الرحيم على الآخرين، فإن حالتك ستكون غير آمنة على الإطلاق.
خامسًا وأخيرًا، احذر، عندما تجد نفسك محظوظًا ببعض التمتع بالمسرات الروحية، تشعر ببعض الرضا عن النفس الباطل فيها، وتتخيل نفسك شيئًا ما، وأن أعداءك لم يعودوا الآن قادرين على الاعتداء عليك، لأنك تبدو لنفسك أنك تنظر إليهم باشمئزاز ورعب وكراهية. إذا كنت غير حذر في هذا الأمر، فسوف تسقط بسهولة.

ثانيا. أثناء التجربة، فكر فيما إذا كانت تنبع من أسباب داخلية أم خارجية.

وأقصد بالخارج فضول العيون أو الأذنين، واللين الزائد في اللباس والعادات والأحاديث، مما يثير هذه الخطيئة.
والعلاج في هذه الحالة هو الطهارة والحياء والامتناع عن رؤية أو سماع أي شيء يثير هذه الرذيلة، والقتال كما قلت من قبل.

أما الداخلي فهو إما تمرد الجسد، أو أفكار الجسد
العقل نابع من عاداتنا الشريرة أو من تلميحات الشيطان.

يجب أن يُميت تمرد الجسد بالأصوام، والتأديبات، والسهرات، وغيرها من أعمال التقشف المشابهة، كالتقدير والحكمة.
قد توجه الطاعة.
أما علاج الأفكار الشريرة مهما كان مصدرها فهو كما يلي:

1. الانخراط في مختلف الواجبات المناسبة لحالة حياتنا.
2. الصلاة والتأمل. يجب أن تكون الصلاة على النحو التالي: عندما تشعر أولاً بوجود هذه الأفكار الشريرة، أو حتى تلك التي قد تقترب منها، اهرب فوراً إلى المصلوب قائلاً: "يا يسوع! يا يسوعي اللطيف! ساعدني بسرعة، حتى لا أقع في أيدي هذا العدو." وأحياناً، وأنت تعانق الصليب الذي يمتد عليه سيدك، وتقبل مراراً وتكراراً جراحات قدميه المقدستين، تقول بمحبة: " أيتها الجراحات الجميلة، الجراحات الطاهرة، الجراحات المقدسة!

إجرح الآن قلبي النجس البائس هذا، وحرره من كل ما يسيء إليك."

في اللحظة التي تهاجمك فيها إغراءات الملذات الجسدية، لا أنصحك بالتأمل في بعض النقاط الموصى بها في العديد من الكتب كعلاج ضد هذه الإغراءات، مثل خسة هذه الرذيلة، وشهوتها التي لا تشبع، والمرارة والبغضاء، وخطر وتدمير الممتلكات والحياة والشرف وما إلى ذلك التي تتبع في قطارها.

هذه ليست دائمًا طريقة معينة للتغلب على الإغراء؛ لأنه إذا صد العقل هذه الأفكار من ناحية، فإنها توفر لنا فرصة، من ناحية أخرى، وتعرضنا لخطر الاستمتاع بها والموافقة عليها. ولذلك فإن العلاج الحقيقي في كل هذه الحالات هو القتال، ليس من هذه الأفكار وحدها، بل من كل شيء قد يعرضنا أمامنا، مهما كان مخالفًا لها.

فليكن تأملك إذن لهذه الغاية في حياة وآلام فادينا المصلوب.

وإذا تطفلت نفس الأفكار مرة أخرى ضد إرادتك، وأزعجتك أكثر من أي وقت مضى، كما سيحدث على الأرجح، فلا تثبط عزيمتك على هذا الحساب، ولا تترك تأملك، بل واصله بكل شدة ممكنة؛ ولا حتى تتحول عنه لصد مثل هذه الأفكار، ولكن لا تهتم بها أكثر مما لو كانت لا تخصك بأي حال من الأحوال. لا توجد طريقة أفضل من هذه لمقاومتهم، إلى أي مدى قد تكون هجماتهم متواصلة.

ستختتم بعد ذلك تأملك بهذا الدعاء أو بدعاء مشابه: "نجني، يا خالقي وفادي، من أعدائي، إلى إكرام آلامك وصلاحك الذي لا يوصف." لا تسمح لأفكارك أن تتكرر مرة أخرى حول الموضوع؛ لأن مجرد تذكرها لا يخلو من الخطر.

لا تبقى في أي وقت للتفكير في مثل هذه الإغراءات، لمعرفة ما إذا كنت قد وافقت عليها أم لا؛ لأن هذا هو تدبير الشيطان الذي يريد، تحت مظهر الخير، أن يزعجك ويجعلك مرتابًا وضعيف القلب، أو يأمل، من خلال توريطك في مثل هذه المناقشات، أن يجرك إلى بعض الخطيئة.

لذلك، في هذه التجربة، عندما لا تكون الموافقة واضحة، يكفي أن تعترف بكل شيء باختصار لأبيك الروحي، ثم تكتفي برأيه، دون أن تفكر فيه أكثر.

ولكن احرص على أن تكشف له كل فكرة بأمانة؛ ولا يمنعهم من ذلك الخجل أو أي اعتبار آخر.
لأنه إذا كنا، في التعامل مع جميع أعدائنا، بحاجة إلى نعمة التواضع حتى نتمكن من إخضاعهم، فإننا في هذه الحالة أكثر من أي حالة أخرى يجب علينا أن نتواضع؛ هذه الرذيلة تكون دائمًا تقريبًا عقوبة الكبرياء.

ثالثا. عندما ينتهي الإغراء، مهما كنت حر ًا، ومهما كنت تشعر بالأمان التام من الخطر، ابتعد عن كل تلك الأشياء التي أدت إلى الإغراء، على الرغم من أنه يجب حثك على القيام بخلاف ذلك لتحقيق نهاية جيدة ومفيدة على ما يبدو. فإن هذا خداع لطبيعتنا الشريرة، وفخ لخصمنا الماكر الذي يتحول إلى ملاك نور ليدخلنا إلى الظلمة.

الفصل العشرون

كيفية محاربة الكسل

لتجنب الوقوع في عبودية الكسل البائسة، والتي لن تعيق تقدمك نحو الكمال فحسب، بل ستسلمك أيضًا إلى أيدي أعدائك، يجب عليك مراعاة القواعد التالية:

1. ابتعد عن كل فضول تجاه الأمور الدنيوية وكل ارتباط بها، وكذلك كل نوع من المهن التي لا تنتمي إلى حالتك الحياتية.

2. اجتهد في الاستجابة فورًا لكل إلهام من فوق، ولكل أمر من رؤسائك؛ القيام بكل شيء في الوقت المناسب وبالطريقة التي ترضيهم.

3. لا تسمح لنفسك أبدًا بالتأخير لحظة واحدة؛ لأن هذا التأخير البسيط سيتبعه قريبًا آخر، وهذا بثالث، وهذا مرة أخرى بواسطة آخرين؛ وحتى النهاية سوف تستسلم الحواس وتفسح المجال بسهولة أكبر من الأولى، بعد أن كانت مفتونة بالفعل ومستعبدة للمتعة التي تذوقتها فيها.

ومن ثم فإن الواجب الذي يتعين القيام به إما أن يبدأ بعد فوات الأوان، أو في بعض الأحيان يتم تجاهله تمامًا، لأنه أمر مزعج للغاية بحيث لا يمكن تحمله.

وهكذا، بالتدريج، يتم اكتساب عادة الكسل، والتي، لأننا لا نستطيع أن نخفيها عن أنفسنا، نسعى إلى تبريرها بأغراض عبثية من الاجتهاد والنشاط المستقبلي، بينما نحن دائمًا مقيدين بها.

سم الكسل ينتشر في الإنسان كله؛ لا يقتصر الأمر على إصابة الإرادة بجعل المجهود مكروهًا لها، بل يعمي الفهم أيضًا، بحيث لا يتمكن من رؤية مدى عبث ولا أساس لنواياه في القيام بسرعة واجتهاد في وقت ما في المستقبل بما يجب القيام به في وقت واحد، ولكن إما يتم إهماله عمدًا تمامًا أو تأجيله إلى وقت آخر.

ولا يكفي أن نقوم بعملنا المعين لنا بسرعة؛ ويجب علينا، لكي نصل به إلى أعلى مستوى ممكن من الكمال، أن نفعل ذلك في نفس الوقت الذي تتطلبه طبيعته وجودته، وبكل الاجتهاد المناسب.

فهذا ليس اجتهادًا، بل هو أدق أشكال الكسل، الذي يقودنا إلى القيام بعملنا قبل وقته؛ لا نسعى إلى القيام بذلك بشكل جيد، بل نرسله على عجل، حتى نتمكن بعد ذلك من الانغماس في التباطؤ

السكينة التي كانت تسكنها أفكارنا بينما كنا نسرع في أعمالنا.

كل هذا الشر العظيم ينبع من الحاجة إلى النظر على النحو الواجب في قيمة العمل الصالح الذي يتم إنجازه في وقته المناسب، وبروح مصممة على تحمل الكدح والصعوبة التي تعترض طريق الجنود الذين لم تتم تجربتهم بسبب خطيئة الكسل.

تذكر إذن، مرارًا وتكرارًا، أن ارتفاعًا واحدًا من القلب إلى الله، أو ركوعًا واحدًا في إكرامه، أغلى من كل كنوز العالم؛ وأنه كلما عنفنا ضد أنفسنا وأهواءنا الخاطئة، فإن إكليل النصرة المجيد يعد لنا على أيدي الملائكة في ملكوت السماوات.

تذكر أيضًا، من ناحية أخرى، أن الله يستمد تدريجيًا من الكسلان النعمة التي سبق أن أنعم بها عليهم؛ بينما هو يزيد المجتهدين ويسمح لهم أخيرًا بالدخول إلى فرحه.

إذا كنت غير متكافئ في البداية لمواجهة جريئة مع الكدح والمشقة، قم بإخفائها عن نفسك، حتى لا تبدو هائلة كما قد يمثلها الكسل.

ربما يكون التمرين الذي أمامك هو اكتساب بعض الفضيلة من خلال العديد من الأفعال المتكررة، وأيام عديدة من الكدح؛ ويبدو لك أن الأعداء الذين يجب التغلب عليهم كثيرون وأقوياء. ابدأ بهذه الأفعال، كما لو كان لديك عدد قليل منها لتؤديها، ولكن عليك تحمل صراع بضعة أيام. حارب خصمًا واحدًا فقط، كما لو لم يكن هناك من يساندك، وكلك ثقة أنك بعون الله ستكون أقوى منهم. بهذه الوسيلة، سيبدأ الكسل في الضعف، ويفسح المجال أخيرًا للدخول التدريجي للفضيلة المعاكسة.

وأود أن أقول الشيء نفسه عن الصلاة. ربما تحتاج إلى صلاة ساعة؛ وهذا يبدو أمرًا صعبًا على الكسلان؛ لكن اجتهد فيها، كما لو كنت تنوي الصلاة ولكن لثماني ساعة، فسوف تنتقل بسهولة إلى ثمن آخر؛ وهكذا على العموم.

ولكن إذا شعرت في القسم الثاني، أو أي قسم آخر من هذه الأقسام، بالاشمئزاز والصعوبة الشديدين، فاترك التمرين لبعض الوقت، لئلا تصاب بالضجر؛ ولكن العودة إليها قريبا.

وينبغي عليك أن تتبع نفس الأسلوب في الأعمال اليدوية، عندما يطلب منك القيام بأشياء تبدو للكسل كثيرة العدد وصعبة الأداء، فتتسبب لك كثيرا.

اضطراب العقل. لذلك، ابدأ بهدوء وشجاعة بواحدة، كما لو أنه لم يعد لديك ما تفعله؛ وعندما تنجز هذا الأمر بجد، ستكون قادراً على أداء جميع المهام الأخرى بجهد أقل بكثير مما تعتقد أنه ممكن للكسل.

ولكن إذا لم تتبع هذا الأسلوب، وواجهت بحزم الكدح والمصاعب التي تكمن في طريقك، فإن رذيلة الكسل سوف تسيطر عليك، بحيث ستظل مضايقًا ومضايقًا إلى الأبد، ليس فقط من الكدح والصعوبات الحالية، التي ستصاحب دائمًا تمارين الفضيلة الأولى، ولكن حتى من الاحتمال البعيد لها. ستظل خائفًا إلى الأبد من التعرض للمحاكمة أو الهجوم من قبل الأعداء، أو تحميلك بعض الأعباء الجديدة؛ حتى أنه حتى في زمن السلام ستعيشون في قلق دائم.

واعلم أيضًا أن رذيلة الكسلان هذه لن تلتهم بسمومها السرية الجذور الأولى والضعيفة التي كانت ستنتج مع مرور الوقت عادات الفضيلة، بل حتى جذور العادات المكتسبة بالفعل. مثل دودة في الغابة، سوف تستمر في التآكل بشكل غير محسوس وأكل نخاع الحياة الروحية. بهذه الوسائل يسعى الشيطان إلى إيقاع جميع البشر وخداعهم؛ ولكن بشكل خاص الأشخاص الروحيين.

لذلك، اسهروا وصلوا واجتهدوا، ولا تتأخروا في نسج نسيج ثوب زفافكم، لكي تجدوا مستعدين للقاء العريس.

وتذكر كل يوم أن الذي يعطيك الصباح لا يعدك بالمساء؛ ومع أنه يعطي المساء، فإنه لا يعد بالغد.

لذلك، اقضِ كل لحظة من كل ساعة وفقًا لإرادة الله سوف، كما لو كانت الأخيرة الخاصة بك؛ وأكثر حذراً، لأنه في كل لحظة سيتعين عليك تقديم الحساب الأكثر صرامة.
أخيراً، أحذرك من حساب ذلك اليوم الضائع، على الرغم من أنه قد يكون مليئًا بالعمل، الذي لن تنتصر فيه على ميولك الشريرة وإرادتك الذاتية، ولن تشكر ربك على مراحمه، وخاصة على آلامه المريرة التي تحملتها من أجلك؛ ومن أجل تأديبه الحلو والأبوي، عندما جعلك مستحقًا أن تأخذ على يده كنز الألم الذي لا يقدر بثمن.

تنظيم الحواس الخارجية وكيفية الانتقال منها إلى تأمل الألوهية

هناك حاجة إلى يقظة كبيرة وتمرين مستمر من أجل الترتيب والتنظيم المناسبين للحواس الخارجية؛ لأن الشهية، التي هي قائدة طبيعتنا الفاسدة، تدفعنا إلى البحث المفرط عن اللذة والمتعة؛ ولأنه غير قادر على تحقيق هذه الأهداف بمفرده، فهو يستخدم الحواس كجنود له، وكأدوات طبيعية للسيطرة على الأشياء التي يرسم صورها لنفسه ويطبعها في العقل. ومن هنا تنشأ اللذة التي، بسبب العلاقة القائمة بينها وبين الجسد، تنتشر في جميع الحواس القادرة عليها، وتصيب النفس والجسد بالعدوى المشتركة التي تفسد الكل.

ترى الشر. الآن ضع علامة على العلاج.

انتبه جيداً حتى لا تدع حواسك تتجول بحرية حيثما تشاء؛ ولا استخدامها عندما تكون المتعة وحدها، وليس المنفعة أو الضرورة أو أي نهاية جيدة، هي الدافع. وإذا سمح لهم عن غير قصد بالتجول بعيداً، فاذكرهم على الفور؛ أو ينظمونها، فبدلاً من البقاء كما كان من قبل في أسر بائس للملذات الفارغة، يمكنهم جمع غنيمة نبيلة من كل شيء عابر، وإعادتها إلى الروح، حتى تتمكن، مجتمعة داخل نفسها، من النهوض بنضال أكثر ثباتًا نحو السماء إلى تأمل الله. والذي يمكن القيام به بالطريقة التالية:

عندما يُعرض أي شيء أمام إحدى حواسك الخارجية، افصل في عقلك عن الشيء المادي المبدأ الذي فيه؛ وتعكس أنها في حد ذاتها لا تمتلك شيئًا من كل ما يبدو أنها تملكه، بل أن كل شيء هو عمل الله، الذي يمنحها بشكل غير مرئي بروحه الكينونة أو الجمال أو الخير أو أي فضيلة تنتمي إليها. ثم افرح بأن ربك وحده هو سبب ومبدأ هذه الكمالات العظيمة المتنوعة، وأنها كلها متضمنة في نفسه بشكل بارز، وجميع الكمالات المخلوقة ليست سوى درجات دقيقة من كمالاته الإلهية اللامتناهية. عند الانخراط في تأمل الأشياء العظيمة والنبيلة، قم باختزال المخلوق عقليًا إلى العدم الخاص به؛ ثبت عقلك على الخالق العظيم الموجود فيها، والذي أعطاها ذلك العظيم والنبيل

كونك، وتتلذذ به وحده، قل: "أيها الجوهر الإلهي، وفوق كل شيء مطلوب، كم أفرح كثيراً لأنك وحدك المبدأ اللامتناهي لكل كائن مخلوق!"

وبالمثل، عند رؤية الأشجار أو النباتات أو أشياء مماثلة، ستدرك أن الحياة التي لديهم، ليست لهم من أنفسهم بل من الروح الذي لا تراه، والذي وحده يحييهم. فقل إذن: "انظروا هنا إلى الحياة الحقيقية التي منها وبها وبها يحيا كل شيء وينمو! يا فرح هذا القلب الحي".

لذلك، عند رؤية الحيوانات غير الحية، ارفع أفكارك إلى الله الذي أعطاها الإحساس والحركة، قائلاً: "يا أيها المحرك الأول لكل تحرك، أنت ثابت، فكم أفرح بثباتك وثباتك!"

وإذا انجذبت إلى جمال المخلوق، فافصل ما تراه عن الروح الذي لا تراه، واعتبر أن كل ذلك الجمال الخارجي مستمد فقط من الروح غير المرئي الذي هو مصدره؛ وأقول بفرح: "ها هي جداول من الينبوع غير المخلوق، هذه هي قطرات من محيط كل خير لا نهاية له. آه، كيف يفرح قلبي العميق بفكرة ذلك الجمال الأبدي اللامتناهي الذي هو مصدر وأصل الجمال المخلوق كله!"

وعند اكتشاف صلاح أو حكمة أو عدل أو ما شابه ذلك من الفضائل في الآخرين، اصنع نفس الانفصال العقلي، وقل لله:
"أيها الكنز الغني بكل الفضائل، كم أبتهج كثيراً لأنه منك ومن خلالك وحدك يتدفق كل الخير، وأن كل شيء بالمقارنة مع كمالاتك الإلهية هو لا شيء! أشكرك يا رب على هذه وعلى كل هدية جيدة قدمتها إلى قريبي. تذكر يا رب فقري وحاجتي الكبيرة إلى هذه الفضيلة ذاتها."

عندما تمد يدك لفعل أي شيء، فكر في أن الله هو السبب الأول لهذا الفعل، وأنك مجرد أداته الحية. وارفع أفكارك إليه وقل: "ما أعظم فرحتي الداخلية، أيها الرب الأعظم، لأنني بدونك لا أستطيع أن أفعل شيئًا، وأنك في الحقيقة العامل الأول والرئيسي لكل الأشياء!" عندما تأكل أو تشرب، ضع في اعتبارك أن الله هو الذي يمنح طعامك لذته. فتلذذ بنفسك به وحده، فقل:

"افرحي يا نفسي أنه كما أنه لا رضاء حقيقي إلا بالله، كذلك به وحده تكتفي في كل شيء."

عندما تشبع حواسك برائحة طيبة، فلا ترتاح في هذه المتعة، بل دع أفكارك تنتقل إلى الرب الذي منه تستمد هذه العذوبة. وقل، متعزيًا داخليًا بهذا الفكر:

"امنحني يا رب أنه كما أفرح لأن كل عذوبة تنبع منك، كذلك فلتصعد نفسي، النقية والمتحررة من كل ملذات دنيوية، إلى العلاء كرائحة حلوة مقبولة لديك." عندما تستمع إلى تناغم الأصوات العذبة، دع قلبك يتجه إلى الله قائلاً: "كيف أفرح، يا ربي وإلهي، بكمالاتك اللامتناهية، التي لا تصنع في داخلك تناغمًا سماويًا فائقًا فحسب، بل أيضًا توحد ملائكة السماء وجميع الكائنات المخلوقة في تناغم واحد رائع!"

كيف تكون الأشياء نفسها بالنسبة لنا هي وسيلة لضبط حواسنا، وتقودنا إلى التأمل في الكلمة المتجسد في أسرار حياته وآلامه

لقد أوضحت لك كيف يمكننا أن نرفع عقولنا من الأشياء المعقولة إلى التأمل في اللاهوت. وتعلم الآن كيفية استغلال الفرصة للتأمل في الكلمة المتجسد، وأقدس أسرار حياته وآلامه.

كل الأشياء في الكون يمكن أن تخدم هذه الغاية، إذا نظرت أولاً إلى الله فيها باعتباره السبب الأول الوحيد، الذي منحها كل الوجود والجمال والتميز الذي تمتلكه. بالانتقال من هذا، فكر في مدى عظمة صلاحه وعدم قياسه؛

الذي، بصفته المبدأ الوحيد ورب الخليقة كلها، سُرَّ أن ينحدر إلى هذا الحد حتى يتجسد، ويتألم ويموت لأنه سمح لأعمال يديه ذاتها أن تتسلح ضده، وأن تصلبه. العديد من الأشياء ستجلب هذه الأسرار المقدسة أمام عين عقلك، مثل الأسلحة، والحبال، والسياط، والأعمدة، والأشواك، والقصب، والمسامير، والمطارق، وغيرها من أدوات آلامه.

سوف تذكر الأكواخ الفقيرة في ذاكرتنا مذود ومذود ربنا. سيذكرنا المطر بقطرات الدم الإلهي التي سقطت من جسده الأقدس في الجنة وسقت الأرض. الصخور

سيمثل لنا أولئك الذين تمزقوا عند موته. ستذكرنا الأرض بالزلزال في تلك الساعة؛ الشمس والظلمة التي غطتها بعد ذلك. إن منظر الماء سيحدثنا عن ذلك النهر الذي كان يتدفق من جنبه الأقدس.

ويمكن قول الشيء نفسه عن أشياء أخرى مماثلة.

+ ليذكرك طعم الخمر أو أي سائل آخر بخل ومرار الرب.

+ إن كانت الروائح الطيبة تنعشك، ففكر في مخلص الأجساد الشريرة التي كانت حوله على الجلجثة.

+ تذكر أثناء لبسك أن الكلمة الأزلي لبس جسداً بشريًا لكي يلبسك لاهوته.

+ عندما تعريتها، اذكر المسيح الذي عُرِّع من ثيابه ليُجلد ويُصلب من أجلك.

+ إن سمعت صراخ الجمع وصرخاته، فكر في تلك الكلمات البغيضة: "خذه، خذه! اصلبه، اصلبه!" التي بدت في أذنيه الإلهيتين.

V عند كل ضربة من الساعة، فكر في ذلك الحزن العميق وثقل القلب الذي سئر يسوع أن يتحمله في البستان، عندما بدأ الخوف من موته الوشيك وآلامه يسقط عليه؛ أو تصور في نفسك تلك الضربات القوية التي سمرته على الصليب.

في أي مناسبة حزن أو حزن تظهر، سواء كانت مناسبة لك أو لشخص آخر، فكر في أن كل هذه الأشياء هي لا شيء، مقارنة بالألم الذي لا يمكن تصوره والذي اخترق وعصر نفس وجسد ربك.

وبعض الوسائل الأخرى التي يمكننا من خلالها تنظيم حواسنا وفقًا للمناسبات المختلفة التي تظهر

والآن بعد أن رأيت كيف يمكننا أن نرفع العقل من الأشياء المحسوسة إلى التأمل في اللاهوت وأسرار الكلمة المتجسد، سأضيف هنا بعض المساعدات لمواضيع التأمل المختلفة، حتى أنه كما أن أذواق النفوس كثيرة ومتنوعة، كذلك قد يكون غذاؤها أيضًا. قد يكون هذا أمرًا فظيعًا، ليس فقط للأشخاص البسطاء، ولكن أيضًا لأولئك الذين يتمتعون بذكاء أعلى وأكثر تقدمًا في الحياة الروحية، والذين مع ذلك قد لا يكونون في جميع الأوقات على نفس القدر من الاستعداد والجاهزية لتأملات أعلى.

ولا داعي للخوف من أن تحتار بسبب تنوع الأساليب الموصوفة، إذا كنت ستلتزم فقط بقاعدة التقدير، وتهتم بنصائح الآخرين؛ والتي أتمنى منك أن تتبعها بكل تواضع وثقة، ليس في هذه الحالة فقط، ولكن فيما يتعلق بجميع النصائح الأخرى التي ستتلقاها مني.

+ عند رؤية كل الأشياء التي تبهر العيون، والثمينة على الأرض، اعتبر أن هذه كلها حقيرة كالتراب مقارنة بالثروات السماوية، وبعد ذلك، تحتقر الأرض كلها، تطمح إلى عواطف غير منقسمة.

+ عندما تنظر إلى الشمس، اعتبر أن نفسك أكثر إشراقًا وجمالاً إذا كانت في صالح خالقك. وإلا فهو أشد سواداً وأبغض من ظلمة جهنم.

عندما ترتفع عيون جسدك إلى السماء فوقك، فلتنفذ عيون ذهنك إلى سماء V السموات. وهناك ثبت نفسك في الفكر كما في المكان المعد لمسكنك الأبدي المبارك، إذا كنت ستعيش حياة مقدسة على الأرض.

+ عند سماع تغريد الطيور أو غيرها من الأصوات الرخيمة، ارفع قلبك إلى ترنيمة الفردوس، حيث يتردد صوت هلليلويا الذي لا ينقطع؛ وصلوا إلى الرب أيضًا ليجعلكم أهلاً لتسبيحه مع تلك الأرواح السماوية، إلى أبد الآبدين. إذا كنت تشعر بالتلذذ بجمال المخلوق، تذكر أن الحية القاتلة تكمن هناك مختبئة، مستعدة ومشتاقة لجرحك، إن لم يكن لقتلك، وقل له: "أيتها الحية الملعونة، أنت تتربص لي لتبتلعني!" ثم توجه إلى الله وقل: "تبارك

أنت يا إلهي 0 الذي كشف لي العدو الخفي وأنقذني من فكيه المفترسين."

ثم اهرب فوراً من الانجذاب إلى جراحات سيدك المصلوب، واجعل ذهنك يستقر عليها، متأملاً مدى حدة الألم الذي عانى منه في جسده الأقدس حتى يحررك من الخطية، ويجعلك تكره كل المسرات الجسدية. هناك طريقة أخرى للهروب من هذا الإغراء المحفوف بالمخاطر وهي أن تفكر في الحالة التي ستكون عليها، بعد الموت، ذلك الشيء الذي يبهجك الآن.

+ تذكر عند المشي أن كل خطوة تقربك من الموت.

+ ليذكرك صراع الطيور وجريان المياه أن حياتك تتسارع نحو نهايتها.

+ فلتذكرك عواصف الريح والبرق والرعد بيوم الدينونة العظيم؛ وركع واعبد الله واطلب منه أن يمنحك الوقت والنعمة اللازمتين لتهيئ نفسك للمثول أمام جلالته.

في كثير من الحوادث التي قد تصيبك، درب نفسك على هذا النحو:

+ عندما، على سبيل المثال، عندما يضطهدك الحزن أو الكآبة، أو تعاني من الحرارة أو البرودة أو ما شابه ذلك، ارفع قلبك إلى تلك الإرادة الأبدية، التي من أجل إرادتك الصالحة، أنه في مثل هذا الوقت وبمثل هذا التدبير يجب أن تتحمل هذا الانزعاج. ثم، ابتهج بالحب الذي أظهره لك الله، وبفرصة خدمته بالطريقة التي يسرها أن يعينها، قل في قلبك: "ها فيّ قد تمت الإرادة الإلهية. التي عينتني منذ الأزل بمحبة أن أتحمل الآن هذه التجربة. لك كل الحمد على ذلك، يا ربي الكريم!"

+ عندما يخطر في ذهنك أي فكر صالح، اتجه فوراً إلى الله، وارفعه إليه واشكره عليه.

+ عند القراءة أنظر إلى الرب في الكلمات، واستقبلها كأنها من شفتيه الإلهيتين.

+ عندما تنظر إلى الصليب المقدس، إعتبر أنه هو مستوى حربك؛ أنه من خلال تركها سوف تقع في أيدي أعداء قساة، ولكن من خلال اتباعها سوف تدخل السماء محملة بالغنائم المجيدة.

+ عندما ترى صورة السيدة العذراء مريم العزيزة، فليتجه قلبك نحوها التي تملك في الفردوس، شاكراً لها أنها كانت.

على استعداد دائمًا لتنفيذ مشيئة الله، وأنها أنجبت وغذت فادي العالم، وأن نعمتها ومساعدتها لا تخذلنا أبدًا في صراعنا الروحي.

+ إن صور القديسين تمثل لك الكثير من الأبطال، الذين، إذ ركضوا بشجاعة، فتحوا لك طريقًا، فيه، إذا تقدمت إلى الأمام، تكلل أنت أيضًا معهم بالمجد الأبدي.

+ عندما ترى كنيسة، يمكنك، وسط تأملات تعبدية أخرى، أن تعتبر أن نفسك هي هيكل الله، ولذلك يجب أن تظل طاهرة وبلا دنس كمسكن له.

+ عندما تسمع الصوت الثلاثي لصلاة التبشير الملائكي، قم بالتأملات المختصرة التالية بما يتوافق مع الكلمات التي تقال قبل كل تلاوة للسلام عليك يا مريم. عند قرع الجرس الأول، نشكر الله على تلك الرسالة من السماء إلى الأرض التي كانت بداية خلاصنا. وفي الثانية، افرحوا مع مريم المباركة بالكرامة السامية التي ارتفعت إليها بتواضعها الفريد والعميق. وفي الثالثة، اعبدوا مع الأم المباركة والملاك جبرائيل، الطفل الإلهي الذي حبل به للتو؛

ولا تنس أن تحني رأسك بوقار عند كل إشارة، وخاصة الأخيرة.

هذه التأملات سوف تخدم جميع الفصول. ما يلي، والمقسم إلى الصباح والظهيرة والمساء، ينتمي إلى آلام ربنا، لأننا ملتزمون بشدة في كثير من الأحيان أن نتذكر الحزن الذي عانت منه سيدتنا بسبب هذا السبب، ونحن الأكثر جحودًا للجميل إذا أهملنا ذلك.

+ وفي المساء تذكر إذًا آلام تلك العذراء الطاهرة بسبب العرق الدموي والأسر والأحزان الخفية لابنها المبارك.

+ وفي الصباح اشفق على مذلتها عند عرضه أمام بيلاطس وهيرودس. إدانته، وحمل صليبه.

+ في منتصف النهار، تأمل في سيف الألم الذي جرح قلب تلك الأم المنكوبة عند صلب الرب وموته، والطعن القاسي لجنبه الأقدس.

يمكن القيام بهذه التأملات في أحزان السيدة العذراء من مساء الخميس حتى ظهر السبت، والأخرى في بقية أيام الأسبوع. ومع ذلك، أترك كل هذا لك

التفاني الخاص والمناسبات التي تقدمها الأشياء الخارجية؛ وللتعبير بكلمات قليلة عن الطريقة التي يجب أن تنظم بها حواسك، وتحرص في كل الأشياء وفي كل الظروف، على أن تتأثر وتنجذب، ليس عن طريق الكراهية أو الحب لهم، بل عن طريق إرادة الله وحده، أن تحب وتكره ما يريدك أن تكرهه أو تحبه فقط.

ولاحظ أنني لم أقدم لك هذه الأساليب لتنظيم الحواس حتى تتمكن من التفكير فيها؛ لأن ذهنك يجب أن يكون دائمًا ثابتًا على الرب، الذي يريد أن تجتهد من خلال الأعمال المتكررة في التغلب على أعدائك وعواطفك الخاطئة، سواء عن طريق مقاومتهم أو عن طريق القيام بأفعال مناقضة للفضائل؛ لكنني علمتهم لك أنك قد تعرف كيف تحكم نفسك في المناسبات الضرورية.

إذ يجب أن تعلم أن الثمر قليل في كثرة الرياضات الروحية. والتي، مهما كانت ممتازة في حد ذاتها، غالبًا ما تؤدي إلى الحيرة العقلية، وحب الذات، وعدم الاستقرار، وفخ الشيطان.

الفصل الرابع والعشرون

من طريقة حكم اللسان

من الضروري جداً أن يكون اللسان ملجمًا ومنظمًا جيداً لأننا جميعًا نميل بشدة إلى السماح له بالعمل على تلك الأشياء الأكثر إرضاءً للحواس.

الكثير من الكلام ينبع عادة من الكبرياء. نحن نقنع أنفسنا بأننا نعرف الكثير؛ نحن نستمتع بغرورنا، ونحاول من خلال التكرار غير الضروري أن نطبعها في أذهان الآخرين، حتى نتمكن من السيطرة عليهم، كما لو كانوا بحاجة إلى تعليمات منا.

ليس من الممكن التعبير بكلمات قليلة عن الشرور الكثيرة التي تنشأ من كثرة الكلام.
الثرثرة أم الكسل، علامة الجهل والحماقة، باب الافتراء وزير الباطل، المدمر للعبادة. إن كثرة الكلمات تزيد الأهواء الشريرة قوة، مما يسهل أيضًا دفع اللسان إلى الكلام الطائش.

لا تنغمس في محادثات طويلة مع أولئك الذين لا يرغبون في سماعك لئلا تتعبهم؛ ولا مع من يحب الاستماع إليك لئلا تتجاوز حدود الحياء.

تجنب التحدث بصوت عالٍ وإيجابي، فهو ليس فقط قبيحًا في حد ذاته، ولكنه أيضًا علامة على الوقاحة والغرور.
لا تتحدث أبداً عن نفسك أو عن أفعالك أو عن عشيرتك إلا في حالة الضرورة القصوى، وبعد ذلك بكل اختصار وتحفظ ممكن. إذا بدا أن الآخرين يتحدثون كثيراً عن أنفسهم، فحاول أن تضع بناءً إيجابيًا على سلوكهم؛ لكن لا تقلدهم، رغم أن كلماتهم تبدو وكأنها تميل إلى إذلال الذات واتهام الذات.

تحدث أقل ما يمكن عن جارك، أو عن أي شيء يتعلق به، إلا إذا عرضت المناسبة أن تقول شيئًا في مدحه.
تحدث عن الله عن طيب خاطر، وخاصة عن محبته وصلاحه؛ ولكن بخوف وحذر، لئلا تقع في الخطأ هنا أيضًا: بل استمتع بالاستماع بينما يتحدث الآخرون عنه، واحتفظ بكلماتهم في أعماق قلبك.

دع صوت أصوات الرجال يضرب أذنك فقط؛ هل في هذه الأثناء ترفع قلبك إلى الله؟ وإذا كان لا بد من الاستماع إلى كلامهم لفهمه والرد عليه، ولكن لا تهمل

أن تنظر إلى السماء حيث سكن الله، وتتأمل في سموه كما يرى دائمًا دناءتك.

تأمل جيداً ما يقترحه عليك قلبك قبل أن ينتقل إلى لسانك؛ لأنك ستدرك أن الكثير منهم سيكون من الأفضل قمعهم. لا، لا يزال بإمكاني أن أؤكد لك أنه من الأفضل بكثير، حتى ممن تعتقد أنه من المناسب التحدث، أن يدفنوا في صمت؛ وهكذا ستدرك، عند التأمل، عندما تكون فرصة التحدث قد فاتت.

الصمت حصن قوي في الجهاد الروحي، وعربون أكيد للنصر.

الصمت صديق من لا يثق بنفسه ويتوكل على الله. إنها حارس الصلاة المقدسة، ومعونة رائعة في ممارسة الفضيلة.

لكي تكتسب ممارسة الصمت، تأمل كثيراً في الفوائد العظيمة التي تنشأ منه، وفي شرور الثرثرة ومخاطرها. أحبوا هذه الفضيلة؛ ولكي تكتسب هذه العادة، التزم الصمت من حين لآخر، حتى في الأوقات التي يجوز لك فيها التحدث بشكل قانوني، بشرط ألا يكون ذلك مضراً بك أو بمساس بالآخرين.

وسوف يساعدك كثيراً على ذلك انسحابك من مجتمع الرجال؛ لأنه بدلاً من ذلك، سيكون لديك مجتمع الملائكة والقديسين والله نفسه.

وأخيراً، تذكر القتال الذي بين يديك، لأنه نظراً لأن لديك الكثير لتفعله، فقد تمتنع عن كل الكلمات غير الضرورية عن طيب خاطر.

أنه، لكي يحارب جندي المسيح بنجاح ضد أعدائه، يجب عليه أن يتجنب قدر الإمكان كل اضطراب واضطرابات ذهنية.

عندما نفقد راحة البال، يجب أن نبذل قصارى جهدنا لاستعادتها؛ ولا يوجد أي حادث في الحياة يمكن أن يكون له القدرة المعقولة على حرماننا من هذا السلام، أو حتى إزعاجه.

على خطايانا، لدينا بالفعل سبب للحزن العميق؛ لكن حزننا، كما بينت أكثر من مرة، يجب أن يكون هادئًا؛ وبالمثل، دون أي قلق، ولكن بشعور مقدس من المحبة، ينبغي لنا أن نتعاطف مع الخطاة الآخرين، ونبكي، على الأقل داخليًا، على إهاناتهم.

أما بالنسبة للأحداث الحزينة والمجهدة الأخرى، مثل المرض أو الجراح أو فقدان أعز الأصدقاء، أو الأوبئة، أو النار، أو الحرب، أو ما شابه ذلك من الشرور، على الرغم من أن هذه مؤلمة للطبيعة في معظمها يتجنبها رجال هذا العالم، ومع ذلك، يمكننا، بالنعمة الإلهية، ليس فقط أن نرغب فيها، بل حتى نحبها، باعتبارها تأديبات عادلة للأشرار، ومناسبات فضيلة للأبرار. ولذلك يسر الرب الإله بإرسالهم. وهكذا، وبموجب مشيئته، سنجتاز بروح هادئة وهادئة كل مرارة وتناقضات هذه الحياة. وتأكد أن كل انزعاج من جانبنا هو غير سار في عينيه. لأنه، مهما كان نوعه، فهو لا يخلو أبدًا من النقص، وينبع دائمًا من جذور شريرة لحب الذات.

لذلك، احتفظ بحارس يراقبك دائمًا، والذي بمجرد أن يميز اقتراب أي شيء من المحتمل أن يزعجك أو يزعجك، قد يعطيك إشارة لاستخدام أسلحتك للدفاع.

وتذكر أن كل هذه الشرور، وغيرها الكثير من النوع المماثل، على الرغم من أنها تبدو كذلك ظاهريًا، ليست في الواقع شرورًا حقيقية، ولا يمكنها أن تسرق منا أي خير حقيقي، ولكنها كلها أمر بها الله أو سمح بها من أجل الغايات الصالحة التي تحدثنا عنها، أو للآخرين الأكثر حكمة وقداسة، على الرغم من أنها خارج قدرتنا على التمييز.

لذا، عسى أن تعود علينا أسوأ الحوادث خيرًا كثيرًا، إذا فعلنا ذلك فقط وحافظنا على أرواحنا في سلام وهدوء؛ وإلا فإن جميع تمارينا ستنتج القليل من الفاكهة أو لا تنتج أي ثمار.

بالإضافة إلى ذلك، عندما يكون القلب مضطربًا، فإنه يتعرض دائمًا لاعتداءات العدو المتعددة: علاوة على ذلك، في مثل هذه الحالة، نكون غير قادرين على تمييز الطريق الصحيح وطريق القداسة الأكيد.
إن عدونا، الذي يكره هذا السلام قبل كل شيء، لأن روح الله يسكن ويعمل بشكل عجيب فيه، كثيراً ما يسعى في شكل ودي إلى سلبنا منه، عن طريق غرس في قلوبنا رغبات متنوعة لها مظهر الخير؛ ولكن يمكن اكتشاف طبيعتهم المخادعة من خلال هذا الاختبار من بين أمور أخرى، حيث أنهم يسلبوننا راحة البال.

لذلك، لتفادي مثل هذا الشر العظيم، عندما يُعلن الحارس عن اقتراب رغبة جديدة ما، لا تدخلها إلى قلبك بأي حال من الأحوال، حتى تقدمها أولاً إلى الله بإرادة حرة وغير متحيزة، وتعترف بجهلك وعماك، وتصلي إليه بحرارة من أجل النور لتمييز ما إذا كان يأتي منه أم من العدو. والجأ أيضًا، إن أمكن، إلى حكم أبيك الروحي.

وحتى لو كانت الرغبة من الله، فلا تبدأ في تنفيذها حتى تقضي على رغبتك؛ لأن العمل الذي يسبقه مثل هذا الإماتة سيكون أكثر قبولاً بالنسبة له مما لو تم أداؤه بكل اندفاع الطبيعة؛ كلا، قد يكون في بعض الأحيان أن الإماتة ترضيه أكثر من العمل نفسه.

وهكذا، عندما تطرح عنك كل الرغبات الشريرة، ولا تجرؤ على تنفيذ حتى الرغبات الصالحة إلا بعد أن تقوم أولاً بقمع دوافعك الطبيعية، فسوف تحافظ على حصن قلبك في أمان وسلام.

ومن أجل الحفاظ عليه في سلام تام، يجب عليك أيضًا أن تحرسه وتدافع عنه من بعض التوبيخ الذاتي الداخلي ومشاعر الندم، والتي تكون أحيانًا من الشيطان، على الرغم من أنها عندما يتهمونك ببعض الفشل، تبدو وكأنها تأتي من الله. ومن ثمارهم تعرف من أين ينطلقون.

فإن أذلوك، وإن جعلوك مجتهداً في العمل الصالح، وإن لم يأخذوا منك ثقتك بالله، فاستقبلهم بكل شكر كأنه من عنده. ولكن إذا يثبطونك، ويجعلونك خائفًا، ومرتابًا، ومتراخيًا، وضعيفًا في الأعمال الصالحة، فتأكد أنهم قادمون من العدو؛ لا تستمع إليهم، بل واصل تمرينك.

وبما أن القلق من اقتراب الأحداث المعاكسة يتزايد بشكل متكرر في قلوبنا، فيجب عليك القيام بأمرين لتجنب هذا الاعتداء.

+ الأول هو البحث بعناية واكتشاف ما هي هذه الأحداث الضارة بالنفس، أو بمحبة الذات والإرادة الذاتية.
لأنه إذا كانوا معارضين لإرادتك ومحبة الذات، وهم عدوك الرئيسي والأكبر، فلا يجب أن يطلق عليهم اسم معارضين، بل يجب تقديرهم بنعم خاصة ومعونة من الله العلي، ويتم قبولهم بقلب فرح وشكر.

وعلى الرغم من أنها ضارة بالنفس، إلا أنه لا ينبغي عليك لهذا السبب أن تفقد راحة البال، كما سأبين لك في الفصل التالي.

+ والثاني هو أن ترفع القلب إلى الله، وتقبل كل الأشياء على نحو أعمى من يد عنايته الإلهية، مملوءاً دائمًا ببركات متعددة تفوق قدرتك على الفهم، ولا تسعى إلى معرفة أي شيء أكثر.

الفصل السادس والعشرون

ماذا يجب أن نفعل عندما نجرح؟

عندما تشعر أنك مجروح بسبب ضعفك، أو حتى عن عمد وتعمد، في بعض الخطايا، لا تفرط في الخوف أو القلق، بل اتجه على الفور إلى الله قائلاً:

"يا رب، ماذا فعلت بنفسي! وماذا يمكن أن يتوقع مني إلا أن يسقط؟"

وبعد ذلك، بعد وقفة قصيرة، تواضع أمام نفسك، واحزن على الإساءة التي ارتكبتها ضد ربك؛ وبدون الوقوع في الإحباط، كن مملوءاً بالسخط على أهوائك الشريرة، خاصة تلك التي تسببت في سقوطك. ثم قل:

"ولا حتى هنا يا رب، ما كان يجب أن أتوقف، لو لم يمنعني صلاحك".

وهنا أشكره، وأحبه أكثر من أي وقت مضى، متعجبًا من فرط رحمته، الذي إذ أسأت إليه بشدة، بسط يده اليمنى لينقذك من سقوط آخر.

أخيراً، قل بثقة كبيرة في رحمته اللامتناهية:

"اغفر لي يا رب من أجل نفسك، ولا تدعني أبتعد عنك، ولا أنفصل عنك، ولا أسيء إليك إلى الأبد". وبعد هذا، لا تجلس تفكر هل عفا الله عنك أم لا؛ لأن هذا ليس إلا كبرياء، وقلقًا، وضياعًا للوقت، وتحت ذرائع عادلة مختلفة، ضلال الشيطان. ولكن، بتسليم نفسك دون تحفظ بين يدي الله الرحيمة، تابع تمرينك كما لو أنك لم تسقط.

وإذا سقطت مجروحًا عدة مرات في اليوم، كرر ما علمتك إياه بإيمان لا يقل في المرة الثانية والثالثة وحتى الأخيرة عن المرة الأولى؛ واحتقار نفسك وكراهية الخطيئة أكثر فأكثر، اجتهد لتعيش من الآن فصاعداً حياة تتسم بمزيد من اليقظة.

هذا التمرين يزعج الشيطان كثيراً، لأنه يراه أكثر قبولاً عند الله، وأيضًا لأنه يغضب عندما يرى نفسه متغلبًا على من انتصر عليه في البداية. ولذلك فهو يسعى بالعديد من الحيل الماكرة ليجعلنا نتخلى عنها؛ ومن خلال إهمالنا وقلة يقظتنا، فهو ينجح في كثير من الأحيان.

لذلك، كلما بدا لك هذا التمرين أصعب، كلما زاد العنف الذي يجب أن تفعله تجاه نفسك، وتجدده مرارًا وتكرارًا حتى بعد سقوط واحد.

وإذا شعرت بعد أي سقوط بعدم الارتياح وعدم الثقة والارتباك في ذهنك، فإن أول شيء يجب عليك فعله هو استعادة سلامك وهدوء عقلك، ومعه ثقتك في الله. مسلحين بهذه، ارجعوا إلى الرب. لأن انزعاجك بسبب خطيتك لا ينشأ من التفكير في الإساءة إلى الله، بل من الأذى الذي يلحق بك.

لاستعادة هذا السلام، تخلص تمامًا من فكرة سقوطك، واستعد للتأمل في صلاح الله الذي لا يوصف؛ كيف أنه مستعد وراغب إلى أبعد الحدود في مغفرة كل خطيئة، وكم هي خطيرة على الإطلاق؛ دعوة الخاطئ بطرق ووسائل متعددة ليأتي إليه، ليتحد به في هذه الحياة بنعمته لتقديسه، وفي الحياة الآتية بمجده لتطويبه الأبدي.

وبعد أن تهدئ ذهنك بهذه الأفكار وأمثالها، حوّل أفكارك مرة أخرى إلى سقوطك، وفقًا للتعليمات المعطاة لك أعلاه.

مرة أخرى، في وقت الاعتراف الأسرار، الذي أحثكم على اللجوء إليه بشكل متكرر، تذكّروا كل سقطاتكم، وبحزن وسخط متجددين على الإساءة إلى الله، وبتصميم متجدد على عدم الإساءة إليه مرة أخرى، واكشفوا عنها بكل إخلاص لأبيك الروحي.

من الوسائل التي يستخدمها الشيطان لمهاجمة هؤلاء وخداعهم
الذين يرغبون في تسليم أنفسهم لممارسة الفضيلة، وأولئك الذين وقعوا بالفعل في عبودية الخطيئة

يجب أن تعلم أن الشيطان لا يهدف إلا إلى تدميرنا، وأنه لا يستخدم نفس أسلوب الاعتداء مع جميع الأشخاص.
لكي أطلعك على بعض أساليب هجومه وحيله وحيله، سأضع أمامك عدة أحوال مختلفة للرجال.

+ البعض يظل في خدمة الخطية دون أن يفكر في الهروب.
+ قد يرغب البعض في أن يكونوا أحراراً، لكن لا يقومون بالمحاولة أبداً.
+ وآخرون يظنون أنهم سائرون في طريق القداسة، بينما هم بعيدون عنها.

+ وأخيراً، البعض بعد أن وصلوا إلى القداسة يسقطون فيها
هلاك أعمق.
وسوف نتحدث بشكل منفصل عن كل منهما.

من اعتداءات الشيطان ومكائده على الذين يستعبدهم في عبودية الخطية

عندما يمسك الشيطان إنسانًا في عبودية الخطية، فإن همه الأول هو أن يعمى عينيه أكثر فأكثر، ويصرف عنه كل ما قد يؤدي إلى معرفة حالته البائسة.

وهو لا يطرد منه فقط، بغرسه أفكاراً مضادة، كل الأفكار والإلهامات التي تدعوه إلى الاهتداء، بل بإتاحته فرصًا جاهزة، يجعله يسقط في خطايا أخرى أعظم. ومن ثم، كلما زاد عمى عمىه وأكثر قتامة، كلما أصبح مساره في الخطيئة يائسًا واعتياديًا؛ وهكذا، من العمى إلى العمى الأعمق، ومن الخطية إلى الخطيئة الأفظع، فإن حياته البائسة ستدور حتى الموت، ما لم يتدخل الله بنعمته لإنقاذه. إن علاج الإنسان في هذه الحالة التعيسة هو أن يكون مستعداً للانتباه جيداً للأفكار والإلهامات التي تدعوه من الظلمة إلى النور، صارخًا من كل قلبه إلى خالقه: "يا رب أعنني، أعنني سريعًا، ولا تتركني فيما بعد في ظلمة الخطية". ولا يفوته أن يكرر صرخة الرحمة هذه مراراً وتكراراً بهذه الكلمات أو ما شابهها.

إذا أمكن، فليلجأ فوراً إلى بعض الإرشاد الروحي، ويطلب المعونة والمشورة، حتى ينجو من قوة العدو.

وإذا لم يستطع أن يفعل ذلك الآن، فليطير بكل سرعة إلى الصليب، ويسجد أمامه؛ ويطلب الرحمة والمعونة أيضًا من والدة الإله.

وعلى هذه السرعة يعتمد النصر، كما ستتعلم في الفصل التالي.

الفصل التاسع والعشرون

من بين الفنون والحيل التي يستعبد بها أولئك الذين يعرفون بؤسهم، سيرغبون في أن يكونوا أحرارًا؛ وكيف أن قراراتنا غالبًا ما تكون غير فعالة

عندما يبدأ الإنسان في إدراك شر حياته، والرغبة في تغييرها، كثيرًا ما يخدعه الشيطان ويغلبه بوسائل مثل هذه:

"في الوقت الحاضر، في الوقت الحاضر."

"كراس، كراس" (غدًا، غدًا) بينما يصرخ الغراب.

"أود أولاً أن أفكر في هذا الأمر وأتخلص منه، وهذا الحيرة، حتى أتمكن بعد ذلك من منح نفسي هدوءًا أكبر للأمور الروحية.

هذا هو الفخ الذي وقع فيه، ولا يزال، العديد من الرجال يوميًا؛ والسبب في ذلك هو إهمالنا وغفلتنا، لأننا في أمر يتعلق بإكرام الله وخلاص النفس، نهمل أن نمسك على الفور بهذا السلاح الفعال: "الآن، الآن". لماذا "في الوقت الحاضر؟" "اليوم، اليوم؛" لماذا "غدا؟" فيقول كل واحد لنفسه:

"حتى لو افترضنا أن هذا "في الوقت الحاضر" وهذا "الغد" يجب أن يكون كذلك فهل من طريق السلامة والنصر أن أسعى أولاً إلى الجرح وارتكاب اضطرابات جديدة؟

ترى إذًا أن طريقة الهروب من هذا الفخ، والمذكور في الفصل السابق، وإخضاع العدو، هي بالطاعة الفورية لكل الأفكار والإلهامات السماوية.

أقول الطاعة الفورية، وليس مجرد القرارات؛ لأن هذه غالبًا ما تكون مغالطة، وقد تم خداع الكثيرين بها بطرق مختلفة

الأسباب.

+ أولا. لأن قراراتنا لا تقوم على عدم الثقة بالنفس والثقة في الله. لكن كبرياءنا المفرط، الذي يأتي منه هذا العمى والضلال، يمنعنا من إدراكه.

النور الذي نراه والدواء العلاجي كلاهما ينبعان من صلاح الله الذي يسمح لنا بالسقوط، لكي يعيدنا بذلك من الثقة بالنفس إلى الثقة به وحده، ومن الكبرياء إلى معرفة الذات.

لذلك، لكي تكون قراراتك فعالة، يجب أن تكون ثابتة؛ ولكي يكونوا صامدين يجب أن يتحرروا من كل ثقة بالنفس، وأن يكونوا متواضعين

على أساس الثقة بالله.

+ ثانيا. عندما نتخذ قراراتنا، فإننا نركز على جمال الفضيلة وتميزها الذي يجذب إرادتنا، مهما كانت ضعيفة وضعيفة؛ ولكن عندما نواجه الصعوبات التي تصاحب تحقيق الفضيلة، فإن الضعفاء الذين لم يُجربوا سوف يفشلون ويتراجعون.
تعلم إذن أن تحب الصعوبات التي تصاحب تحقيق جميع الفضائل أكثر من الفضائل نفسها، واستخدم هذه الصعوبات في تدابير مختلفة لتقوية إرادتك، إذا كنت ترغب بجدية في اكتساب هذه الفضائل.

واعلم أنه كلما تقبلت هذه الصعوبات بشجاعة ومحبة، كلما كان انتصارك على نفسك وعلى جميع أعدائك الآخرين أسرع وأكمل.

+ الثالث. في قراراتنا، غالبًا ما ننظر إلى مصلحتنا أكثر من إرادة الله واكتساب الفضائل التي يطلبها منا. هذا هو الحال في كثير من الأحيان مع القرارات التي يتم اتخاذها في أوقات الفرح الروحي العظيم أو الحزن الشديد، عندما يبدو أننا غير قادرين على العثور على أي راحة سوى التصميم على تسليم أنفسنا بالكامل لله وممارسة الفضيلة.

لتجنب هذا الفخ، احرص في أوقات العزاء الروحي على أن تكون شديد الحذر والتواضع في قراراتك، خاصة في عهودك ووعودك؛ وفي الضيقة، فليكن قرارك هو أن تحمل صليبك بصبر، حسب مشيئة الله، بل أن ترفعه، رافضًا كل ما هو أرضي، وحتى إذا كان الأمر كذلك، فكل تعزية سماوية. فلتكن رغبتك الوحيدة، وصلاتك الوحيدة، هي أن يساعدك الله على احتمال كل الأمور المعاكسة، مع الاحتفاظ بفضيلة عدم الصبر على المرض، ليس كمرض، بل كصبر عائق غير ملوث، وعدم إثارة غضب ربك في تلك الأعمال الصالحة التي يرغب بشدة في القيام بها من أجل خير أعظم.

من ضلال الذين يتصورون أنهم يسيرون إلى الكمال

إن عدونا الخبيث، الذي تم صده في هجومه وحيلته الأولى والثانية، يلجأ إلى ثالث، وهو صرف انتباهنا عن الأعداء القريبين منا لإيذاءنا ومهاجمتنا، وملئنا بالقرارات والرغبات بعد درجات أعلى من الكمال.

ولذلك فإننا نتعرض للجرح باستمرار؛ ومع ذلك، فإننا لا نولي أي اهتمام لجراحنا، وبالنظر إلى هذه القرارات كما تم تنفيذها بالفعل، فإننا نفخر بها بطرق مختلفة.
وبينما لا نستطيع أن نتحمل أقل شيء أو أدنى كلمة تتعارض مع إرادتنا، فقد قضينا وقتنا في تأملات طويلة وقرارات لتحمل أشد المعاناة على الأرض أو في المطهر من أجل محبة الله.

ولأن الجزء السفلي منا لا يشعر بأي اشمئزاز تجاه هذه الأشياء البعيدة، فإننا نسمن أنفسنا، نحن المخلوقات البائسة مثلنا، في الغرور بأننا ننتمي إلى فئة المتألمين الصابرين والأبطال.

لتجنب هذا الفخ، اعقد العزم على القتال بقوة ضد الأعداء القريبين منك، وشن الحرب ضدك فعليًا. وبذلك ستكتشف ما إذا كانت قراراتك حقيقية أم خيالية، ضعيفة أم قوية؛ وهكذا ستنتقل إلى الفضيلة والكمال عبر الطريق الملكي المطروق.

لكن ضد الأعداء الذين لا يعتادون على إزعاجك، لا أنصحك بحمل السلاح، إلا إذا ظهر احتمال قيامهم بهجوم في وقت ما في المستقبل. في هذه الحالة، من القانوني اتخاذ قرارات مسبقًا، حتى تجد نفسك قويًا ومستعداً.

ومع ذلك، لا تحكم على قراراتك من خلال آثارها، حتى لو كان عليك أن تمارس نفسك لفترة طويلة وبإخلاص في الفضيلة؛ ولكن كن متواضعا جدا معهم. خاف على نفسك وضعفك، وتوكل على الله، واستعن به بكثرة الصلاة ليقويك ويحفظك في كل المخاطر، وخاصة من أدنى غطرسة أو ثقة بالنفس.

لأنه في هذه الحالة، على الرغم من أننا قد لا نكون قادرين على التغلب على بعض العيوب الطفيفة التي يتركها ربنا فينا أحيانًا لكي تكون أكبر،

قد يُسمح لنا بتشكيل أغراض التطلع إلى درجات أعلى من الكمال.

من اعتداءات الشيطان وحيله ليبعدنا عن طريق القداسة

الحيلة الرابعة للشيطان، عندما يرانا نتقدم بثبات نحو القداسة، هي أن يثير فينا مجموعة متنوعة من الرغبات الصالحة، حتى يبعدنا بهذه الوسيلة عن ممارسة الفضيلة إلى الخطية.

وربما يحمل الإنسان المريض مرضه بإرادة مريضة. يعلم الخصم الماكر أنه بهذه الوسيلة قد يصل إلى عادة الصبر؛ ويضع أمامه على الفور جميع الأعمال الصالحة التي قد يكون قادراً على القيام بها في حالة مختلفة، ويحاول إقناعه بأنه لو كان جيداً لكان قادراً على خدمة الله بشكل أفضل، ويكون أكثر فائدة لنفسه وللآخرين.

وبعد أن أثارت مثل هذه الرغبات بداخله، استمر في زيادتها تدريجيًا، حتى يجعله يشعر بالقلق من استحالة تحقيقها؛ وكلما أصبحت هذه الرغبات أعمق وأقوى، كلما زاد هذا القلق. ثم يقوده العدو بلطف وبخطوة خفية إلى نفاد الصبر تجاه المرض، ليس كمرض، بل كعائق أمام تلك الأعمال الصالحة التي يرغب بشدة في القيام بها من أجل خير أعظم.

عندما أوصله إلى هذا الحد، بنفس الفن يزيل من ذهنه الغاية التي كان يتصورها، وهي خدمة الله والقيام بالأعمال الصالحة، ولا يترك له سوى الرغبة المجردة في التخلص من مرضه. وبعد ذلك، إذا لم يحدث هذا وفقًا لرغبته، فإنه يشعر بالانزعاج الشديد لدرجة أنه يفقد صبره بالفعل؛ وهكذا يسقط دون وعي من الفضيلة التي كان يمارس فيها نفسه إلى الرذيلة المعاكسة.

إن طريقة الوقاية من هذا الفخ ومقاومته هي أن تكون حذراً للغاية، عندما تكون في حالة تجربة، وألا تفسح المجال للرغبات بعد أي عمل جيد، والذي من المحتمل جداً أن يزعجك، نظراً لعدم قدرتك على تنفيذه.

في مثل هذه الحالات، استسلم بكل الصبر والاستسلام والتواضع للاقتناع بأن رغباتك لن يكون لها التأثير الذي تعتقده، بقدر ما تكون أقل أهمية وأقل استقراراً مما تظن نفسك.

أو آمن أن الله، في مشوراته الأكيدة، أو بسبب عدم استحقاقك، لا يسره أن يقبل هذا العمل من يدك، بل يفضل أن تضع نفسك بصبر وتتواضع تحت يد إرادته اللطيفة والقوية.

وبالمثل، إذا منعك أبوك الروحي، أو بأي طريقة أخرى، من حضور عباداتك بقدر ما ترغب، ولا سيما المناولة المقدسة، فلا تسمح لنفسك أن تنزعج أو تضطرب من الشوق إليها، بل، ملقيًا كل ما هو لك، والبس نفسك بمسرة ربك، قائلاً في نفسك:

"لو لم تكن عين العناية الإلهية قد رأت الخطيئة والجحود فيَّ، لما كنت الآن محرومًا من نعمة تلقي القربان الأقدس؛ ولكن بما أن ربي قد أظهر لي عدم استحقاقي، فليكن اسمه القدوس مباركًا ومسبحًا إلى الأبد. أنا على ثقة، يا رب، أنك في لطفك اللامتناهي ستحكم قلبي، حتى يرضيك في كل شيء في فعل أو معاناة إرادتك، حتى ينفتح أمامك، بحيث تدخل فيه روحيًا، يمكنك أن تعزيها وتقويها ضد الأعداء الذين يسعون إلى إبعادها عنك. وهكذا، فليكن كل شيء كما يبدو جيداً في نظرك. يا خالقي وفادي، فلتكن إرادتك الآن وإلى الأبد طعامي وقوتي! هذه الخدمة الوحيدة أتوسل إليك يا حبيبي، أن تكون روحي، المتحررة والمطهرة من كل ما لا يرضيك، والمزينة بكل الفضائل، مستعدة دائمًا لمجيئك، ولأي شيء قد ترغب فيه.

إذا التزمت بهذه القواعد، فاعلم على وجه اليقين أنه عندما تحير في أي عمل صالح ترغب في القيام به، أو يكون عائقًا من الشيطان، أو يزعجك، ويبعدك عن طريق الفضيلة، أو يكون من الله، لاختبار خضوعك لمشيئته، ستظل لديك فرصة لإرضاء ربك بالطريقة الأكثر قبولاً لديه. وهنا تكمن التكريس الحقيقي والخدمة التي يطلبها الله منا.

وأحذركم أيضًا، لئلا ينفد صبركم في ظل التجارب، أيًا كان مصدرها، أنه في استخدامكم للوسائل المشروعة التي اعتاد عباد الله استخدامها، فإنكم لا تستخدمونها رغبةً ورجاءً في الحصول على الراحة، بل لأن مشيئة الله أن يكونوا كذلك.

مستخدم؛ لأننا لا نعرف ما إذا كان جلالته الإلهية سيكون مسروراً بوسائلهم لإنقاذنا.

وإلا فسوف تقع في المزيد من الشرور؛ لأنه إذا لم يحقق الحدث غرضك ورغباتك، فسوف تقع بسهولة في نفاد الصبر، أو سيكون صبرك معيبًا، وغير مقبول تمامًا عند الله، وبقيمة قليلة.

وأخيراً، أود هنا أن أحذرك من الخداع الخفي لحبنا لأنفسنا، والذي نستخدمه في مناسبات معينة لتغطية أخطائنا وتبريرها. على سبيل المثال، رجل مريض ليس لديه سوى القليل من الصبر في ظل مرضه، يخفي نفاد صبره تحت غطاء الغيرة لبعض الخير الظاهري؛ يقول إن انزعاجه لا ينشأ حقًا من نفاد الصبر بسبب معاناته، بل هو حزن معقول، لأنه تسبب فيه بسبب خطأه، أو لأن الآخرين مضايقون أو مرهقون بسبب المتاعب التي يسببها لهم، أو لسبب آخر.

وبالمثل، فإن الرجل الطموح، الذي يشعر بالقلق من شرف لم يحصل عليه، لا يعزو سخطه إلى كبريائه وغروره، بل إلى سبب آخر، وهو يعلم جيداً أنه لن يثير أي اهتمام إذا لم يمس نفسه. لذلك لن يهتم الرجل المريض أيضًا إذا كان تعبه ومتاعبه يسببان له الكثير من الانزعاج، يجب أن يكون لديهم نفس الاهتمام والمتاعب بسبب مرض شخص آخر. وهذا دليل واضح على أن أصل حزن هؤلاء الرجال ليس الاهتمام بالآخرين أو أي شيء آخر، بل كره كل شيء يتعارض مع إرادتهم.

لذلك، لتجنب هذا الخطأ وغيره، احتمل بصبر، كما قلت لك، كل تجربة وكل حزن، مهما كان السبب.

من ما ورد أعلاه الهجوم الأخير والحيلة التي يسعى الشيطان من خلالها إلى جعل الفضائل التي اكتسبناها مناسبة لخرابنا

يفشل الثعبان الماكر والخبيث في إغراءنا بحيله حتى عن طريق الفضائل التي اكتسبناها، والتي تقودنا إلى النظر إليها وإلى أنفسنا بالرضا عن النفس، وقد تصبح هلاكًا لنا؛ ويرفعنا إلى العلاء، لكي نسقط في خطية الكبرياء والمجد الباطل.

لكي تحافظ على نفسك من هذا الخطر، اختر لساحة معركتك الأرضية الآمنة والمستوية لقناعة حقيقية وعميقة بعدمك، وأنك لا شيء، وأنك لا تعرف شيئًا، وأنك لا تستطيع أن تفعل شيئًا، وليس لديك سوى البؤس والخطيئة، ولا تستحق سوى اللعنة الأبدية.

حصن نفسك بقوة داخل حدود هذه الحقيقة، ولا تسمح لنفسك بأن تنخدع ولو شعرة منها بأي فكرة شريرة، أو أي شيء آخر قد يصيبك؛ واعلم جيدًا أن هناك الكثير من الأعداء الذين قد يقتلونك أو يجرحونك إذا وقعت في أيديهم.

لكي تكتسب خبرة جيدة في هذا التمرين للمعرفة الحقيقية بعدمك، التزم بالقاعدة التالية:
كلما فكرت في نفسك وأعمالك، فكر دائمًا في ما أنت عليه من نفسك، وليس ما أنت عليه بمعونة نعمة الله، وهكذا قدر نفسك كما ستجد نفسك هكذا.

فكر أولاً في الوقت الذي سبق وجودك، وسوف ترى أنك كنت خلال كل تلك الهاوية من الأبدية مجرد لا شيء، وأنك لم تفعل شيئًا، ولم يكن بإمكانك أن تفعل شيئًا، من أجل منح نفسك وجودًا.

بعد ذلك، فكر في الوقت الذي مرت منذ أن حصلت على كائن من فضل الله الوحيد. وهنا أيضًا، إذا تركت له ما هو خاص به (اهتمامه المستمر بك، والذي يعولك في كل لحظة من حياتك)، فما أنت من نفسك ولكنك لا تزال مجرد لا شيء؟

لأنه، بلا شك، لو تركك لنفسك لحظة واحدة، لرجعت على الفور إلى ذلك العدم الأول الذي جذبتك منه يده القديرة.

من الواضح أنه، في ظل نظام الطبيعة، وبالنظر إلى نفسك وحدك، ليس لديك أي سبب لتقدير نفسك، أو الرغبة في احترام الآخرين.

مرة أخرى، في حياة النعمة وأداء الأعمال الصالحة، ما هو العمل الصالح أو الجدير بالتقدير الذي يمكن أن تقوم به طبيعتك بنفسها إذا حرمت من المساعدة الإلهية؟ لأنه من ناحية أخرى، بالنظر إلى تعدياتك العديدة في الماضي، علاوة على ذلك العديد من الخطايا الأخرى التي منعت عنك يد الله الرحيمة وحدها، ستجد أن آثامك، التي تضاعفت ليس فقط بالأيام والسنين، ولكن أيضًا بأفعال وعادات الخطية (عادة شريرة تجتذب أخرى بعد ذلك)، كانت ستتضخم إلى حد لا نهائي تقريبًا، وهكذا جعلت منك لوسيفر ًا جهنميًا آخر.

ومن ثم، إذا كنت لا تحرم الله من مديح صلاحه، ولكنك تلتصق به بأمانة، فيجب أن تتعلم يومًا بعد يوم أن تفكر في نفسك بشكل أكثر تواضعًا.

وكن حذر ًا جد ًا في التعامل بعدل مع هذا الحكم على نفسك، وإلا فقد يسبب لك ذلك ضرر ًا طفيفًا.
لأنك إذا تجاوزت في معرفة إثمك شخصًا يحسب نفسه شيئًا، في عماه، فسوف تخسر كثير ًا، وتهبط إليه كثير ًا في عمل الإرادة، إذا كنت ترغب في أن تحظى بالاحترام والتقدير من قبل الناس على ما تعرف أنك لست عليه.

إذا كنت ترغب إذن في أن يحميك وعي حقرتك وخطيئتك من أعدائك، ويجعلك عزيز ًا على الله، فلا يجب عليك فقط أن تحتقر نفسك، لأنك لا تستحق أي خير وتستحق كل شر، بل يجب أن تحب أن يحتقرك الآخرون، وتكره الشرف، وتبتهج بالعار، وتنحدر في جميع المناسبات إلى مناصب يحتقرها الآخرون. يجب ألا تأخذ في الاعتبار حكمهم على الإطلاق، لئلا يتم ردعك عن هذه الممارسة المقدسة. لكن احرص على أن تكون النهاية في الأفق هي إذلالك وانضباطك الذاتي فقط، لئلا تتأثر بأي درجة من الكبرياء وروح الافتراض الكامنة، والتي غالبًا ما تجعلنا، تحت ذريعة خادعة أو غيرها، لا نهتم كثير ًا بآراء الآخرين أو لا نهتم بها على الإطلاق.

وإذا حدث أن أصبحت محبوبًا أو محترمًا أو مدحًا من قبل الآخرين بسبب أي هدية جيدة أسبغها عليك الله، فلا تتأثر بذلك خطوة واحدة؛ لكن اجمع نفسك بثبات داخل الحصن

على هذه الدينونة الحقيقية والعادل لنفسك، تتجه أولاً إلى الله وتقول له من كل قلبك:
"يا رب، لا تدعني أسلبك كرامتك ومجد نعمتك، لك التسبيح والكرامة والمجد، لي خزي الوجه." ثم قل في ذهنك لمن يمدحك: "من أين يحسبني خيراً، ما دام إلهي وأعماله وحدهم صالحين؟"

لأنك إذا رددت ما هو للرب بهذا الشكل، فإنك تبقي أعداءك بعيداً، وتهيئ نفسك لتلقي عطايا وإحسان أعظم من إلهك.

وإذا كان ذكر الأعمال الصالحة يعرضك لخطر الغرور، فانظر إليها على الفور، ليس كأعمالك الخاصة، بل كأعمال الله. وقل لهم: "أنا لا أعرف كيف ظهرتم وكيف نشأتم في ذهني، لأنكم لم تستمدوا كيانكم مني، لكن الله الصالح ونعمته خلقكم وغذاكم وحفظكم. فهو وحده، إذن، سيعترف بأنه والدكم الحقيقي والأول. سأشكره وأشكره".

سوف أرد عليه كل الثناء."
ضع في اعتبارك بعد ذلك، أن جميع الأعمال التي قمت بها ليست فقط أقل من النور الذي أُعطي لك لمعرفتها، والنعمة لتنفيذها، ولكنها أيضًا في حد ذاتها غير كاملة جداً، وتقصر جداً عن تلك النية النقية والعناية الواجبة والحماسة التي يجب أن يتم تنفيذها بها، والتي يجب أن تصاحبها دائمًا.

فإذا فكرت في هذا جيداً، ستجد سببًا للخجل وليس للرضا عن النفس الباطل، لأنه صحيح جداً أن النعم التي نتلقاها نقية وكاملة من الله ملوثة في استخدامها بسبب عيوبنا.

مرة أخرى، قارن أعمالك بأعمال القديسين وغيرهم من خدام الله؛ لأنه من خلال هذه المقارنة ستجد أن أفضل وأعظم ما لديك هو من سبيكة أساسية، وذات قيمة قليلة.
وبعد ذلك، قسها بما فعله المسيح لأجلك في سر حياته وصليبه الدائم.
وبعيداً عن النظر إلى ألوهيته، انظر إلى أعماله في ذاتها وحدها؛

تأمل حماسة ونقاء المحبة التي بها صنعت، وسترى أن كل أعمالك هي في الحقيقة كلا شيء.

وأخيرًا، إذا رفعت أفكارك إلى ألوهية إلهك وعظمته اللامحدودة، والخدمة التي يستحقها على يديك، سترى بوضوح أن أعمالك لا ينبغي أن تثير فيك الغرور بل الخوف.

لذلك، في كل طرقك، في كل أعمالك، مهما كانت مقدسة، يجب أن تصرخ إلى الرب من كل قلبك قائلة: "اللهم ارحمني أنا الخاطئ".

علاوة على ذلك، أنصحك بأن تكون متحفظًا جدًا في الإعلان عن المواهب التي قد منحها الله لك؛ لأن هذا يكاد لا يرضي ربك دائمًا، كما يوضح لنا هو نفسه بوضوح في الدرس التالي.

ظهرت مرة بشكل طفل لخادمه التقي، وطلبت منه ببساطة شديدة أن يتلو التحية الملائكية. لقد بدأ بسهولة: "Ave Maria، gratia plena، Dominus tecum"، ثم توقف، لعدم رغبته في مدح نفسه في "benedicta tu in mulieribus." الكلمات التالية. وبينما كانت تطلب منه أن يمضي، انسحب منها، تاركًا خادمته ممتلئة بالتعزية بسبب التعليم السماوي الذي أعلنه لها هكذا بمثاله.

هل تتعلم أيضًا أن تتواضع، وأن تعترف بنفسك، بكل أعمالك، على أنك العدم الذي أنت عليه.
وهذا هو أساس كل الفضائل الأخرى. الله، قبل أن نوجد، خلقنا من العدم؛ والآن ونحن موجودون به، فهو يريد أن يبنى كل البناء الروحي على هذا الأساس، وهو معرفة أننا لسنا شيئًا من أنفسنا. وكلما تعمقنا في هذه المعرفة، كلما ارتفع المبنى. وبقدر ما ننظف الأرض من بؤسنا، سيأتي المهندس الإلهي بالحجارة الصلبة لإكمالها.

ولا تتخيل أبدًا أنه يمكنك الحفر بعمق كافٍ؛ على العكس من ذلك، فكر في نفسك، أنه إذا كان أي شيء يخص مخلوقًا يمكن أن يكون لانهائيًا، فسيكون ذلك عدم استحقاقك.
بهذه المعرفة، عند تطبيقها على النحو الواجب، نمتلك كل الخير؛ وبدونها نحن أفضل قليلاً من لا شيء، مع أننا يجب أن نعمل أعمال جميع القديسين، وننغمس في الله باستمرار.
أيها العلم المبارك الذي يجعلنا سعداء في الأرض، ومباركين في السماء! أيها النور الذي يخرج من الظلمة ويصنع النفس

مشرقًا وواضحًا! أيها الفرح المجهول، الذي يتلألأ وسط شوائبنا!

أيها العدم، الذي بمجرد معرفته، يجعلنا أسيادًا على الجميع!

لا ينبغي لي أبدًا أن أتعب من إخبارك بهذا: إذا كنت ستسبح الله، وتتهم نفسك، وترغب في أن يتهمك الآخرون. تواضع مع الكل، وتحت الكل، إن أردت أن تعظّمه في نفسك ونفسك فيه.

هل ستجده؟ لا تتعالى على نفسك فيهرب منك.
اتضع نفسك إلى أقصى حد، وسوف يبحث عنك ويحتضنك.

وكلما تواضعت أمام نفسك، وكلما زاد سرورك بأن يعتبرك الآخرون حقيرًا، وأن يتم رفضك كشيء بغيض، كلما زاد تقديرك واحتضانك بمحبة. إعتبر نفسك غير مستحق لهذه النعمة العظيمة التي أنعمها عليك إلهك، الذي عانى من العار من أجلك لكي يوحدك بنفسه. لا تفشل في رد الشكر المستمر له؛ وكن ممتنًا لأولئك الذين كانوا سببًا لإذلالك، وأكثر من ذلك لأولئك الذين داسوك تحت أقدامهم، معتقدين أنك تحملت ذلك على مضض، وليس بحسن نية. ومع ذلك، حتى لو كان الأمر كذلك، فيجب ألا تعاني من أي علامة خارجية على عدم الرغبة في الهروب منك.

على الرغم من كل هذه الاعتبارات، التي هي صحيحة للغاية، إذا تغلب علينا مكر الشيطان وجهلنا وميولنا الشريرة، بحيث تظل أفكار تمجيد الذات تضايقنا وتؤثر في قلوبنا، فهذا هو الوقت المناسب لنتواضع أنفسنا بشكل أعمق في أعيننا؛ لأننا نرى بهذا الدليل أننا لم نتقدم إلا قليلاً في الحياة الروحية وفي معرفة الذات الحقيقية، بقدر ما أننا غير قادرين على تحرير أنفسنا من تلك المضايقات التي تنبع من جذور كبريائنا الفارغة. فهل نستخرج العسل من السم والشفاء من الجرح.

بعض النصائح حول التغلب على الأهواء الشريرة واكتساب الفضيلة

على الرغم من أنني قد قلت الكثير عن المسار الذي يجب اتباعه من أجل التغلب على الذات وتزيينها بكل الفضائل، إلا أنه لا تزال هناك بعض النقاط الأخرى التي أود أن أقدم لك بعض النصائح بشأنها.

1. في مساعيك نحو القداسة، لا تقتنع أبداً باستخدام مثل هذه التمارين الروحية مثل اختيار فضائل مختلفة رسميًا لأيام مختلفة من الأسبوع، وتخصيص واحدة منها لتحقيق كل منها. لكن ليكن نظام حربك وممارستك هو محاربة تلك المشاعر التي ألحقت بك الأذى دائمًا وما زالت تهاجمك وتؤذيك؛ وأن تزين نفسك بكل كمالات ممكنة بفضائلها المضادة.

لأنه بمجرد اكتساب هذه الفضائل، سيتم الحصول على جميع الفضائل الأخرى بسهولة، حسب ما تسمح به المناسبة، مع القليل من الجهد المقارن. والمناسبات لن تكون معدومة أبداً؛ لأن كل الفضائل مرتبطة ببعضها البعض في سلسلة واحدة، ومن يملك واحدة في الكمال تكون جميع الفضائل الأخرى جاهزة على عتبة قلبه.

2. لا تحدد أبداً وقتًا محدداً، كالأيام أو الأسابيع أو السنوات، لبلوغ أي فضيلة؛ ولكن، كطفل رضيع حديث الولادة، وجندي تم تجنيده للتو، حارب في طريقك باستمرار نحو قمة الكمال.

لا تقف ساكنًا، ولو للحظة واحدة؛ لأن الوقوف ساكنًا في طريق الفضيلة والكمال لا يعني استعادة التنفس أو الشجاعة، بل يعني التراجع أو الضعف أكثر من ذي قبل.

بالوقوف ساكنًا، أعني تملق أنفسنا بأننا اكتسبنا الفضيلة المعنية بشكل كامل، وبالتالي عدم الاهتمام بالمناسبات التي تدعونا إلى القيام بأفعال جديدة منها، أو بالفشل البسيط فيها.

لذلك، كن حذرا، حارا، ساهرا، لئلا تهمل أدنى فرصة لممارسة أي فضيلة. أحب كل هذه المناسبات، وخاصة تلك التي تشهد صعوبة كبيرة، لأن العادات تتشكل بشكل أسرع وتتجذر بشكل أعمق عندما تكون الصعوبات التي يجب التغلب عليها أكبر؛ لذلك أحب تلك المناسبات التي تمثل مثل هذه الصعوبات.

يطير هؤلاء فقط، وذلك بخطوة سريعة، بكل اجتهاد وسرعة، مما قد يؤدي إلى إغراء الجسد.

3. كن حذراً وحذراً في تلك التمارين التي قد تكون ضارة بالصحة الجسدية، مثل تأديب النفس عن طريق التأديب، وتصفيف الشعر، والصوم، والسهرات، والتأملات، وما شابه ذلك؛ لأن هذه الفضائل يجب اكتسابها ببطء وبالتدريج، كما سيتم شرحه فيما بعد.

أما الفضائل الأخرى الداخلية تمامًا، مثل محبة الله، وازدراء العالم، والتحقير الذاتي، وكراهية الأهواء الشريرة والخطيئة، والوداعة والصبر، والمحبة تجاه جميع البشر، تجاه أولئك الذين يؤذوننا وما شابه ذلك، فليس من الضروري اكتسابها تدريجيًا، ولا الصعود بالدرجات إلى الكمال فيها؛ ولكن ينبغي عليك أن تسعى فوراً بكل قوتك إلى ممارسة كل منها بكل كمال ممكن.

4. دع قلبك كله لا يرغب في أي شيء، ولا يفكر في أي شيء، ولا يشتهي أي شيء، ولا يتوق إلى أي شيء، بل يجب أن يتغلب على هذا الشغف الذي تكافح معه، ويصل إلى فضيلته المضادة. كن هذا عالمك، سمائك، أرضك، كنزك كله؛ وكل ذلك بالوحيد يرضي الله. سواء كان الأكل أو الصيام، العمل أو الراحة، السهر أو النوم، في المنزل أو في الخارج، سواء كانوا منخرطين في التقوى أو في العمل اليدوي، فليتوجه الجميع إلى التغلب على هذا الشغف وانقراضه، وإلى تحقيق الفضيلة المعاكسة.

5. شن حربًا متواصلة على الملذات ووسائل الراحة الأرضية لن يكون لدى أي نائب الكثير من القوة لمهاجمتك. لأن كل الرذائل تنبع من جذر المتعة الوحيد هذا؛ لذلك، عندما يتم قطع هذا بسبب كراهية الذات، فإنهم يفقدون قوتهم وسلطتهم.
لأنه إذا حاولت بيد واحدة أن تحارب خطيئة معينة أو متعة معينة، وباليد الأخرى تحاول الاستمتاع بمتع دنيوية أخرى، على الرغم من أن ذنبهم ليس مميتًا، بل عرضيًا فقط، فإن معاركك ستكون صعبة ودموية، وانتصاراتك نادرة وغير مؤكدة.
لذلك، تذكروا باستمرار هذه الكلمات الإلهية: "من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى الحياة الأبدية". (يوحنا 12: 25) "أيها الإخوة، نحن لسنا مديونين للرب

لحم. نعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فسوف تموتون."

6. أخيرًا، قد يكون من الجيد، بل وربما من الضروري، أن تقوم في المقام الأول باعتراف عام، مع جميع الشروط اللازمة، حتى تكون أكثر ضمانًا لرضا الرب، الذي يجب أن تتطلع إليه وحده بكل نعمة ونصرة.

يجب أن نكتسب الفضائل تدريجيًا من خلال تدريب أنفسنا بدرجاتها المختلفة، وتوجيه انتباهنا أولاً إلى واحدة ثم إلى أخرى.

على الرغم من أن خادم المسيح الحقيقي الذي يطمح إلى الكمال لا ينبغي أن يضع حدوداً لتقدمه، إلا أن هناك بعض أنواع الحماسة الروحية التي تتطلب تقييدها بحذر معين، حتى لا يتم احتضانها بحماس شديد في البداية، وتتركنا في وسط حياتنا. ومن ثم، فإلى جانب ما قيل عن الاعتدال في التمارين الخارجية، علينا أن نتعلم أنه حتى الفضائل الداخلية من الأفضل اكتسابها تدريجيًا، وفي ترتيبها المناسب؛ لأن ما هو صغير في البداية سرعان ما يصبح عظيمًا ودائمًا. وهكذا، على سبيل المثال، لا ينبغي لنا عادةً أن نحاول أن نفرح بالضيقات، ونرغب فيها، حتى نجتاز أولاً الدرجات الأدنى من فضيلة الصبر.

ولا أريدك أن تولي اهتمامك الرئيسي لجميع الفضائل أو للعديد من الفضائل في وقت واحد، ولكن أولاً لواحدة ثم للفضائل الأخرى؛ لأنه هكذا تكون العادة الفاضلة مزروعة في النفس بسهولة ورسوخ. لأنه من خلال الممارسة المستمرة لفضيلة واحدة تعود الذاكرة إليها
وفي جميع المناسبات، ينمو العقل بشكل أسرع لتمييز طرق وأسباب جديدة لبلوغها، وتميل الإرادة بسهولة وحماس أكبر إلى السعي وراءها، مما لو كانت مشغولة بالعديد من الفضائل في نفس الوقت.

ومن خلال توحيد الممارسة، فإن الأفعال التي تتعلق بأي فضيلة واحدة يتم إنتاجها بجهد أقل من المطابقة فيما بينها. الواحد يدعو صاحبه ويساعده. وبتشابههم المتبادل فإنهم يتركون انطباعًا أعمق على القلب، الذي يتم إعداده وتجهيزه لاستقبال بذور جديدة من خلال إنتاج ثمار مماثلة بالفعل.

ولهذه الأسباب القوة الأكبر، لأننا نعلم يقينًا أن من يمارس نفسه جيداً في فضيلة ما، يتعلم في نفس الوقت كيف يمارس نفسه في فضيلة أخرى؛ وهكذا، بالارتباط الذي لا ينفصل بينهما، ينمو كل شيء معًا بزيادة واحد، كأشعة تنبثق من نفس النور الإلهي.

عن الوسائل التي يتم بها اكتساب الفضائل، وكيف يجب أن نستخدمها بعد ذلك حتى نهتم لفترة طويلة بفضيلة واحدة فقط

لبلوغ القداسة نحتاج، بالإضافة إلى كل ما سبق وصفه، إلى قلب عظيم وسخي، وإرادة ليست متراخية ولا مقصرة، بل حازمة وحازمة، ومع توقع معين للاضطرار إلى اجتياز العديد من التجارب المريرة والضارة.

علاوة على ذلك، هناك ميول وعواطف معينة يمكن أن نكتسبها من خلال التفكير المتكرر في مدى رضاها عن الله، وكم هي ممتازة ونبيلة في حد ذاتها، وكم هي مفيدة وضرورية بالنسبة لنا، بقدر ما ينشأ منها وفيها كل الكمال أصله ونهايته.

فلنتخذ إذن قراراً ثابتًا كل صباح بأن نتدرب على ذلك وفقًا للمناسبات التي قد تنشأ على مدار اليوم؛ ويجب علينا خلالها أن نفحص أنفسنا في كثير من الأحيان، لنرى ما إذا كنا قد حققناها أم لا، ونجددها بعد ذلك بجدية أكبر. وكل هذا مع إشارة خاصة إلى تلك الفضيلة التي بين أيدينا.

كذلك، فلتكن أمثلة القديسين، وصلواتنا وتأملاتنا في حياة المسيح وآلامه، التي نحتاجها بشدة في كل تمرين روحي، مطبقة بشكل أساسي على الفضيلة الخاصة التي نمارس بها أنفسنا في ذلك الوقت.

دعونا نفعل الشيء نفسه في جميع المناسبات التي قد تنشأ، مهما كانت مختلفة من حيث النوع، كما سنوضح الآن بشكل أكثر تحديداً. دعونا نعتاد أنفسنا على أعمال الفضيلة، سواء الداخلية أو الخارجية، حتى نتمكن أخيراً من القيام بها بنفس السرعة والسهولة التي كنا نؤدي بها في الماضي أعمالاً أخرى تتوافق مع إرادتنا الطبيعية. وكما قلنا من قبل، كلما كانت هذه الأفعال أكثر تعارضًا مع هذه الرغبات الطبيعية، كلما تم إدخال العادة الجيدة إلى نفوسنا بشكل أسرع.

إن الكلمات المقدسة في الكتاب المقدس، سواء تم النطق بها بالشفاه أو التأمل بها في القلب، حسبما يناسب حالتنا، لها قوة رائعة لمساعدتنا في هذا التمرين. لذلك يجب أن يكون لدينا الكثير من هؤلاء المستعدين للتأثير على الفضيلة التي نرغب في ممارستها؛ ويجب أن نكررها باستمرار طوال اليوم، وخاصة عند كل صعود للعاطفة المتمردة. على سبيل المثال، إذا كنا

ونحن مجتهدون في تحصيل فضيلة الصبر، يمكننا أن نردد الكلمات التالية، أو غيرها:
"يا أولادي، احتملوا بصبر الغضب الذي يأتي عليكم." (باروخ 4:25)

"صبر الفقير لا ينقطع إلى الأبد". (مزمور 9: 18) "الرجل الصبور خير من الجبار، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدنًا". (أمثال 16:32)

"بصبركم تمتلكون نفوسكم." (لوقا 21: 19) "لنركض بالصبر إلى الجهاد المقترح لنا". (عبرانيين ١٢:١) ولنفس الغاية يمكننا، بطريقة مماثلة، استخدام صلوات مثل هذه:

"متى يا إلهي يتسلح قلبي هذا بترس الصبر؟"

"متى أتعلم أن أحتمل كل ضيق بعقل هادئ حتى أرضي ربي؟"

"أيتها الآلام العزيزة، التي تشبهني بربي يسوع المصلوب من أجلي!"

"فقط حياة روحي هي التي ستعيش، من أجل مجدك، قانعة وسط ألف عذاب!"

"كم سأكون مباركًا، إذا كنت، في وسط الضيقات الحرة، أحترق برغبة في معاناة أعظم!"
فلنستخدم هذه الصلوات القصيرة وغيرها مما يناسب تقدمنا في القداسة، حتى نكتسب روح التكريس.
وتسمى هذه الصلوات القصيرة قذفا لأنها ترمي كالرماح نحو السماء. لديهم قوة عظيمة لحثنا على الفضيلة؛ وسوف ينفذون حتى إلى قلب الله، فقط إذا كان لديهم هاتان المصاحبتان لجناحيهما:

+ اليقين الكامل أن ممارستنا للفضيلة ترضي إلهنا.

+ والآخر: رغبة صادقة ومتحمسة لبلوغ الفضيلة، بهدف إرضاء جلالته الإلهي.

أنه في ممارسة الفضيلة يجب علينا أن نتقدم بيقظة متواصلة

إحدى أهم الوسائل الضرورية لبلوغ الفضيلة، إلى جانب ما تم تعليمه بالفعل، هي المضي قدمًا باستمرار نحو النهاية التي اقترحناها على أنفسنا، حتى لا نتراجع بثباتنا.

لأنه عندما نتوقف عن إنتاج أعمال الفضيلة، تتولد في داخلنا العديد من المشاعر الجامحة بسبب الميل العنيف للشهية الحساسة، والمؤثرات الخارجية الأخرى، التي يتم من خلالها تدمير الفضيلة، أو على الأقل التقليل منها؛ علاوة على ذلك، فإننا نفقد العديد من المواهب والنعم التي كان من الممكن أن يكافئ بها ربنا تقدمنا الإضافي. لذلك تختلف الرحلة الروحية عن مسيرة المسافر الأرضي؛ لأنه بثباته لا يفقد شيئًا من الأرض التي اكتسبها بالفعل، كما هو الحال مع من يسافر إلى السماء.

كما أن تعب الحاج الأرضي يزداد مع استمرار حركته الجسدية؛ أما في الرحلة الروحية فكلما تقدم الإنسان كلما زادت نشاطه وقوته.

لأنه من خلال ممارسة الفضيلة، فإن مقاومة الجزء الأدنى من النفس، الذي جعل الطريق صعبًا ومتعبًا، تضعف يومًا بعد يوم؛
في حين أن الجزء الأعلى، حيث تكمن الفضيلة، هو بنفس النسبة ثابت ومعزز.

لذلك، عندما نتقدم في القداسة، فإن الألم الذي رافق التقدم يتضاءل تدريجيًا. وفرح سري معين، يمتزج، بالعملية الإلهية، بهذا الألم، يتزايد كل ساعة أكثر فأكثر. وهكذا، إذ ننتقل بسهولة وبهجة متزايدة من فضيلة إلى فضيلة، نصل أخيرًا إلى قمة الجبل؛ حيث تعمل الروح الكاملة من الآن فصاعدا دون تعب، بل بالأحرى بفرح ونشوة، لأنها الآن، بعد أن روضت وانتصرت على أهواءها الجامحة، وتغلبت على نفسها وعلى كل المخلوقات، فإنها تسكن إلى الأبد مباركة في حضن العلي، وهناك، بينما تعمل بعذوبة، تأخذ راحتها.

أنه كما يجب علينا أن نستمر دائمًا في ممارسة كل الفضائل، كذلك يجب ألا نتجنب أي فرصة تتيح تحقيقها.

لقد رأينا بوضوح شديد أنه يجب علينا المضي قدمًا دون التوقف أبدًا في طريق الكمال.
ولتحقيق هذه الغاية، يجب أن نكون حذرين ومتيقظين للغاية حتى لا نفوت أي فرصة قد تتاح لنا لبلوغ أي فضيلة.
لأن لديهم معرفة قليلة جدًا بهذه الطريقة، والذين يتجنبون قدر استطاعتهم كل هذه الأشياء المعاكسة التي قد تساعدهم بشكل كبير على التقدم.

فلا تنسوا نصيحتي المعتادة، إذا اكتسبتم عادة الصبر، فليس من المناسب أن تتجنبوا هؤلاء الأشخاص، أو الأفعال، أو الأفكار التي تدفعكم إلى نفاد الصبر.
لذلك، لا تنسحب من مجتمع أي شخص لأنه غير مقبول؛ ولكن أثناء التحدث والجماع مع أولئك الذين يزعجونك كثيرًا، حافظ على إرادتك دائمًا جاهزة ومستعدة لتحمل كل ما قد يصيبك، مهما كان مرهقًا ومزعجًا؛ وإلا فلن تتعلم أبدًا التحلي بالصبر.

وبالمثل، إذا وجدت أي عمل مزعجًا، سواء في حد ذاته، أو بسبب الشخص الذي فرضه عليك، أو لأنه يمنعك من القيام بشيء آخر أكثر متعة، فلا تتردد في القيام به والمثابرة عليه، حتى لو كان يزعجك، ولو كنت تعتقد أن إهماله سيجد السلام؛ لأن هذا لن يكون سلامًا حقيقيًا، لأنه لا ينبع من نفس مطهرة من الأهواء ومزينة بالفضائل، ولا يمكنك أبدًا أن تتعلم كيف تتألم بهذه الطريقة.

وأود أن أقول الشيء نفسه عن الأفكار المزعجة، التي في بعض الأحيان سوف تزعجك وتزعجك. ليست هناك حاجة لطردهم بالكامل منك؛ فبالإضافة إلى الألم الذي يسببونه، فإنهم يعلمونكم أيضًا أن تحتملوا التناقض.

وإن إعطائك نصيحة معاكسة، سيكون بمثابة تعليمك تجنب العمل بدلاً من الوصول إلى تلك الفضيلة التي تقصدها.
وصحيح جدًا أنه يصبح من حق كل إنسان، وخاصة الجندي المجرب، أن يدافع عن نفسه في هذه المناسبات بيقظة وبراعة؛ تارة يواجه أعدائه، وتارة يتهرب منهم،

بحسب مقدار القوة الروحية والفضيلة التي بلغها.

ولكن، مع كل هذا، لا ينبغي له أبداً أن يتراجع ويتراجع، حتى يترك وراءه كل المعارضة؛ لأنه حتى لو أنقذنا أنفسنا لبعض الوقت من خطر السقوط، فإننا نخاطر بتعريض أنفسنا أكثر لهجمات الإغراء المستقبلية، وعدم تسليحنا وتحصيننا مسبقًا بممارسة الفضيلة المعاكسة.

ولكن هذه المشورة لا تنطبق على خطايا الجسد، التي تحدثنا عنها بالفعل بشكل أكثر تحديداً.

أن نقدر تقديراً عاليًا جميع فرص النضال من أجل اكتساب الفضائل، وخاصة تلك التي تمثل أكبر الصعوبات

لن أكون راضيًا عن عدم تجنبك ببساطة الفرص التي قد تتاح لك لتحقيق الفضائل المختلفة؛ أريدك أن تعتبرها أشياء ذات قيمة وثمن عظيمين، وأن تبحث عنها وتحتضنها بفرح كلما ظهرت، وأن تأخذ بعين الاعتبار أعز وأغلى الأشياء التي تكره الطبيعة.

ولهذا ستتمكن بعون الله من تحقيق الاعتبارات التالية بقوة:

أولاً، أن الفرص هي وسائل مكيفة، بل ضرورية، لبلوغ الفضيلة. لذلك، عندما تصلي إلى الرب من أجل أي فضيلة، فإنك في نفس الوقت تطلب الفرص لممارستها؛ وإلا لكانت صلاتك باطلة، وتناقض نفسك وتجرب إلهك، الذي لا يعطي عادة صبراً بدون ضيق، ولا تواضعًا بدون اتضاع.

ويمكن قول الشيء نفسه عن جميع الفضائل التي يتم تحقيقها بالتأكيد عن طريق الصلبان. وكلما كانت هذه الأمور أكثر إيلامًا، كلما زادت فعاليتها في مساعدتنا، وبالتالي كلما كانت أكثر قبولاً وترحيبًا. لأن أعمال الفضيلة التي تتم في مثل هذه الظروف هي أكثر سخاءً ونشاطًا، وتفتح لنا طريقًا أسهل وأسرع للفضيلة.

ولكن يجب علينا أيضًا أن نقدر، وألا نترك دون ممارسة مناسبة، أكثر المناسبات تافهة، حتى لو كانت مجرد كلمة أو نظرة تتجاوز إرادتنا؛ لأن الأفعال الناتجة على هذا النحو أكثر تكراراً، وإن كانت أقل حدة، من تلك التي تتطلبها ظروف بالغة الصعوبة.

والاعتبار الآخر (الذي تحدثنا عنه سابقًا) هو أن كل الأحداث التي تصيبنا تأتي من الله لخيرنا، لكي نجني منها ثماراً.

ومع أنه، كما قلنا من قبل، فإن بعض هذه المناسبات، مثل عيوبنا أو عيوب الآخرين، لا يمكن أن يقال إنها من الله الذي لا يريد أن يخطئ، لكنها منه، بقدر ما يسمح بها، ورغم أنه قادر على منعها، فإنه لا يمنعها. لكن

كل الأحزان والضيقات التي تحل بنا، سواء بخطئنا أو بحقد الآخرين، هي من الله ومن الله، لأنه يشارك فيها؛ وما لا يريدنا أن نفعله، لأننا مملوءون بتشوه لا يمكن قياسه ومكروه في عينيه الأكثر نقاءً، فإنه يريدنا أن نعاني، من أجل تقدمنا الأعظم في القداسة، أو لسبب حكيم آخر غير معروف لنا.

إذ نرى إذًا أن مشيئة الرب بكل تأكيد هي أن نتحمل طوعًا أي صليب قد يأتي علينا، سواء من الآخرين أو من أعمالنا الشريرة، فإن القول، كما يفعل كثيرون تبريرًا لنفاد صبرهم، إن الله لا يريد الشر، بل يمقته، هي ذريعة باطلة، بها نستر عيوبنا، ونتجنب الصليب الذي يريدنا أن نحمله.

كلا، سأقول أيضًا، أنه بافتراض أن جميع الظروف الأخرى على حالها، فإن ربنا مسرور أكثر باحتمالنا الصبور للتجارب التي تأتي علينا من شرور الناس، وخاصة أولئك الذين خدمناهم واستفدناهم، من احتمالنا للمضايقات الخطيرة الأخرى. وذلك لأن طبيعتنا المتكبرة تكون، في معظمها، أكثر تواضعًا أمام الأول منها أمام الثاني؛ وأيضًا لأننا باحتمالها عن طيب خاطر، فإننا نرضي إلهنا ونعظمه فوق كل الحدود، ونتعاون معه في ما يتألق فيه صلاحه الذي لا يوصف وقدرته الكلية بشكل أكثر سطوعًا، أي في استخلاص ثمر القداسة والفضيلة الحلو والثمين من سم الحقد والشر القاتل.

لذلك، بمجرد أن يرى ربنا فينا رغبة جادة في المحاولة والمثابرة في هذا المشروع المجيد، حتى يعد لنا كأسًا من أقوى التجارب وأصعب التجارب، حتى نشربها في الساعة المحددة؛ ونحن، إذ ندرك محبته ومصلحتنا، يجب أن نستقبله عن طيب خاطر وبشكل أعمى، بثقة وسرعة، نشربه حتى الثمالة، كدواء مركب بيد لا يمكن أن تخطئ في المكونات الأكثر فائدة للنفس بما يتناسب مع مرارتها الجوهرية.

كيف نستفيد من المناسبات المختلفة لممارسة فضيلة واحدة؟

لقد رأينا بالفعل أنه من المفيد أن نتدرب لبعض الوقت على فضيلة واحدة أكثر من تدريبنا على العديد من الفضائل في وقت واحد؛ وأننا يجب أن نستغل بهذا الرأي المناسبات التي نلتقي بها، مهما كانت متنوعة.

تعلم الآن كيفية تحقيق ذلك بسهولة مقبولة.

قد يحدث أنه في نفس اليوم، أو حتى في نفس الساعة، يتم توبيخنا على شيء ما قمنا به بشكل جيد، أو يتم إلقاء اللوم علينا لسبب آخر؛ قد يتم رفض بعض الخدمات التي طلبناها بقسوة، وقد تكون مجرد تافهة؛ وقد يتم الشك فينا ظلما؛

أو قد يُطلب منا أن نتحمل بعض الألم الجسدي، أو بعض الإزعاج التافه، مثل طبق مطبوخ بشكل سيئ؛ أو قد يصيبنا محنة أثقل وأصعب من أن نتحملها، مثل هذه الحياة البائسة المليئة بها.

على الرغم من أننا، في مجموعة متنوعة من هذه الأحداث أو ما شابهها، قد نقوم بأفعال مختلفة من الفضيلة، ومع ذلك، إذا التزمنا بالقاعدة الموضوعة، فسوف نستمر في ممارسة أنفسنا في أعمال تتوافق تمامًا مع الفضيلة التي لدينا في ذلك الوقت؛ على سبيل المثال:

+ إن كنا، عندما تأتي هذه المناسبات، نتدرب على الصبر، فإننا نحتملها كلها طوعًا وبقلب فرح.

+ إن كان تدريبنا هو التواضع، فإننا في كل هذه الصلبان الصغيرة نعترف بأننا نستحق كل سوء ممكن.

+ إذا طاعنا، نخضع أنفسنا في الحال ليد الله القديرة، كما نخضع لجميع المخلوقات، سواء كانت عاقلة أو حتى غير حية، التي قد تسبب لنا هذه الإزعاجات، وهذا إرضاءً له، لأنه أراد ذلك.

+ إن كنا فقراء، فإننا نرضى أن نتجرد ونسلب من كل التعزيات الأرضية، كبيرة كانت أم صغيرة.

+ إذا بالمحبة، فإننا سننتج أعمال المحبة تجاه قريبنا كأداة خير لنا، ونحو ربنا إلهنا كسبب المحبة الأول الذي تأتي منه هذه الإزعاجات، أو التي يسمح بها لتمريننا الروحي وتحسيننا.

ومما قيل عن الحوادث المختلفة التي قد تصيبنا يوميًا، يمكننا أيضًا أن نتعلم كيف، خلال تجربة واحدة طويلة الأمد، مثل المرض أو غيره من البلاء، قد نستمر في إنتاج أعمال الفضيلة التي نمارسها في ذلك الوقت.

الفصل الأربعون

الوقت الذي يجب أن نخصصه لممارسة كل فضيلة، وعلامات تقدمنا

ليس من حقي أن أحدد الوقت الذي يجب أن أخصصه لممارسة كل فضيلة. ويجب أن يتم تنظيم ذلك من خلال حالة الأفراد وضروراتهم، ومن خلال التقدم الذي يحرزونه في مسارهم الروحي، ومن خلال حكم مرشدهم.

ولكن إذا وضعنا أنفسنا في العمل بأمانة وجدية وفقًا للطريقة التي وصفتها، فليس هناك شك في أننا في غضون بضعة أسابيع سنكون قد أحرزنا تقدمًا ليس بالقليل.
إنها علامة التقدم في القداسة إذا ثابرنا على ممارسة الفضيلة وسط الجفاف والظلام وضيق الروح وانقطاع التعزية الروحية.

وهناك مؤشر واضح آخر هو درجة مقاومة الحواس لأداء أعمال الفضيلة؛ فكلما ضعفت هذه المقاومة، كلما كان تقدمنا أكبر. لذلك، عندما نتوقف عن تجربة أي معارضة أو تمرد في الجزء السفلي والحسي، وخاصة في الاعتداءات المفاجئة وغير المتوقعة، يمكننا أن ننظر إلى ذلك كعلامة على أننا اكتسبنا الفضيلة.

وكلما زادت همة الروح وبهجتها

ومع هذه الأفعال، كلما كان أملنا أكبر في أن نجني الربح من هذه الممارسة. ومع ذلك، يجب أن نحذر من الافتراض على وجه اليقين أننا قد اكتسبنا أي فضيلة، أو أننا أخضعنا تمامًا أي عاطفة واحدة، حتى لو بعد فترة طويلة، وبعد العديد من النضالات، ربما توقفنا عن الشعور بحركاتها في داخلنا.

لأنه هنا أيضًا قد تجد فنون وحيل الشيطان وطبيعتنا المخادعة مكانًا، حيث أن ما هو رذيلة حقًا يبدو لكبريائنا الكامن هو فضيلة. علاوة على ذلك، إذا نظرنا إلى الكمال الذي يدعونا الله إليه، فإننا بالكاد نقنع أنفسنا، مهما كان التقدم الذي أحرزناه في طريق القداسة، أننا قد تجاوزنا عتبتها.

عد إذن إلى تدريباتك الأولى، كجندي شاب وطفل حديث الولادة، ولكنك بدأت للتو في النضال، وكأنك لم تفعل شيئًا حتى الآن.

وتذكر أن تهتم بالتقدم في القداسة بدلاً من فحص تقدمك؛ لأن الرب الإله، الفاحص الحقيقي والوحيد لقلوبنا، يعطي هذه المعرفة للبعض ويمنعها عن البعض الآخر، إذ يرى أن ذلك يؤدي إلى الكبرياء أو التواضع. وكأب محب يزيل الخطر عن أحدهم، بينما يقدم للآخر فرصة للزيادة في القداسة.

لذلك، على الرغم من أن النفس لا تدرك تقدمها، فلتستمر في هذه التدريبات؛ لأنها ستراه عندما يشاء الرب أن يعرفها من أجل خيرها الأعظم.

أنه يجب ألا نستسلم لرغبة الخلاص من التجارب التي نتحملها بصبر، وكيف علينا أن ننظم كل رغباتنا حتى نتقدم في القداسة

عندما تجد نفسك في موقف مؤلم، وتحتمله بصبر، انتبه لئلا يقنعك الشيطان أو محبتك لنفسك برغبة في الخلاص منه؛ لأنك بذلك قد تصاب بشرين عظيمين.

+ أولا. إذا لم تسلبك هذه الرغبة فضيلة الصبر على الفور، فإنها على الأقل ستدفعك تدريجيًا إلى نفاد الصبر.
+ ثانيا. سيصبح صبرك معيبًا، ولن يكافئك الله إلا على قدر مدة المعاناة؛

أما لو لم تكن ترغب في التحرر منها، بل التزمت بالكلية في صلاحه الإلهي، لكانت آلامك، ولو لمدة ساعة أو أقل، مقبولة عند ربك كخدمة دائمة.

في هذا، إذن، وفي كل الأمور، اجعل من قاعدتك الثابتة أن تبقي رغباتك بعيدة جدًا عن كل شيء آخر حتى تتجه ببساطة إلى غايتها الحقيقية والوحيدة، وهي إرادة الله. لأنهم هكذا سيكونون على حق وحقيقة إلى الأبد؛ وفي أي حادث قد يحدث، لن تكون هادئًا فحسب، بل أيضًا راضيًا، لأنه بما أنه لا يمكن أن يحدث شيء بدون الإرادة العليا، فإنك من خلال إرادتك ستأتي في جميع الأوقات لتريد كل ما يحدث وتمتلك كل ما ترغب فيه.

ويجب ألا يُفهم هذا من خطايانا أو خطايا الآخرين، لأن الله لا يريد ذلك؛ لكنه ينطبق على كل تأديب ينشأ منها أو من أي سبب آخر، على الرغم من أنه شديد الحرص والبحث حتى يصل إلى أعماق القلب ويذبل جذور الحياة الطبيعية؛ صليب يسر الله أحيانًا أن يفضل به أقرب وأعز أصدقائه.

وما أقوله عن الصبر الذي لا بد أن تمارسه في جميع المناسبات، هو أن يُفهم ذلك الجزء من أي مشكلة لا تزال باقية بعد أن استخدمنا جميع وسائل الإغاثة المشروعة، والتي يجب أن نتحملها حسب مشيئة الله. وفي استخدام هذه الوسائل يجب أن نسترشد بإرادة الله وتدبيره

لقد جعلها تُستخدم، لا لإرضاء أنفسنا، بل لأنه يريد ذلك؛ ولا كمحب أو راغب في الخلاص من المعاناة بما يتجاوز ما هو مطلوب لخدمته وبإرادته.

كيف نقاوم الشيطان عندما يحاول أن يخدعنا بغيرته الطائشة؟

عندما يدرك خصمنا الماكر أننا نسير إلى الأمام في طريق القداسة برغبات حارة ولكن منظمة جيد ًا، غير قادر على جذبنا جانبًا بالإغراءات العلنية، فإنه يحول نفسه إلى ملاك نور؛ ومن خلال اقتراحات الصداقة الظاهرة، والجمل من الكتاب المقدس، وأمثلة القديسين، يحثنا بإلحاح على التطلع بغير قصد إلى قمة الكمال، حتى أنه قد يتسبب في سقوطنا من هناك. ولتحقيق هذه الغاية، يشجعنا على تأديب الجسد بقسوة شديدة، عن طريق الأصوام، والتأديبات، وقمصان الشعر، وغيرها من الإماتات المماثلة، حتى أنه قد يغرينا إما بالفخر بالتفكير في أننا نقوم بأشياء عظيمة، وهو إغراء يصيب النساء بشكل خاص، أو قد نمرض، وبالتالي نعجز عن ممارسة الأعمال الصالحة؛ وإلا فإنه بسبب الألم والتعب المفرط قد نكتسب اشمئزاز ًا ومقتًا من التمارين الروحية، وبالتالي نصبح باردين تدريجيًا في طريق التقوى، ونستسلم أخير ًا لجشع أكبر من ذي قبل للملذات والملاهي الدنيوية.

لقد كانت هذه نهاية الكثيرين، الذين، باتباعهم بوقاحة الغيرة الطائشة، تجاوزوا في تقشفهم الخارجي المفرط مقياس فضيلتهم الداخلية؛ وهكذا هلكوا في اختراعاتهم الخاصة، وأصبحوا رياضة الحيل الخبيثة. لم يكن هذا ليصيبهم لو أنهم فكروا جيد ًا في ما كنا نقوله، وتذكروا أن أعمال الانضباط الذاتي المؤلمة هذه، مهما كانت جديرة بالثناء ومفيدة لأولئك الذين لديهم قوة الجسد وتواضع الروح، يجب أن تكون متناسبة مع حالة كل إنسان وحالته.

وأولئك الذين ليسوا متساوين في العمل مع القديسين في تقشفات مماثلة، قد يجدون فرصًا أخرى لتقليد حياتهم برغبات قوية وفعالة وصلوات حارة، متطلعين إلى الإكليل المجيد لجندي المسيح الحقيقي عن طريق احتقار العالم كله وأنفسهم أيضًا؛ من خلال تسليم أنفسهم للعزلة والصمت؛ بالوداعة والتواضع تجاه جميع البشر؛ بالصبر على الأخطاء؛ وذلك بإحسان من خالفهم؛ وباجتناب كل خطأ مهما كان تافها ً؛ الأشياء أكثر بكثير

مقبولة عند الله من تمارين الجسد المؤلمة. فيما يتعلق بهذه الأمور، أود أن تكون حريصًا إلى حد ما، حتى تتمكن، إذا لزم الأمر، من زيادتها، بدلاً من بعض الحماس الزائد للمخاطرة بالتخلي عنها تمامًا. أقول لك هذا، وأنا على يقين من أنك لن تقع على الأرجح في خطأ أولئك الذين، على الرغم من أنهم يبدون روحانيين، إلا أنهم قد انخدعوا وخدعوا بطبيعتهم الخادعة في الاهتمام المفرط بالحفاظ على صحتهم الجسدية. إنهم غيورون جداً، ويخافون من أدنى شيء قد يؤثر عليهم، لدرجة أنهم يعيشون في شك دائم وخوف من فقدانه. ولا يوجد شيء يحبون أن يفكروا فيه ويتحدثوا عنه أكثر من ترتيب حياتهم في هذا الصدد. ومن ثم فإنهم حريصون دائمًا على الحصول على طعام يناسب ذوقهم أكثر من معدتهم، والتي غالبًا ما تضعف بسبب الإفراط في الرقة. وعلى الرغم من أن كل هذا يتم بحجة اكتساب القوة للخدمة بشكل أفضل

يا إلهي، إنها في الواقع مجرد محاولة يائسة للتوفيق بين عدوين لدودين، الروح والجسد؛ محاولة تضر كليهما بدلا من أن تفيد أحدهما؛ لأن هذا الإفراط في الحذر يضعف صحة أحدهما وإخلاص الآخر.

ومن ثم فإن درجة معينة من الحرية في أسلوب حياتنا تكون أكثر أمانًا وأكثر ربحية؛ ومع ذلك، يكون مصحوبًا بالتقدير الذي تحدثت عنه، مع مراعاة الدساتير وحالات الحياة المختلفة، والتي لا يمكن إخضاعها جميعًا لنفس القاعدة.

في سعينا إلى القداسة الداخلية، كما إلى التقوى الخارجية، يجب أن نتقدم باعتدال، كما بينا سابقًا في موضوع اكتساب الفضائل تدريجيًا.

عن تجربة إصدار أحكام متهورة على قريبنا، الناشئة عن تحريض الشيطان وقوة ميولنا الشريرة، وعن طريقة مقاومة هذا الإغراء

من نفس رذيلة احترام الذات والغرور ينشأ شيء آخر أكثر ضرراً لنا، أي الحكم المتسرع على جارنا، مما يقودنا إلى احتقاره واحتقاره والحط من شأنه. وهذا الخطأ الذي ينشأ من كبريائنا وميلنا الشرير، يتغذى ويزداد طوعًا بنفس الكبرياء؛ لأنه كلما زاد، كلما زاد الكبرياء أيضًا، مما يغرينا ويخدعنا بشكل غير محسوس.

لأننا كلما افترضنا تمجيد أنفسنا، كلما زاد اكتئابنا للآخرين دون وعي؛ بينما نتخيل أنفسنا خاليين من تلك العيوب التي نعتقد أننا ندركها فيهم.

والمجرب الماكر، الذي يكتشف هذه الشخصية الشريرة فينا، يسهر باستمرار على فتح أعيننا وإبقائها مستيقظين لرؤية عيوب الآخرين والتحقيق فيها والمبالغة فيها.

النفوس المهملة لا تعرف ولا تصدق مدى اجتهاده في الدراسة ومحاولة إقناع أذهاننا بالإخفاقات الصغيرة لهذا الشخص أو ذاك، عندما لا يستطيع أن يكتشف لنا أخطاء أكبر.

لذلك، كما هو يراقب ليؤذيكم، اسهروا أنتم أيضًا لئلا تقعوا في فخه. وعندما يعرض أمامك أي عيب لدى قريبك، اطرد الفكرة على الفور؛ وإذا كنت لا تزال تشعر بالإغراء لإصدار حكم عليه، قاوم هذا الدافع. اعتبر أن منصب القاضي لم يُعهد إليك؛ وأنه حتى لو كان الأمر كذلك، فأنت محاط بآلاف المشاعر، ولكنك عرضة للتفكير في الشر دون سبب عادل، فلن تتمكن من تكوين حكم عادل.

وكعلاج فعال ضد الأحكام المتهورة، أود أن أذكرك بأن تشغل أفكارك بعيوبك؛ وهكذا ستدرك بوضوح أكثر فأكثر في كل ساعة مقدار ما عليك أن تفعله في نفسك ومن أجل نفسك، ولن تجد الوقت ولا الرغبة في الاهتمام بأعمال الآخرين.

بالإضافة إلى ذلك، من خلال أداء هذا التمرين بأمانة، سوف تتمكن أكثر فأكثر من تطهير بصرك الداخلي من الأخلاط الخبيثة التي تأتي منها هذه الرذيلة الفاسقة.

واعلم أنه عندما تكون غير سعيد إلى حد التفكير في أي شر تجاه أخيك، فإن هناك جذوراً لنفس الشر في قلبك؛
الذي، بقدر ما هو غير مستعد، يرحب ترحيبًا حاراً بأي شيء مثله.

لذلك، كلما خطر في ذهنك أن تحكم على شخص آخر بسبب خطأ ما، احتقر نفسك لأنك مذنب بنفس الشيء، وقل في قلبك: "كيف يمكن لشخص بائس مثلي، مثقل بهذه الأخطاء وأخطاء أسوأ بكثير، أن يجرؤ على رفع رأسي لرؤية أخطاء الآخرين والحكم عليها!" وهكذا فإن السلاح الذي كان سيجرحك، إذا كان موجهًا ضد شخص آخر، إذا تحول ضدك، سيجلب الشفاء لجراحك.

إذا كان الخطأ المرتكب واضحًا وظاهراً، فابحث عن عذر رحيم له، وآمن أن في أخيك بعض الفضائل الخفية، التي من أجلها تركه الرب يسقط، أو يكون عرضة لهذا الفشل لبعض الوقت، حتى يصبح حقيراً في نظر نفسه؛ وأنه، كونه يحتقره الآخرون أيضًا لهذا السبب، قد يجني ثمرة الذل، ويجعل نفسه أكثر قبولاً لدى الله، وبالتالي يصبح ربحه أكبر من خسارته.

ولكن إذا لم تكن الخطية واضحة فحسب، بل خطيرة وعنيدة عن عمد، فحوّل أفكارك إلى أحكام الله الفظيعة. ثم سترى رجالاً كانوا ذات يوم خطاة كباراً يصلون إلى درجات عالية من القداسة؛ وآخرون يبدو أنهم قد وصلوا إلى أعلى مراتب الكمال، فيسقطون في أدنى أعماق الهلاك.

لذلك خاف وارتعد على نفسك أكثر بكثير من أي شخص آخر.
وتأكد أن كل شعور طيب ولطيف تجاه قريبك هو عطية الروح القدس؛ وأن كل حكم متسرع، وكل ازدراء ومرارة تجاهه، ينبع من قلوبنا الشريرة ومن اقتراحات الشيطان.

فإذا كان أي نقص في شخص آخر قد ترك انطباعًا في ذهنك، فلا ترتاح ولا تمنح عينيك سباتًا حتى تمحوه من قلبك بأقصى ما تستطيع.

على الصلاة

إذا كان عدم الثقة بالنفس، والثقة في الله، والتدريبات الروحية، ضرورية للغاية، كما سبق أن بينا، في هذا الصراع، فإن الحاجة قبل كل شيء هي الصلاة (السلاح الرابع المذكور أعلاه) والتي من خلالها يمكننا أن نحصل من الرب إلهنا ليس على هذه وحدها، بل على كل الأشياء الصالحة الأخرى.

لأن الصلاة هي أداة الحصول على كل النعم التي تتدفق علينا من ذلك المصدر الإلهي للمحبة والصلاح.

بالصلاة، إذا أحسنت استخدامها، ستضع سيفًا في يد الله لتقاتل به وتنتصر نيابةً عنك.

ولكي تستخدمه بشكل جيد، يجب أن تتمرن جيدًا على الممارسات التالية، أو أن تسعى جاهداً لتصبح كذلك.

1. يجب أن تكون لديك رغبة صادقة في خدمة جلالته في كل شيء، وبالطريقة الأكثر قبولاً لديه.

من أجل إشعال هذه الرغبة، ضع في اعتبارك جيدًا أن الله يستحق أن يُخدم ويُكرَّم على نحوٍ فائق لفضائله السامية، وحكمته، وصلاحه، وجلاله، وجماله، وكل كمالاته الأخرى اللامتناهية. أنه في سبيل خدمتك تعب وتألم لمدة ثلاث وثلاثين سنة؛ يجب أن يربط ويشفي القروح المتعفنة المسمومة بسم الخطية، ليس بالزيت أو الخمر أو الكتان، بل بالنهر الثمين الذي تدفق من عروقه المقدسة، وبجسده الطاهر الذي مزقته السياطات والأشواك والمسامير.

وفكر كذلك في القيمة الكبيرة لهذه الخدمة. ومن خلاله نكتسب السيادة على الشيطان وأنفسنا، ونصير أبناء الله نفسه.

2. يجب أن يكون لديك إيمان وثقة حية بأن الرب سيعطيك كل ما تحتاجه لخدمته وخيرك. هذه الثقة المقدسة هي الوعاء الذي تملأه الرحمة الإلهية من كنوز نعمته. وكلما كانت أكبر وأكثر اتساعًا، كلما عادت صلواتنا محملة بغنى إلى أحضاننا. لأنه كيف يفشل الله القدير وغير المتغير في أن يمنحنا مواهبه، وهو نفسه أوصانا أن نطلبها؟ واعدًا أيضًا أن يعطينا روحه إذا طلبنا بإيمان ومثابرة؟

3. عندما تصلي، فليكن نيتك أن تريد مشيئة الله وحده، وليس مشيئتك، وكذلك في الطلب والحصول عليها؛ أي صلِّ لأن الله يريدك أن تصلي، وترغب في أن يُسمع صوتك بعيداً وليس أبعد مما يريد. نيتك، باختصار، يجب أن تكون توحيد إرادتك مع إرادة الله، وليس جذب إرادته إلى إرادتك.

وذلك لأن إرادتك، التي تصاب بالعدوى وتدمرها محبة الذات، غالبًا ما تخطئ، ولا تعرف ما الذي تطلبه؛ لكن الإرادة الإلهية، التي تتحد دائمًا مع الخير الذي لا يوصف، لا يمكن أن تخطئ أبداً.
لذلك فإن إرادة الله هي القاعدة والحاكمة لكل الإرادات الأخرى؛ وهو يستحق ويريد أن يتبعه ويطيعه الجميع.
لذلك، اسأل دائمًا الأشياء التي تتوافق مع مشيئة الله؛
وإذا كنت في شك هل الأمر كذلك أم لا، فاسأله بشرط أن يكون على مشيئة الله.

وتلك الأشياء (مثل كل الفضائل) التي تعلم بالتأكيد أنها توافق عليه، تطلبها بالأحرى من أجل خدمته وإرضائه وليس لأي دافع آخر، مهما كان روحيًا على الإطلاق.

4. احرص عندما تذهب إلى الصلاة أن تزين نفسك بالأعمال التي تتوافق مع طلباتك؛ وبعد أن تصلي، اعمل بجدية أكبر حتى تؤهل نفسك للنعمة والفضيلة التي ترغب في الحصول عليها.

لأن ممارسة الصلاة يجب أن تكون مصحوبة باستمرار بممارسة الانضباط الذاتي، حتى أن أحدهما قد يشمل الآخر؛
وإلا فإن الصلاة من أجل فضيلة وعدم بذل أي جهد في الحصول عليها هي بالأحرى تجربة لله بدلاً من خدمته.

5. لتكن طلباتك مسبوقة عادة بالشكر على المراحم السابقة، بالأشكال التالية أو ما شابه:
"يا رب، يا من خلقتني وخلصتني من صلاحك، وفي مناسبات كثيرة لا حصر لها، أنقذني من أيدي أعدائي، ساعدني الآن، ولا ترفض طلباتي، على الرغم من أنني كنت متمرداً وجحوداً لك."

وإذا، بينما كنت تصلي من أجل أي فضيلة معينة، إذا ظهرت مناسبة مؤلمة لممارستها، فلا ترجع

أشكر الله على الفرصة التي أتاحها لك، وهذا ليس بالدليل البسيط على محبته.

6. بما أن الصلاة تستمد فعاليتها وقوتها في استرضاء الله وميله إلى رغباتنا من صلاح ورحمة طبيعته، ومن استحقاقات حياة وآلام ابنه الوحيد، ومن وعده بالاستماع إلينا، اختتم طلباتك بواحدة أو أكثر من الجمل التالية:

"برحمتك العظيمة، يا رب، هبني نعمتك. ولتكن استحقاقات ابنك تنال طلبي من أجلي. أذكر وعودك، يا إلهي".

اللهمّ أمل أذنك إلى صلاتي.

وتارة أخرى اطلب النعم باستحقاقات مريم العذراء والقديسين، الذين لهم قوة عظيمة عند الله، ويكرمونه كثيراً، لأنهم في هذه الحياة يكرمون جلاله الإلهي كثيراً.

مواظبة على الصلاة؛ للمثابرة المتواضعة

ينتصر على الذي لا يقهر. وإذا كانت إلحاح الأرملة في الإنجيل قد أدى إلى طلبها من القاضي الظالم المثقل بالظلم، فهل يفشل مثل هذا المثابرة في الاستجابة لطلباتنا من الله الذي هو نفسه كمال الصلاح؟

وعلى الرغم من أن الرب يجب أن يتأخر في سماع صلاتك، بل ويبدو أنه يرفضها، استمر في الصلاة، ولا تزال متمسكًا بثقة ثابتة وحيوية في مساعدته؛ لأنه ليس فيه نقص، بل فيضان لا نهاية له في كل الأشياء الضرورية للنعمة التي نطلبها.

لذلك، ما لم يكن هناك أي خطأ من جانبك، يمكنك أن تطمئن إما إلى حصولك على جميع طلباتك، أو على شيء سيكون أكثر ربحية بالنسبة لك، أو قد يكون كلاهما معًا؛ وكلما بدا أنه ينفرك، كلما تواضعت أمام نفسك، آخذاً بعين الاعتبار عيوبك، وثبت عينيك على رحمة الله. وهكذا عزز ثقتك به أكثر فأكثر، والتي ستكون أكثر قبولاً عند ربك، إذا حافظت عليها أكثر حيوية وكمالاً كلما كثرت الهجمات عليها. وأخيراً، اشكر الله دائمًا، معترفًا بأنه ليس أقل صلاحًا وحكمة ومحبة، عندما تُنكر بعض الأشياء، مما لو مُنحت لك كل شيء. مهما حدث، هل ستظل ثابتًا ومبتهجًا في الخضوع المتواضع لعنايته الإلهية.

الفصل الخامس

والأربعون الصلاة

الصلاة العقلية هي رفع أذهاننا إلى الله، ونطلب منه، سواء بشكل صريح أو ضمني، تلك الأشياء التي نحتاج إليها. ونحن نطلبها صريحًا عندما نقول في قلوبنا: "يا إلهي، امنحني هذا الطلب لإكرام اسمك القدوس". أو "يا رب، أنا على قناعة راسخة بأن هذا الالتماس هو إرادتك، ومن أجل كرامتك الأعظم، أطلب هذا الالتماس. لذلك، حقق إرادتك الإلهية في داخلي." عندما تضايقنا هجمات العدو فلنقل: "أسرع يا رب إلى معونتي لئلا أقع فريسة لعدوي". أو "يا الله ملجأي وقوتي أعنّي سريعاً لئلا أهلك". عندما تستمر التجربة، يجب علينا أن نستمر في نفس الصلاة، ونقاوم العدو بشجاعة؛ وعندما تنتهي عنف القتال، دعونا نتوجه إلى الله تعالى، ونطلب منه أن ينظر في ضعفنا في مواجهة قوة العدو: "هوذا يا إلهي، خليقتك، عمل يديك، رجل فدى بدمك الثمين. وهوذا الشيطان يحاول أن يحمله منك ليهلكه تمامًا. إليك أتوجه طلبًا للمعونة، وعليك أضع كل ثقتي، لأنني أعلم أنك وحدك. أشفق على المخلوق البائس الذي يتعثر بشكل أعمى، ولو عمداً، في طريق أعدائه، كما يفعل جميع الذين تركوا معونة نعمتك. ساعدني إذن، يا رجائي الوحيد، يا قوة نفسي الوحيدة!

نحن نطلب نعمة الله ضمنيًا عندما نقدم له احتياجاتنا، دون أن نطلب أي طلب معين. عندما نضع أنفسنا في حضرته الإلهية، فإننا نعترف بعجزنا عن تجنب الشر أو عمل الخير دون مساعدته. ومع ذلك فنحن مشهورون بالرغبة في خدمته. لذلك يجب أن نثبت أعيننا عليه، وننتظر معونته بثقة لا حدود لها وتواضع مطلق.

إن الاعتراف بضعفك والرغبة في خدمته، وعمل الإيمان هذا الذي نقوم به، هو صلاة صامتة ستحقق بلا شك طلبنا من السماء. كلما كان الاعتراف صادقًا، كلما كانت الرغبة أكثر حماسًا، وكلما كان الإيمان أكثر حيوية، كلما كانت فعالية الصلاة أمام عرش الله أعظم.

هناك طريقة أخرى للصلاة مشابهة لهذه، ولكنها أكثر إيجازاً، وتتكون من فعل واحد للنفس. الروح تقدم

يلجأ إلى الله عز وجل، ويعلن عن معروف سبق أن طلب و

لا يزال مطلوبًا، على الرغم من عدم التعبير عنه رسميًا.

فلنجتهد في تنمية هذا النوع من الصلاة، ونستخدمه في كل المناسبات؛ لأن التجربة ستقنعنا أنه لا يوجد شيء أسهل، ولكن ليس هناك شيء أكثر جودة وفعالية.

الفصل السادس
والأربعون

عندما يتم قضاء وقت طويل، مثل نصف ساعة، أو ساعة، أو حتى فترة أطول، في الصلاة، فمن المستحسن أن نتأمل في بعض سمات حياة مخلصنا أو آلامه؛ وينبغي بعد ذلك تطبيق التأملات التي تنشأ بشكل طبيعي من هذا التأمل على الفضيلة المحددة التي نسعى جاهدين لتحقيقها.

على سبيل المثال، إذا كنت بحاجة إلى الصبر، تأمل في سر مخلصك المجلود على العمود. تأمل أولاً الضربات والشتائم التي وجهها إليه الجنود وهم يسحبون ضحيتهم البريئة بوحشية إلى المكان المحدد كما أمروا. ثانياً: اعتبره مجرداً من ثيابه، معرضاً للبرد القارس.

ثالثًا، تخيل تلك الأيدي البريئة المقيدة بإحكام إلى العمود.
رابعًا، تأمل جسده ممزقًا بالسياط حتى بلل دمه الأرض. وأخيراً، تصور تكرار الضربات، مما يخلق جروحًا جديدة، ويعيد فتح جروح أخرى على ذلك الجسد المقدس.

من خلال الخوض في هذه التفاصيل أو ما شابهها، والتي تهدف إلى إلهامك حب الصبر، يجب أن تحاول أن تشعر داخل روحك بالألم الذي لا يوصف والذي يتحمله بصبر معلمك الإلهي. ثم تأمل في عذاب روحه المؤلم، والصبر والوداعة التي احتمل بها ذلك العذاب الذي كان على استعداد أن يعاني أكثر من أجل مجد الله وخيرك.

هوذا سيدكم ملطخًا بالدم، لا يرغب في شيء أكثر من قبولكم بصبر للضيقة؛ وتأكد أنه يطلب لك معونة الآب السماوي لكي تحتمل باستسلام، ليس فقط صليب اللحظة، بل الصلبان الآتية. لذلك، عزز من خلال الأعمال المتكررة تصميمك على المعاناة بفرح؛ وارفعوا ذهنكم إلى السماء، واشكروا أبا المراحم، الذي أرسل ابنه الوحيد إلى هذا العالم ليعاني عذابات لا توصف، ويشفع فيكم في احتياجاتكم.

واختتم تأملك بالتوسل إليه أن يمنحك فضيلة الصبر باستحقاقات وشفاعة هذا الابن الحبيب الذي ارتضى به.

الفصل السابع والأربعون

طريقة أخرى للتأمل

وهناك طريقة أخرى للصلاة والتأمل غير تلك التي أشرنا إليها. في هذه الطريقة الأخيرة، بعد أن نظرت في الآلام المؤثرة لمخلصك واحتماله الصبور عليها، تنتقل إلى اعتبارين آخرين لهما نفس القدر من الأهمية.

الأول هو النظر في استحقاقات المسيح اللامتناهية، والآخر هو ذلك الشبع والمجد الذي ناله الآب الأزلي من طاعته – طاعة حتى الموت، وحتى موت الصليب.

عليك أن تمثل هذين الاعتبارين أمام الجلالة الإلهية، باعتبارهما وسيلتين قويتين للحصول على النعمة التي تطلبها. وهذه الطريقة تنطبق، ليس فقط على كل أسرار آلام ربنا، بل على كل عمل خارجي أو داخلي قام به خلال آلامه.

طريقة صلاة مبنية على شفاعة السيدة العذراء

بالإضافة إلى طرق التأمل التي سبق ذكرها، هناك طريقة أخرى موجهة بشكل خاص إلى السيدة العذراء مريم. نحن نتأمل أولاً في الآب الأبدي، ثم يسوع المسيح ربنا، وأخيراً الأم المباركة.

فيما يتعلق بالآب الأبدي، هناك اعتباران. الأول هو المودة الفريدة التي كان يكنها منذ الأزل لهذه العذراء الكلية العفة التي اختارها لتكون أماً لابنه الإلهي. والثاني: القداسة السامية التي سرّ أن يمنحها لها، والفضائل الكثيرة التي مارستها في حياتها.

بالتأمل في محبة الآب الأزلي لسيدتنا، عليك أن تبدأ برفع عقلك فوق كل الكائنات المخلوقة؛ تطلع إلى مساحات الأبدية الشاسعة، وادخل إلى قلب الله، وانظر مدى البهجة التي نظر بها إلى الشخص المقدر له أن يصبح يومًا ما أمًا لابنه؛ وتوسل إليه بهذه البهجة أن يمنحك القوة الكافية ضد أعدائك، وخاصة أولئك الذين يضايقونك بشدة. تأمل إذن في فضائل هذه العذراء التي لا مثيل لها وأعمالها البطولية؛ قم بتقديم كل منها أو جميعها قربانًا إلى الله، لأنها ذات فعالية في الحصول على المساعدة الإلهية لك في احتياجاتك الخاصة.

بعد ذلك توجه إلى يسوع، وتوسل إليه أن يتذكر تلك الأم المحبة التي حملته في بطنها تسعة أشهر، ومنذ ولادته قدمت له عبادة عميقة. لأن هذا كان اعترافها بأن هذا الطفل هو الله والإنسان في آن واحد، خالقها وابنها. لقد رأته برأفة وهو في حالة سيئة في إسطبل متواضع، وأطعمته بلبنها النقي، وقبلته واحتضنته ألف مرة بحب أمومي، وعانيت من أجله خلال حياته وعند وفاته بشكل لا يمكن التعبير عنه. قدم هذه الصورة إلى المخلص، حتى يضطر، بمثل هذه الدوافع القوية، إلى سماع صلواتك.

توسل إلى العذراء القديسة نفسها، وذكّرها بمهمتها منذ الأزل، أن تكون أم الرحمة وملجأ الخطأة، وأنك، بعد ابنها الإلهي، تضع ثقتك الكبرى في شفاعتها. اعرض عليها الحقيقة،

أكدها العلماء وثبتتها المعجزات، أنه لم يدعوها أحد قط بإيمان حي، وتركت دون مساعدة.

وأخيراً، ذكّرها بآلام ابنها من أجل خلاصك، حتى تنال منه النعمة اللازمة لتستخدم آلامه بشكل سليم من أجل المجد الأعظم لذلك المخلص المحب.

بعض الاعتبارات لحث الثقة في مساعدة العذراء المباركة

من يرغب في اللجوء إلى السيدة العذراء بثقة عليه أن يراعى الدوافع التالية:

1. إن التجربة تعلمنا أن الوعاء الذي يحتوي على العطور يحافظ على رائحتها، خاصة إذا بقي العطر في الوعاء لفترة طويلة، أو إذا بقي منه شيء؛ ولكن هنا لا توجد سوى قوة محدودة، تشبه الدفء المنقول من النار، مصدر ذلك الدفء.

إذا كان الأمر كذلك، فماذا نقول عن محبة ورأفة العذراء القديسة، التي حملت ولا تزال تحمل في قلبها، ابن الله الوحيد، المحبة غير المخلوقة التي لا حدود لها لمدة تسعة أشهر؟ إذا كنا، كلما اقتربنا من النار، نتأثر بحرارتها، أليس لدينا سبب للاعتقاد بأن كل من يقترب من قلب أم المراحم، المشتعل دائمًا بمحبتها الحارة، يجب أن يتأثر بعمق بما يتناسب مع تواتر طلباته، والتواضع والثقة في قلبه؟

2. لم يحب أي مخلوق يسوع المسيح بحماسة أكبر، ولم يظهر خضوعًا أكمل لمشيئته، أكثر من مريم أمه. فإذا كان هذا المخلص، المذبوح من أجلنا نحن الخطاة، قد قدم لنا أمه، المحامية والشفيعة إلى الأبد، فلا يمكنها إلا أن تمتثل لطلبه، ولن ترفض مساعدتها لنا. دعونا إذن لا نتردد في التماس شفقتها؛ فلنلجأ إليها بثقة كبيرة في كل احتياجاتنا، لأنها مصدر بركات لا ينضب، ونمنحها النعم بما يتناسب مع الثقة الموضوعة فيها.

الفصل ل

طريقة التأمل والصلاة التي تنطوي على شفاعة القديسين والملائكة

يمكن استخدام الطريقتين التاليتين للحصول على حماية القديسين والملائكة.

الطريقة الأولى هي أن تتوجه إلى الآب الأزلي، واضعًا أمامه ترانيم الأجواق السماوية، والتعب والاضطهادات والعذابات التي عانى منها القديسون على الأرض من أجل محبتهم. ثم، متذكرًا إخلاصهم ومحبتهم، توسّل إليه أن يستجيب لطلباتك.

الطريقة الثانية هي استدعاء الملائكة، تلك الأرواح المباركة الراغبة بشدة، ليس فقط في كمالنا الأرضي، بل أيضًا في كمالنا السماوي الأعظم. اطلب منهم بكل جدية أن يساعدوك في إخضاع ميولك الشريرة وقهر أعداء خلاصك؛ واطلب ذكرى خاصة عند ساعة الموت.

فكر أحيانًا في النعم الاستثنائية التي منحها الله للقديسين والملائكة، وابتهج كما لو أنها مُنحت لك. بل بالأحرى، اجعل فرحك أعظم لأنه منحهم هذه النعم بدلاً من نفسك، لأن هذه كانت إرادته؛ ويجب عليك أن تبارك الله وتسبحه في تحقيق خطته الإلهية.

لتسهيل انتظام وأداء هذا التمرين، سيكون من الجيد تخصيص أيام الأسبوع المختلفة لرتب المباركين المختلفة. في يوم الأحد، أطلب شفاعة الأجواق الملائكية التسعة؛ وفي يوم الاثنين اذكر يوحنا المعمدان؛ ويوم الثلاثاء البطاركة والأنبياء؛ يوم الاربعاء الرسل. ويوم الخميس الشهداء؛ ويوم الجمعة الأساقفة والمعترفون؛ وفي يوم السبت العذارى والقديسين الآخرين. لكن لا تدع أي يوم يمر دون أن تطلب مساعدة السيدة العذراء، ملكة جميع القديسين، أو ملاكك الحارس، أو رئيس الملائكة المجيد القديس ميخائيل، أو أي قديس آخر لديك أي إخلاص خاص له.

علاوة على ذلك، توسّلوا يومياً إلى الآب الأزلي وابنه الإلهي والعذراء المباركة، أن تكونوا بشكل خاص تحت حماية القديس يوسف، عريس العذارى الأكثر عفة. ثم توجه إلى هذا الحامي المحب، واطلب بتواضع كبير أن يتم قبولك في رعايته. لأن الأمثلة لا تعد ولا تحصى

المساعدة المقدمة لأولئك الذين لجأوا إلى القديس يوسف في احتياجاتهم الروحية أو الزمنية. لقد ساعدهم بشكل خاص عندما كانوا في حاجة إلى نور من السماء وتوجيه في صلواتهم. وإذا كان الله يظهر هذا القدر من الاحترام للقديسين الآخرين الذين أحبوه وخدموه هنا أدناه، فكم من الاهتمام والاحترام لن يظهره للشخص الذي أكرمه إلى هذا الحد بحيث يقدم له إجلالاً وطاعةً حقيقيتين؟

الفصل لي

التأمل في آلام المسيح والمشاعر المستمدة من التأمل فيها

ما وصفته سابقًا فيما يتعلق بطريقة الصلاة والتأمل في آلام ربنا ومخلصنا، كان يتعلق فقط بطلب الأشياء التي نحتاج إليها؛ الآن علينا أن ننتقل إلى اعتماد المشاعر الصحيحة من اعتباراتنا. على سبيل المثال، إذا اخترت الصلب والظروف المصاحبة له كموضوع لتأملك، فيمكنك التفكير في الاعتبارات التالية.

تأمل أولاً وصول يسوع على جبل الجلجثة. لقد جرده جلادوه بكل وقاحة، ومزقوا الثياب التي التصقت بلحم جسده الممزق. تأمل بعد ذلك في الجروح الجديدة التي أحدثها إكليل الشوك في رأسه الأقدس، والتي أزالها وأعادها جلاديه البرابرة. بعد ذلك، تصوره مسمراً على الصليب بالمسامير، مطروقًا في الجسد والخشب بمطرقة كبيرة. ضع في اعتبارك أن يديه، اللتين لم تصلا إلى الأماكن المخصصة لهما، امتدتا بعنف لدرجة أن كل عظامه انفصلت، مما سمح للناظر بإحصاء عظامه نفسها (مزمور 18، XXL). ثم فكر في الارتفاع الفعلي للصليب، وثقل جسد المسيح الذي كان مستنداً على مسامير مزقت جروحًا غائرة في يديه وقدميه، مما سبب له ألمًا مبرحًا.

إذا كنت بهذه الاعتبارات وأمثالها ترغب في إشعال شهرة الحب الإلهي في قلبك، فحاول أن تبلغ بالتأمل معرفة سامية عن صلاح مخلصك اللامتناهي، الذي تنازل ليتألم كثيراً من أجلك. فكلما تقدمت في معرفة محبته لك، كلما زاد حبك وعاطفتك له. عندما تقتنع بمحبته غير العادية، فمن الطبيعي أن تشعر بحزن صادق لأنك أساءت إليه كثيراً وبشكل شنيع، الذي قدم نفسه كذبيحة عن خطاياك.

فاستمر إذن في القيام بأعمال الرجاء، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الإله العظيم على الصليب لم يكن لديه خطة أخرى سوى استئصال الخطية من العالم، وتحريرك من الشيطان، والتكفير عن جرائمك، ومصالحتك مع أبيه، وتوفير مصدر لك في كل احتياجاتك.

ولكن إذا نظرت بعد التأمل في آلامه، إلى آثارها، فإنك

سيتحول الحزن إلى فرح. لاحظ أنه بموت المسيح مُحيت خطايا البشرية، واسترضي غضب القاضي صاحب السيادة، وهزمت قوى الجحيم، وهزم الموت نفسه، وملأت أماكن الملائكة الساقطين في السماء. والفرح الناشئ عن مثل هذه التفكر سيزداد بالتفكير في الفرح الذي استقبل به الثالوث الأقدس، العذراء القديسة، الكنيسة المجاهدة والمنتصرة، البشرى السارة عن فداء البشرية.

إذا كان لديك حزن شديد على خطاياك، دع تأملك يقنعك أنه إذا عانى يسوع المسيح كثيراً، فإن ذلك يلهمك باحتقار ذاتي سليم، وكراهية لعواطفك غير المنضبطة، وخاصة أخطائك الكبرى، والتي هي بطبيعة الحال أكثر إهانة لله القدير.

وإذا كنت ترغب في إثارة مشاعر الإعجاب، فما عليك سوى أن تضع في اعتبارك أنه لا يوجد شيء أكثر إثارة للصدمة من رؤية خالق الكون، ينبوع الحياة، وهو يذبح من قبل مخلوقاته، كما كان حق الجلال الأسمى مُباداً، وإدانة العدالة، والجمال المدنس والضائع في القذارة، ويصبح محبوب الآب الأزلي مكروهًا من الخطاة. النور الذي لا يمكن الوصول إليه تطغى عليه قوى الظلام؛ إن المجد والسعادة غير المخلوقين مدفونان تحت العار والبؤس.

لكي تثير الشفقة في قلبك من أجل معاناة مخلصك وإلهك، باستثناء آلامه الخارجية، فكر في آلامه الأكثر حدة، ألا وهي آلامه الداخلية. لأنه إن تأثرت بالأولى، فسوف يجرحك الحزن عند رؤية الثاني. لقد رأت نفس المسيح اللاهوت في ذلك الوقت بوضوح كما تفعل الآن في السماء. لقد عرفت مدى استحقاق الله للتكريم، وبما أنها أحبته بلا حدود، فقد أرادت أن تحبه جميع المخلوقات بكل قوة نفوسها. لذلك، عند رؤيته وقد تعرض لإهانة فظيعة في جميع أنحاء العالم بسبب عدد لا يحصى من الجرائم البغيضة، غمره الحزن لأن الجلالة الإلهية لم تكن محبوبة ولا تخدمها جميع البشر. ولما كانت عظمة رغبة نفس المسيح في أن يحب أباه تفوق الخيال، فمن العبث أن نحاول فهم أعماق آلامه الداخلية في آلام الموت.

علاوة على ذلك، بما أن هذا المخلص الإلهي أحب البشرية إلى درجة لا توصف، فلا بد أن مثل هذا الحب المتقد والحنون قد سبب له الكثير من الحزن بسبب الخطايا التي كانت ستنتزع الناس منه. لأنه كان يعلم

أنه لا يمكن لأحد أن يخطئ للموت دون أن يهدم تلك النعمة المقدّسة التي هي الرباط بينه وبين البار. وهذا الانفصال من شأنه أن يسبب ليسوع آلامًا في النفس أكبر مما تسببه خلع الأطراف في جسده. لأن الروح، الروحية تمامًا والمتفوقة بما لا يقاس على الجسد، أكثر انسجامًا مع الألم. ولكن من بين كل آلام مخلصنا المبارك، فإن الأكثر حزنًا، بلا شك، كان رؤية الملعونين، غير القادرين على التوبة، والذين يجب حتمًا أن يُطردوا منه إلى الأبد.

إذا كان التأمل في مثل هذه المعاناة يدفعك إلى التعاطف مع يسوع المحتضر، فتأمل أكثر، وستجد أن معاناته المفرطة لم تكن بسبب خطاياك وحدها؛ لأن دمه الثمين سفك ليس فقط ليطهرك من الخطايا التي ارتكبتها، بل ليحفظك من تلك التي كان من الممكن أن ترتكبها لو لم تساعدك السماء. إنها حقيقة أنك لن تكون أبدًا بدون دوافع للمشاركة في آلام يسوع المصلوب. واعلم أيضًا أن الطبيعة البشرية لم ولن تتعرض أبدًا لأي بلاء لم يكن يعلمه. لقد عانى من الجراح، واللوم، والإغراءات، والآلام، وفقدان الممتلكات، والتقشف الطوعي بشكل أكثر حدة من أولئك الذين يئنون تحتها.

لأنه بما أن هذا المخلص الحنون كان لديه فهم كامل لأي ضيق في العقل أو الجسد نتعرض له - حتى لأدنى قدر من الألم أو الصداع - فمن المؤكد أنه قد تحرك برأفة عظيمة من أجلنا.

ولكن من يستطيع أن يعبر عما شعر به عند رؤية معاناة أمه القديسة؟ لأنها شاركت في كل الألم والاعتداءات التي صاحبت آلامه، بنفس الآراء وبنفس الدوافع. ورغم أن معاناتها كانت قصيرة إلى ما لا نهاية

له، كانوا مؤلمين وراء التعبير. إن إدراك آلام السيدة العذراء ضاعف أحزان يسوع، واخترق قلبه بشكل أعمق. ومن هنا، شبهت نفس تقية قلب يسوع بأتون مشتعل، حيث عانى طوعًا من شهرة الحب الإلهي المتقدة.

بعد كل شيء، ما هو سبب هذا العذاب الذي لا يوصف؟ لا شيء إلا ذنوبنا؛ هذا هو الجواب. لذلك، فإن أعظم تعاطف وامتنان يمكن أن نظهره تجاه من عانى كثيرًا من أجلنا، هو أن نأسف حقًا على إهاناتنا الماضية بدافع خالص.

الحب له. أن نكره الخطية بكل حماسة نفوسنا لأنها لا ترضيه؛ وأن يشن حربًا متواصلة ضد ميولنا الشريرة لأنها أعظم أعدائه. وهكذا، عندما نجرد أنفسنا من الإنسان القديم ونلبس الجديد، فإننا نزيّن نفوسنا بالفضيلة التي يتألف منها جمالها وحده.

الفصل الثاني

الفوائد المستمدة من التأملات في الصليب والتقليد بفضيلة المسيح المصلوب

عظيمة هي المزايا التي يمكن الحصول عليها من التأمل في الصليب، أولها ليس فقط كراهية خطايا الماضي، ولكن أيضًا التصميم الثابت على محاربة شهواتنا الفوضوية الحالية، التي صلبت مخلصنا. الميزة الثانية هي مغفرة الخطايا، التي حصلنا عليها من يسوع المصلوب، واحتقار الذات بشكل سليم الذي يلهمنا إلى الأبد أن نتخلى عن الإساءة إليه، وأن نحبه ونخدمه باستمرار من كل قلوبنا اعترافًا بما عاناه من أجلنا. والثالث هو العمل المتواصل الذي به نستأصل كل العادات الفاسدة مهما بدت تافهة. والرابع يتمثل في سعينا الدؤوب لتقليد معلمنا الإلهي، الذي مات، ليس فقط ليكفر عن خطايانا، بل ليورثنا المثال السامي لحياة القداسة والكمال.

إن طريقة التأمل التالية ستكون مفيدة للغاية، على افتراض مثلي، أنك ترغب بشكل خاص في تقليد صبر مخلصك في حمل صلبانك. فكر جيداً في هذه النقاط العديدة:

ما عانت منه نفس المسيح من أجل الله.

ما فعله الله لروح يسوع.

ما فعلته روح يسوع لنفسها ولجسدها.

ما فعله يسوع من أجلنا.

ماذا يجب أن نفعل من أجل يسوع.

1. تأمل في المقام الأول، أن روح يسوع الغارقة في محيط اللاهوت، تأملت في ذلك الكائن اللامتناهي وغير المفهوم، الذي حتى أكثر المخلوقات سمواً تافهة أمامه؛ أقول، متأملاً فيها، في حالة من الانحطاط بحيث تعاني من أبشع الإهانات من جانب الإنسان الجاحد، دون أقل قدر من الانتقاص من مجدها وروعتها الأساسيين. ومن أعماق معاناتها، كانت روح المسيح تعبد جلالتها، وتقدم لها الشكر الجزيل، وتقبل كل شيء من أجلها.

2. ومن ناحية أخرى، انظر إلى ما أعطاه الله لروح يسوع؛ اعتبروا أن الإرادة الإلهية قضت بالجلد والبصاق والتجديف والضرب وإكليل الشوك من أجل محبتنا والصلب، التي قُدمت ليسوع، ابن الله الوحيد والحبيب. انظروا كم كانت فرحة الله، وهو يعرف النهاية الرائعة التي كان كل شيء موجهًا إليها، عندما رأى ابنه الإلهي مثقلاً بالعار ومثقلاً بالضيق.

3. تأمل بعد ذلك في نفس يسوع، ولاحظ مدى الحماس الذي خضعت به لإرادة الله، إما بسبب ضخامة كمالها الإلهي، أو بسبب النعمة الإلهية اللامتناهية الممنوحة لها. من يستطيع أن يصف شغف هذه النفس بالصلبان؟ لقد كانت هذه روحًا تبحث عن طرق جديدة للمعاناة، وفشلت في ذلك، وتركت نفسها والجسد البريء لرحمة الأشرار وقوى الجحيم.

4. انظر إذن إلى يسوع، الذي من وسط معاناته يخاطبك بهذه الطريقة الحنونة: " انظر إلى أي أعماق من البؤس قد وصلني بسبب إرادتك التي لا يمكن السيطرة عليها، والتي ترفض أدنى قيد للامتثال لإرادتي. انظر إلى الآلام الرهيبة التي أتحملها، دون أي غرض آخر سوى أن أعلمك درسًا في الصبر. واسمحوا لي أن أقنعك، بكل هذه الآلام، أن تقبل باستسلام هذا الصليب الذي أقدمه هنا، وتلك التي سأرسلها في المستقبل. سلم سمعتك للافتراء، وجسدك لغضب المضطهدين الذين سأختارهم لمحاكمتك، مهما كانوا حقيرين وغير إنسانيين. آه، لو كنت تعلم ما هي البهجة التي يمنحني إياها صبرك واستسلامك! إذا كنت قد عانيت من هذه الإهانة من أجلك، ألا تستطيع أن تتحمل ألمًا خفيفًا، حتى تخفف من معاناتي إلى حد ما؟

5. انظر من هو الذي يتكلم معك بهذا؛ اعتبروا أنه يسوع المسيح ملك المجد الإله الحق والإنسان الحق. ضع في اعتبارك أيضًا

وعظم عذابه وذله أعظم مما يستحقه أعتى المجرمين. اندهش عندما تراه في وسط هذه الآلام، ليس فقط حازمًا وحازمًا، بل أيضًا مملوءًا بالفرح، كما لو كان يوم آلامه هو يوم انتصار. تمامًا كما تضيف بضع قطرات من الماء على الشهرة قوة جديدة إلى وهجها، كذلك فإن عذاباته، التي تحتضنها في صدقة تجعل العبء يبدو خفيفًا، تعمل على زيادة فرحته ورغبته في معاناة معاناة أكبر.

علاوة على ذلك، تأمّل أنه طوال حياته كلها كان مدفوعًا، ليس بالإكراه أو المصلحة الذاتية، بل بالمحبة الخالصة وحدها، لكي تتعلم منه كيفية ممارسة الصبر.

فاجتهد في الوصول إلى معرفة كاملة لما يطلبه منك، وانظر إلى سروره بممارستك للصبر. إذًا كن لديك رغبة متقدة في حمل هذا الصليب والأثقل، ليس فقط بالصبر، بل بفرح، لكي تقلد المسيح المصلوب بدقة أكبر، وتصبح نفسك أكثر قبولاً لديه.

تصور لأنفسنا كل عذابات وإهانات آلامه، واندهش من ثباته، واحمر خجلاً من ضعفك. انظر إلى آلامك على أنها مجرد خيال عند مقارنتها بمعاناته، واعتبر أن صبرك ليس حتى أدنى إشارة إلى آلامه.

لا شيء يخيفك أكثر من عدم الرغبة في المعاناة من أجل مخلصك، ورفض عدم الرغبة هذا باعتباره اقتراحًا من الجحيم.

اعتبر يسوع على الصليب بمثابة كتاب ديني يستحق دراستك المتواصلة والذي يمكنك من خلاله تعلم ممارسة الفضائل الأكثر بطولية. هذا هو الكتاب الذي يمكن أن يُسمى حقًا "كتاب الحياة" (رؤيا 12: 5)، الذي ينير العقل بمذاهبه ويلهب الإرادة بأمثلته. إن العالم مليء بالكتب، ولكن لو كان من الممكن للإنسان أن يقرأها كلها، فلن يتعلم أبدًا أن يكره الرذيلة ويعتنق الفضيلة مثلما يتأمل في إله مصلوب. لكن تذكر أن هناك من يقضون ساعات في رثاء آلام ربنا وإعجابهم بصبره، ومع ذلك فإنهم في المرة الأولى يظهرون نفاد صبر كبير في المعاناة كما لو أنهم لم يفكروا أبدًا في الصليب. مثل هؤلاء الرجال مثل الجنود الذين لم تتم تجربتهم، الذين لا يتنفسون في ثكناتهم سوى الغزو، ولكن عند أول ظهور للعدو، يضربون بسرعة وبسرعة.

تراجع غير مجيد. ما هو الأمر الأكثر احتقاراً بعد التأمل في فضائل فادينا والإعجاب بها وتمجيدها، من نسيانها جميعًا في لحظة عندما تتاح الفرصة لممارستها؟

الفصل ليل

فيما يتعلق بسر الإفخارستيا الأقدس

لقد حاولت حتى الآن، كما لاحظتم، أن أقدم لكم أربعة أنواع من الأسلحة الروحية، والطرق التي يمكن من خلالها استخدامها بشكل مفيد؛ يبقى أن أقدم لكم المساعدات التي لا تقدر بثمن المستمدة من القربان المقدس في إخضاع أعداء الكمال والخلاص. بما أن هذا السر السامي يتفوق على الآخرين في الكرامة والفعالية، فهو أفظع أسلحة القوى الجهنمية.

إن الأساليب التي تم تناولها سابقًا ليس لها قوة إلا من خلال استحقاقات يسوع المسيح، وبالنعمة التي اشتراها لنا بدمه الثمين؛ لكن الإفخارستيا هي يسوع المسيح نفسه، جسده ودمه ونفسه ولاهوته. لقد منحنا الله الأساليب السابقة حتى نتمكن من استخدامها في إخضاع العدو من خلال يسوع المسيح؛ ولكن الإفخارستيا أُعطيت لكي نحارب العدو معه. لأننا بأكل جسد يسوع وشرب دمه نثبت فيه وهو فينا. يمكننا أن نأكل جسده ونشرب دمه واقعياً كل يوم، وروحياً كل ساعة، وكلاهما مفيد ومقدس للغاية. ويجب ممارسة الخيار الأخير كلما كان ذلك ممكنًا، بينما يجب ممارسة الخيار الأول كلما كان ذلك مناسبًا.

الفصل الرابع

الطريقة التي يجب أن نتناول بها القربان المقدس

إن دوافع الاقتراب من هذا السر الإلهي كثيرة، ويترتب على ذلك أن هناك متطلبات مختلفة يجب مراعاتها في ثلاثة أوقات مختلفة:

قبل المناولة

في لحظة استقبال بالتواصل

بعد المناولة

1. قبل المناولة، مهما كان دافعنا، يجب علينا، إذا كانت ملطخة بخطيئة مميتة، أن نطهر أنفسنا في سر التوبة. وبكل إخلاص القلب يجب أن نقدم أنفسنا ليسوع المسيح، مكرسين نفوسنا وكل قوانا لخدمته. لأنه في هذا السر يمنح البشر جسده ودمه ونفسه وألوهيته، مع الكنز الهائل الذي لا ينضب، استحقاقاته اللامتناهية. وبما أن جميع عطايانا له غير ذات أهمية بالمقارنة مع عطاياه لنا، فلا ينبغي لنا أن نرغب بأقل من مجموع المزايا التي اكتسبتها الكائنات المخلوقة في الكون لنقدمها كهدية تستحق احترامه.

إذا كانت رغبتنا هي الانتصار على الأعداء الروحيين، فيجب علينا أن نتأمل لبعض الوقت قبل تناول المناولة في رغبة مخلصنا الشديدة غير المفهومة في أن يكون واحداً معنا في قمع شهواتنا المفرطة.

ولكن لكي نتمكن من صياغة فكرة عن هذه الرغبة الإلهية بالنسبة لنا، يمكننا أن نأخذ في الاعتبار أمرين. الأول هو الفرح الذي لا يوصف، والذي به تسكن الحكمة المتجسدة بيننا، إذ يسميه لذته (أمثال 31).

والثاني هو الكراهية العنيدة التي يحملها تجاه الخطيئة المميتة، بقدر ما هي عقبة لا يمكن التغلب عليها أمام هذا الاتحاد الحميم المرغوب فيه بشدة، كما أنها تتعارض تمامًا مع كمالاته الإلهية. لأنه بما أن الله صالح تمامًا، ونور لا ينطفأ، وجمال لا ينتهك، فلا بد أن يكره الخطية التي هي خبث، وكل ظلمة، وكل فساد. إن كراهية الله للخطية ملتهبة للغاية، حتى أن تدبير العهدين القديم والجديد بأكمله قد رُسم لتدميرها. قال العديد من قديسي الله أن اللاهوت كان سيعاني ألف حالة وفاة في يوم واحد

ألف جلجثة إذا كان من الممكن محو أصغر العيوب في الداخل

نحن.

هذه الاعتبارات، على الرغم من كونها بدائية، قد تمكنك من رؤية مدى رغبة مخلصنا في أن يسكن داخل قلوبنا للتكفير عن أعدائنا المشتركين؛ ولذلك يجب علينا أن نرحب به بكل الحماس الذي نحن قادرون عليه. إن انتظار مجيئه البهيج سيثير شجاعتنا، ويلهمنا للحرب من جديد على شغفنا السائد من خلال القيام بالعديد من الأعمال ذات الفضيلة المعاكسة. ويجب أن يكون الأمر كذلك بشكل خاص في المساء الذي يسبق وفي صباح يوم تناولنا للمناولة المقدسة.

2. عندما نكون على وشك قبول جسد ربنا، دعونا نفكر سريعًا في الأخطاء التي ارتكبناها منذ شركتنا الأخيرة، ولكي نتصور حزنًا أكمل، دعونا نتذكر أننا ارتكبناها بقسوة كما لو أن المسيح لم يمت من أجلنا على شجرة الجلجثة. إن مثل هذا التذكر يجب أن يملأنا بالخجل والخوف لأننا فضلنا بكل بساطة امتثالاً تافهًا لإرادتنا على الطاعة الواجبة لمعلمنا الكريم. ولكن عندما نعتبر أنه على الرغم من هذا الجحود وعدم الأمانة، فإن إله المحبة هذا لا يزال يتنازل ويزورنا ويعيش فينا، فلنقترب منه بثقة وقلوب منفتحة؛ لأنه عندما يعيش في الداخل، لا يمكن أن تتسلل إليه أي مشاعر ملوثة في العالم.

3. بعد المناولة، علينا أن نبقى في ذكرى عميقة، نعبد ربنا بتواضع عظيم ونقول في نفوسنا:

"أنت ترى، يا إله نفسي، ميولي البائسة إلى الخطيئة؛ أنت ترى كم هو متسلط هذا الشغف، وأنا لا أستطيع مقاومته. أنت الذي يجب أن يحارب معاركي، وإذا شاركت في القتال، فأنت الذي يجب أن أتوقع منه إكليل النصر!"

ثم نتوجه إلى الآب الأزلي لنقدم له هذا الابن الحبيب الذي يسكن الآن في صدورنا. دعونا نشكره على فوائد لا حصر لها ونطلب منه النعمة التي ستجعل انتصارنا كاملاً.

وأخيرا، دعونا نعقد العزم على القتال بشجاعة ضد العدو الذي نعاني منه أكثر من غيره. وهكذا يمكننا أن نتوقع النصر، إذا كنا كذلك

إن الله لا ينقصه الالتماس، ولا ينقصه العطاء، وعاجلاً أم آجلاً سيكون النصر لنا.

الفصل الخامس

الاستعداد للمناولة ودور الافخارستيا في إثارة محبة الله فينا

إذا كان دافعنا للمناولة المقدسة هو الرغبة في زيادة محبتنا لله، فيجب أن نتذكر محبة الله لنا. يتكون الإعداد من تأمل يقظ لهذا الرب صاحب القدرة والجلال اللامحدود، الذي لم يكتف بخلقنا على صورته ومثاله، ولا بتضحية ابنه الوحيد لأجلنا، بل ترك لنا هذا الابن في سر الإفخارستيا ليكون غذاءنا وسندنا في كل احتياجاتنا. وتأملوا جيداً عظمة هذا الحب وتفرده فيما يلي

طريقة:

1. في مدتها نجد أن محبة الله لنا أبدية لا تنقطع. لأنه كما هو أزلي في لاهوته كذلك هو أبدي في محبته. قبل أن يوجد الزمان، قرر الله أن يهب ابنه للبشرية بهذه الطريقة الرائعة. دع هذه الكلمات تتردد في قلبك بفرح: "في هاوية الأبدية، كان الله العلي يحب صغري كثيراً، حتى أنه فكر بي، وبحب لا يوصف أراد أن يمنحني ابنه ليكون طعامي وغذائي".

2. إن أقوى عواطفنا تجاه الأشياء الأرضية تدرك حدوداً معينة لا يمكن تجاوزها، لكن محبة الله لنا لا حدود لها. وكان مجيئ ابنه المساوي له في الجلال والكمال شهادة على تلك المحبة التي لا حدود لها. وهكذا تكون الهبة مساوية للحب، والمحبة للعطية؛ وكلاهما لانهائي، خارج حدود الفهم البشري.

3. في محبته لنا، لم يكن الله مقيداً بأي قوة أو ضرورة، بل جمع علينا فوائد لا حصر لها من حجم المحبة الإلهية.

4. كما أن الجدارة البشرية أو الأعمال الصالحة السابقة لم تجعلنا مستحقين لهذه العطية الرائعة. إذا كان الله قد أحب بشكل مفرط أو أعطى نفسه بلا حدود، فهذا يُعزى بالأحرى إلى عظمة المحبة الإلهية.

5. إن محبة الله لنا غير ملوثة بعيب المصلحة الذاتية الموجودة في المشاعر الإنسانية. فما هي مجمل العظمة البشرية بالنسبة له، مصدر كل سعادة ومجد؟ فكيف يمكننا أن نضيف المجد إلى المجد نفسه؟ المزايا إذن كلها في جانب الرجل.

متأملاً في هذه الحقيقة، فليقل كل إنسان في نفسه: "من كان يتخيل، يا رب، أن إلهًا بهذه العظمة اللامتناهية سيمنح عواطفه لمخلوق حقير وتافه مثلي! ما الذي يمكن أن يكون تصميمك، موافقًا للمجد؟ ما الذي يمكن أن يكون؟

أتنتظر مني وأنا تراب؟ أرى بوضوح يا إلهي، بنور محبتك المشتعلة التي تنيرني بالمعرفة وتلهبني بالحب، أن تصميمك كان منفصلاً عن كل مصلحة ذاتية. لأن رغبتك في منح هذا السر بكل لطف هي أن تحولني إليك، حتى أعيش فيك وأنت في.

مثل هذا الاتحاد الحميم سيعيد تشكيل قلبي في نهاية المطاف، وسيتشكل من وعاء من الأرض، أداة دقيقة تتناغم مع الأشياء الإلهية.

ثم، ونحن ممتلئون بالفرح والعجب من مؤشرات المحبة الإلهية التي قدمها لنا المسيح، ومدركون أن هدفه الوحيد هو تحويل قلوبنا من الأشياء الأرضية إلى الأشياء السماوية، دعونا نقدم ذبيحة، ونكرس الإرادة والذاكرة والفهم للمهمة الوحيدة المتمثلة في إرضائه بالقبول الكريم لمشيئته المقدسة. بعد ذلك، إذ ندرك عجزنا عن الاستعداد بشكل صحيح، دون أن تساعدنا نعمته على قبول القربان المقدس بشكل صحيح، فلنجتهد بجدية للحصول على تلك النعمة عن طريق القذف مثل ما يلي:

"أيها الطعام السماوي، متى أتحد بك، وأستهلك بفرح بنار الحب الإلهي؟ أيتها المحبة الإلهية، متى أعيش فيك، بك، ولك وحدك؟ أيها المن السماوي، الخير السيادي، فرح قلبي، متى أبغض كل طعام آخر، أطلبك وحدك؟ يا حياة الفرح الأبدي، متى أسكن فيك وحدك؟ أيها الرب المحب القدير، حرر قلبي من طغيان أهوائه و إن ارتباطاته الشريرة تزيّنه بفضائلك السماوية، وتجبره بإكراه لطيف على أن يبتهج بمحبتك وإرضائك، إذاً يا رب، سأفتح قلبي وأطلب منك

يدخل؛ إذاً ستأتي، يا كنزي الوحيد، لتغيّر قلبي بحضورك الإلهي.

هذه هي المشاعر الرقيقة والحنونة التي يجب أن نكوّنها في المساء السابق وفي صباح تناول المناولة المقدسة.

عندما يقترب الوقت نفسه، يجب علينا أن نفكر بعناية في من نحن على وشك أن نستقبله؛ لأن ضيفنا هو أن يكون ابن الله الحي، ذي الجلال الأعظم، الذي ترتعد قدامه السماوات وقوات السماء خوفًا رهيبًا. ضيفنا هو أن يكون قديس القديسين، مرآة بلا عيب، الطهارة نفسها، الذي أمامه كل شيء نجس بالمقارنة. هذا هو اللاهوت يصير إنسانًا؛ كان يُنظر إليه على أنه المنبوذ تمامًا من البشر، والذي يسر أن يُبصق عليه، ويُضرب، ويُشتم، ويُصلب من أجل محبته لنا. إنك حقًا على وشك أن تستقبل الله نفسه، الذي بيده مصير الكون.

ومن ناحية أخرى، فكر في صغر حجمك، وخطيئتك الدنيئة التي أنزلتك إلى ما دون مستوى البهائم، وجعلتك مستحقًا أن تكون لعبًا وعبداً للشياطين.
فكر في اعترافك بالنعم اللامحدودة التي تلقيتها من مخلصك؛ لقد أهنتم الفادي وداستم على دمه الثمين، وأظهرتم جحوداً صريحًا.

ولكن حتى الجحود البشري لا يستطيع أن يتغلب على المحبة الإلهية؛ التقلبات المتقلبة لا تتناسب مع الحب الذي لا يتغير. لا يزال الرب الرحيم يدعوك إلى المأدبة الإلهية، وبدلاً من أن يوبخك بسبب نقائصك الواضحة، يطلب منك أن تتعرض لآلام الموت. إن ذراعي الآب الرحيم مفتوحة دائمًا لاستقبالك، سواء كنت أبرصًا أو أعرجًا أو أعمى أو فاجراً أو ممسوسًا بالشياطين.
فهو يطلب منك هذه المتطلبات القليلة وحدها:

أن تكون آسفًا بصدق لأنك أساءت إليه بشدة.
أن تكره الخطيئة بكل أنواعها بقوة لا تطفأ.
أن تكرس نفسك للقبول البهيج لمشيئته الإلهية مهما كانت.

أن يكون لديك ثقة راسخة بأنه سوف يغفر خطاياك، ويطهر روحك من كل دنس، ويدافع عنك ضد جميع أعدائك.
متشجعًا بمحبة الرب التي لا توصف لك ولجميع الخطاة التائبين، اقترب من المائدة المقدسة بخوف حكيم، ملطف بالخوف.

الأمل والحب قائلا:
"بعد العديد من الإساءات الجسيمة، أنا لست مستحقًا لاستقبالك، لأنني لم أرضي عدالك تمامًا. لا يا إلهي، أنا غير مستحق لك، فأنا ملطخ بالتعلق المفرط بالمخلوقات والإحجام عن خدمتك بالكامل من كل قلبي وكل قوتي."

"يا ربي القدير، انتبه لصلاحك ووعدك؛ من خلال كيمياء الحب والإيمان الإلهية، اجعل قلبي مسكنًا مستحقًا لابنك الإلهي."

بعد المناولة، حاول أن تسترجع ذكرياتك بعمق، وأن تطرد من قلبك التعديات التافهة المتعددة الناجمة عن الانحرافات الدنيوية.
قم بتسلية الضيف الإلهي بهذه المشاعر المعبر عنها في الصلاة التالية:
"يا سيد السماء، ما الذي أتى بك من الأعالي السماوية إلى أعماق القلوب الأرضية؟"
إجابته ستكون بكل بساطة: "الحب".

ويجب أن ترد: "أيها الحب الأبدي، ماذا تطلب مني؟" فيجيب مرة أخرى: لا شيء إلا الحب. لا أريد أن يكون لدي نار أخرى في داخلك سوى المحبة، التي سوف تتغلب شهرتها المتقدة على الشهرة النجسة للعاطفة، وتجعلك مرضيًا في نظري.
ولطالما رغبت في أن تستسلم لإرادتك دائمًا من أجل الحرية التافهة والغرور الدنيوي؛ لأنه فقط عندما تتوافق إرادتك مع إرادتي، يمكن أن تتحقق أمنيتك الأولى."

"اعلم إذن أنني أريدك أن تموت لنفسك لتعيش معي. أريدك أن تعطيني قلبك حتى أجعله مثل قلبي الذي انكسر على الجلجلة بسبب حبي للبشر. أنت تعرف من أنت، ومع ذلك تعلم أنك إلى حدٍ ما قد جعلتك مساويًا لي في فائض الحب.
عندما أسلم نفسي لك بالكامل، لا أطلب شيئًا سوى نفسك في المقابل. كن لي وسأكون راضيًا. هل سأفعل ذلك؟ لا شيء، لا تفكر في شيء، لا تفهم شيئًا، لا ترى شيئًا سوى أنا وإرادتي، دع لا شيء يضيع في أعماق لا نهائيتي، وأجد سعادتك هناك، كما أجد الراحة فيك. وأخيراً قدم للآب الأزلي ابنه الوحيد:

أولاً، الشكر على النعم العظيمة التي لا توصف والتي قدمها لك.

في طلب الأشياء التي تحتاجها أنت ومن تجب عليهم الصلاة؛ تذكر أيضًا في طلباتك النفوس في المطهر.

فلتكن هذه التقدمة بأكملها تذكارًا وبالاتحاد مع التقدمة التي قدمها المسيح على تلة الجلجثة، عندما نزف على الصليب، قدم نفسه لأبيه الأزلي.

وبالمثل، يمكنك أن تقدم لنفس النية، ذبيحة القداس، حيثما يتم الاحتفال به في ذلك اليوم في جميع أنحاء العالم المسيحي.

الفصل السادس

بخصوص الشركة الروحية

على الرغم من أن القبول الفعلي لسر الإفخارستيا يقتصر على مرة واحدة في اليوم، إلا أنك مع ذلك تتمتع بالحرية للتواصل بالروح كل ساعة. ولا شيء سوى إهمالك يمكن أن يمنعك من الحصول على الفوائد التي لا تقدر بثمن والتي يمكن الحصول عليها من هذا الاتحاد به. تجدر الإشارة إلى أن المناولة الروحية تكون في بعض الأحيان ذات فائدة أكبر للنفس وأكثر قبولاً عند الله من العديد من المناولات الأسرارية التي يتم تلقيها مع القليل من الإعداد والحنان.

لذلك، عندما تكون مستعداً بشكل مناسب لاستقبال ابن الله روحيًا، تأكد أنه مستعد أن يأتي إليك كغذاء وتغذية.

على سبيل الاستعداد، فكر في يسوع، وبعد أن تتأمل في كثرة خطاياك، أعلن له عن حزنك الصادق عليها. ثم، باحترام عميق وإيمان لا يتزعزع، أطلب منه أن يتنازل بلطف ليدخل إلى قلبك؛ وتوسل إليه أن يملأها بالنعمة كعلاج ضد ضعفها المتأصل، وكدرع ضد عنف أعدائها. في كل مرة تنجح في إماتة أهوائك، أو في أداء عمل فضيلة، اغتنم هذه الفرصة لإعداد قلبك لابن الله، كما أوصى. ثم توجّه إليه، واطلب بحرارة بركات حضوره، كطبيب روحك وحاميها. أطلب منه أن يسكن في نفسك دائمًا، وأن يمتلكها ليصد مدمريها المحتملين.

تذكّر أيضًا مناولتك الأسراريّة الأخيرة، وقل له، ملتهبًا بالحب لمخلصك: "متى يا الله أقبلك مرة أخرى؟ متى سيعود ذلك اليوم السعيد، عندما تسكن مرة أخرى في قلبي؟"

ومع ذلك، إذا كنت ترغب في التواصل روحيًا مع زيادة الإخلاص، فابدأ في الاستعداد لذلك طوال الليل. وليكن كل إماتة وكل عمل فضيلة يجعل من نفسك مسكنًا أكثر ملاءمة لحضوره الروحي.

في الصباح، عندما تستيقظ، تأمل في المزايا التي لا تعد ولا تحصى التي يمكن الحصول عليها من المناولة المقدسة. تذكّر أن النفس تستعيد فضائلها المفقودة، وتستعيد نقائها الأصلي، وتقدّم

مستحقاً أن نشترك في استحقاقات الصليب. إن قبول السر في حد ذاته يُرضي الآب الأزلي كثيراً، الذي يرغب في أن يتمتع الجميع بهذه العطية الإلهية.

واجتهد فيما بعد أن تثير في نفسك رغبة متقدة في قبوله امتثالاً لمشيئته المقدسة. دع كلماتك تتوافق مع المشاعر على النحو التالي:

"يا رب، بما أنني غير مسموح لي بفرح حضورك الأسراري هذا اليوم، دع صلاحك وقدرتك المطلقة يأمران بتطهير نفسي من وصمة الخطيئة، التي شفيت من جراحاتي، قد أستحق أن أستقبلك بالروح. في كل يوم وكل ساعة، متحصنًا من جديد بنعمتك، دعني أقاوم أعدائي بشجاعة، ولا سيما أولئك الذين أشن ضدهم حربًا متواصلة من أجل محبتك."

الفصل السادس

بخصوص عيد الشكر

وبما أن كل الخير الذي لدينا، أو كل الخير الذي نقوم به، هو من الله ومن الله، فنحن ملزمون بالعدالة أن نشكره على كل عمل صالح نقوم به، أو كل انتصار تم تحقيقه في المعركة ضد الذات. علاوة على ذلك، نحن ملزمون بتقديم الشكر على كل النعم، العامة أو الخاصة، التي تلقيناها من يده السخية.

لكي نفعل هذا بطريقة لائقة، دعونا نتأمل النهاية التي من أجلها أغدق علينا وفرة بركاته. لأنه من هذه الاعتبارات نتعلم كيف يتم شكر الله. وبما أن هدفه الأساسي في كل إحساناته هو في المقام الأول إكرامه وتكريس النفوس لخدمته الإلهية، فليفكر كل واحد في قلبه: "ما هي القوة والحكمة والصلاح التي أظهرها الله في إعطائي هذه النعمة والبركة!" ثم بالنظر إلى عجز الإنسان المحدود عن استحقاق نعمة لا نهاية لها دون مساعدة - أو حتى جحود الإنسان المطلق الذي يجعله غير مستحق لمثل هذه النعمة - ينبغي لنا أن نقول بتواضع عميق:

"هل من الممكن يا رب أن تحب الإنسان الخاطئ، أحقر المخلوقات؟ ما مدى حب لا حدود له يمنح الكثير من البركات لمن يستحق القليل منها! ليتبارك اسمك القدوس من الآن وإلى الأبد!"

وأخيرًا، بما أن مثل هذا العدد الكبير من البركات لا يتطلب اعترافًا من الإنسان أكثر من محبة المحسن إليه، فليشكر الله ويحبه من أعماق قلبه، عازمًا على الطاعة الكاملة لما تمليه مشيئة الله المقدسة. تتكون الخطوة الختامية من تقديم الذات بالكامل لله، كما هو مقترح في الفصل التالي.

الفصل السادس عشر

تقديم النفس لله

هناك شيئان ضروريان لجعل تقدمتنا الذاتية مقبولة تمامًا أمام الله. الأول هو أن يكون متحدًا مع التقدمة التي قدمها المسيح للآب؛ والآخر: أن يكون خاليًا تمامًا من كل تعلق بالمخلوقات.

1. فيما يتعلق بالأول، يجب أن نتذكر أن ابن الله، أثناء غربته على الأرض، قدم لأبيه السماوي، ليس نفسه وأعماله فقط، بل نحن أيضًا وأعمالنا. وهكذا يجب أن تكون تقدمتنا متحدة معه ومعتمدة عليه، حتى يتقدس كلاهما في نظر الله القدير.

2. أما بالنسبة للثاني، فيجب أن نتذكر أننا لا نستطيع أن نقدم أنفسنا إلى السماء إذا كنا مقيدين بالأرض بارتباطات دنيوية. لذلك، إذا كنا ندرك أننا مقيدين بأدنى عاطفة أرضية، فلنلجأ إلى الله، ونطلب منه أن يكسر القيود التي تقيدنا إلى الأرض، حتى نكون له وحده. وهذا له أهمية كبيرة. لأنه إذا ادعى العبد للمخلوقات أنه يسلم نفسه لله وهو مقيد بالمخلوقات، فإنه يعطي ما ليس له، لأنه ملك لتلك المخلوقات التي أعطاها إرادته. إن تقديم ما أعطى للمخلوقات على الله هو استهزاء بالله تعالى. وهكذا هو الحال على الرغم من أن لدينا

لقد قدمنا أنفسنا كمحرقة للرب، لكننا لم نفشل فقط في التقدم في طريق الفضيلة، بل أصيبنا أيضًا بعيوب جديدة، وزادنا من عدد خطايانا.

يمكننا بالفعل أن نقدم أنفسنا لله بينما لا نزال مرتبطين بالمخلوقات، ولكن يجب أن يكون ذلك على أمل أن يحررنا صلاحه، وأننا قد نكرس أنفسنا بالكامل لخدمته.

لذلك، فلتكن كل تقدماتنا طاهرة وغير ملوثة، ومخصصة لكرامة الله وحده. دعونا نكون غافلين عن خيرات السماء والأرض، ولا نفكر في شيء سوى تحقيق إرادة الله، ونعبد عنايته الإلهية. فلنضحي له بكل محبة نفوسنا، وننسى الأمور الأرضية ونقول:

"ها، يا إلهي وخالقي، التقدمة التي أقدمها لكل كياني - أخضع إرادتي بالكامل لك، وتصرف بي كما تريد في الحياة وفي الموت، في الوقت أو في الأبدية."

إذا صلينا هذه الصلاة من أعماق قلوبنا، سيتم اختبار إخلاصنا في وقت الشدائد، وسنثبت أننا مواطنون في السماء، وليس في الأرض. سنكون أبناء الله، وسيكون لنا؛ لأنه يسكن دائمًا مع أولئك الذين، إذ ينكرون ذواتهم وجميع المخلوقات الأخرى، يقدمون أنفسهم ككائنات

المحرقة لجلالته الإلهية.

هنا، إذ ًا، تجد وسيلة قوية لهزيمة أعدائك؛

لأنه إذا اتحدت بنفسك مع الله، أصبحت له بالكامل، وهو لك بالكامل، فأي قوة أو أي عدو يمكن أن يؤذيك؟ وعندما تقدم الأصوام والصلوات وأعمال الصبر أو الأعمال الصالحة، فكر أولاً في قربان الأعمال والصلوات والأصوام التي قدمها المسيح لأبيه، وضع كل ثقتك في استحقاقها اللامتناهي.

ولكن إذا أردنا أن نقدم لأب الرحمة هذا آلام ابنه تكفير ًا عن خطايانا، يمكننا أن نفعل ذلك فيما يلي:

طريقة:

أولاً، يجب أن نتذكر، بشكل عام أو خاص، الاضطرابات الرئيسية في حياتنا الماضية؛ واقتناعًا بعدم قدرتنا على تهدئة الغضب الإلهي لقاضينا السيادي، أو إرضاء عدالته المهانة، يجب أن نلجأ إلى حياة مخلصنا وآلامه. يجب أن نتذكر أنه عندما صلى، وصام، وتعب، وسفك دمه الثمين، قدم كل أعماله وآلامه لمصالحتنا مع أبيه القدير، قائلاً: "انظر أيها الآب الأزلي، حسب إرادتك، كيف أذعن لأوامرك في التكفير عن خطايا "ن". أرجو من جلالتك الإلهية أن تمنحه العفو وأن تقبله في عدد مختاريك."

يجب على الجميع أن يضموا صلواته إلى صلوات يسوع المسيح، وأن يتضرعوا إلى الآب الأزلي أن يرحمه من خلال استحقاقات آلام ابنه وموته. يمكن أن يتم ذلك في كل مرة نتأمل فيها في حياة ربنا أو آلامه، ليس فقط عند النظر في الأسرار الفردية، ولكن أيضًا في الظروف المختلفة لكل سر من الأسرار. قد يتم تطبيق طريقة القربان سواء كانت صلواتنا مقدمة من أجل أنفسنا أو من أجل الآخرين.

الفصل التاسع

في الإخلاص المعقول والجفاف

إن التكريس المعقول ينتج أحيانًا عن تصرفات طبيعتنا، وأحيانًا عن طريق حيل الشيطان، وأحيانًا عن طريق تدفق النعمة. يمكنك معرفة أصله في حالة معينة من خلال دراسة الآثار؛ لأنه إذا لم يتبع ذلك أي تعديل، فمن الممكن أن تشك في أن الشيطان أو طبيعتك الضعيفة هي أساس هذا التكريس، خاصة إذا كان مصحوبًا بالكثير من العزاء، أو الرضا عن النفس، أو أي قدر من احترام الذات.

لذلك، عندما يفرح قلبك بالابتهاج واللذة الروحية، لا تهتم أكثر من اللازم بتتبع أصولهم؛ ولكن في الوقت نفسه، لا تعيرها أي أهمية خاصة، واحذر من تضخيم رأيك في نفسك. بالأحرى، انتبه دائمًا إلى عدمك، وحطم قيود الارتباطات الأرضية - وحتى الانجذابات الروحية - واربط نفسك بالله وحده، وحاول دائمًا طاعة أقل ما يمليه عليه إرادته الإلهية. ستغير طريقة السلوك هذه طبيعة العزاء الذي تشعر به، وعلى الرغم من أنه يجب أن ينشأ أولاً من مصدر معيب، إلا أنه سيثبت لاحقًا أنه أكثر فائدة.

ويعود الجفاف أو الجفاف الروحي إلى الأسباب التالية:
من إبليس الذي يسعى بقوة شيطانية ليجعلنا مهملين، ليقودنا عن طريق الكمال، ويغرقنا من جديد في أباطيل العالم.

من أنفسنا، من خلال أخطائنا وإهمالنا وارتباطاتنا الأرضية.

من النعمة الإلهية التي غرسها الروح القدس في نفوسنا، ليس فقط لإبعادنا عن كل ما ليس من الله أو الاهتمام به، ولكن أيضًا لنتعلم من الاختبار أن كل الأشياء تأتي من الله.
له. الأسباب الأخرى لهذا الجفاف الروحي هي: أن يعلمنا أن نقدر مواهبه بشكل أكبر في المستقبل، وأن نظهر المزيد من التواضع والعناية في الحفاظ عليها، وأن يوحدنا بشكل أوثق مع جلالته الإلهية من خلال نكران الذات بالكامل، مع استبعاد وسائل الراحة الروحية. لأنه إذا كانت عواطفنا تتمحور حول التعزية الروحية، فإن ذلك القلب الذي يريد ربنا أن يحفظه بالكامل لنفسه ينقسم.

قد يكون السبب الأخير لمثل هذا الجفاف هو الفرح الذي يستمده الله من رؤيتنا نقاتل بكل قوتنا، مستخدمين كل نعمته لتحقيق أفضل النتائج.

لذلك، عندما تجد نفسك مكتئبًا بالجفاف والنفور من الأمور الروحية، تأكد مما إذا كان ذلك يعزى إلى أي خطأ من جانبك أم لا، وإذا كان الأمر كذلك، قم بتعديله على الفور، ليس بهدف استعادة تلك المتعة المعقولة، ولكن من أجل إبعاد كل ما لا يرضي الله على الإطلاق. ومع ذلك، إذا لم تتمكن، بعد التدقيق الدقيق، من اكتشاف أي خطأ من هذا القبيل، فلا تقلق بشأن استعادة حماستك المعقولة؛ بل اجتهد في اقتناء تلك العبادة الكاملة التي تتمثل في التوافق الكامل مع إرادة الله. مهما بدت تمارينك المعتادة عقيمة وتافهة، كن حازمًا ومثابراً في تنفيذها، واشرب بمرح الكأس المرة التي قدمها لك الآب السماوي.

وإذا كنت، إلى جانب هذا الجفاف الذي يجعلك شبه عديم الإحساس بالأمور السماوية، تعمل تحت سحابة مرهقة من الظلمة الروحية، مما يجعلك خائفًا، ولا تعرف الطريق الذي تسلكه، فلا تثبط عزيمتك. لا يفصلكم شيء عن صليب المسيح، واحتقروا كل تعزية بشرية، مهما كانت باطلة وبائسة.

علاوة على ذلك، احذر من الكشف عن هذا البلاء لأي شخص غير مرشدك الروحي، الذي يجب أن يُكشف له ليس بهدف أي تخفيف، ولكن لكي تتعلم كيفية تحمله في استسلام كامل للإرادة الإلهية. لا تقدموا مناولاتكم أو صلواتكم أو أي تمارين تعبدية أخرى لكي تتحرروا من صليبك، بل لكي تنالوا القوة لتمجيد ذلك الصليب إلى الأبد لإكرام ومجد يسوع المصلوب.

وإذا كنت، بسبب ارتباك ذهنك، لا تستطيع الصلاة أو التأمل كالمعتاد، فيجب عليك أن تستمر في تلك التمارين بأقل قدر ممكن من القلق، مما يوفر لعيوب العقل محبة الإرادة. استخدم الصلاة الصوتية، وتحدث مع نفسك ومع مخلصك. سيكون لمثل هذه الممارسة تأثيرات مدهشة، وسوف توفر لك عزاءاً كبيراً في قلقك. في مثل هذه المناسبات قل لنفسك: "Quare tristis es, anima mea, et quare conturbas me؟"

Spera in Deo، quoniam adhuc confitebor illi، salutare vultus mei et Deus meus... Ut quid Domine، recessisti longe، despicis in

فرصة، في الضيقة؟ Non me derelinquas usquequaque." (مزمور 42)

تذكّر بالمشاعر التقية التي أوحى بها الله إلى سارة زوجة طوبيا في ضيقتها، وقل معها بالروح والكلام:
"إلهي، جميع الذين يخدمونك يعلمون أنهم إذا أصابتهم مصائب في هذه الحياة ينالون المكافأة، وإذا ضايقتهم المشقة ينجون، وإذا عوقبوا بعدلك يرجون الرحمة. لأنك لا تسر برؤيتنا نهلك، ترسل هدوءاً بعد العواصف وفرحًا بعد النوح. يا إله إسرائيل، ليكن اسمك مباركًا إلى الأبد." (طوب. الثالث)

اذكر أيضًا مسيحك الذي في البستان وعلى الصليب، وقد تركه ذاك الذي كان ابنه الوحيد الحبيب؛ احمل صليبك معه وقل من أعماق قلبك: "لتكن لا إرادتي بل إرادتك".

وهكذا، من خلال توحيد الصبر مع الصلاة في تضحية النفس طوعًا لله، ستصبح متدينًا حقًا. لأن التكريس الحقيقي، كما قلت، يتمثل في إرادة متحمسة وثابتة لاتباع المسيح وحمل الصليب في أي وقت وبأي طريقة يريدها؛ وهي تتمثل أيضًا في محبة الله لأنه يستحق محبتنا، وحتى في فقدان عذوبة الله من أجل الله.

إذا كانت جموع الذين يدعون التقوى يقيسون التقدم في الحياة الروحية بهذا المعيار الحقيقي، وليس بالفوران الساكر للتعبد المعقول البحت، فلن ينخدعوا لا بالشيطان ولا بأنفسهم؛ ولن يكونوا جاحدين للجميل بشكل بغيض بحيث يتذمرون ضد ربهم، ويتذمرون ظلما من الهدية التي يمنحهم إياها.
لأن مثل هذه المواقف التي يمكن فيها تنمية وتقوية فضيلة الصبر هي مواهب حقيقية. على العكس من ذلك، فإن هذه الجموع ستبذل قصارى جهدها في خدمته بأمانة أكبر من أي وقت مضى، مقتنعين بأنه يسمح بكل شيء من أجل تقدم أعظم لمجده وخلاصنا.

هناك وهم خطير آخر تتعرض له النساء بشكل خاص في كثير من الأحيان، حيث يكرهن الرذيلة ويحرصن على تجنب مناسبات الخطيئة. وفي بعض الأحيان، عندما تضايقهم أفكار نجسة ومخيفة وحتى رؤى كريهة، يصابون باليأس، معتقدين أن الله قد تركهم. هم

لا يمكنهم أن يتصوروا أن الروح القدس يسكن في نفس مملوءة بأفكار نجسة، ويتخيلون أنفسهم مطرودين حتمًا من العالم.
الحضور الإلهي.
وإذ يشعرون بالإحباط، فإنهم على استعداد لليأس، وبعد أن تغلب عليهم الإغراء، يفكرون في التخلي عن ممارسات إخلاصهم بالكامل والعودة إلى مصر. ومع أنهم عميان، إلا أنهم لا يرون صلاح الله في السماح لهم بالتجربة كإجراء وقائي ضد الإهمال البشري، وأيضًا كإجراء قسري يهدف إلى جلب الإنسان الضال إلى اتحاد أوثق مع أبيه المحب. في الواقع، لذلك، من غير المعقول بالنسبة لهم أن يتذمروا مما ينبغي أن يثير امتنانهم المتواصل.

وفي مثل هذه المناسبات، يجب علينا أن نفكر جيدًا في النزعات الضارة لطبيعتنا الجريحة. لأن الله، الذي يعرف أفضل ما هو لمصلحتنا النهائية، سيجعلنا ندرك أننا في أنفسنا لا نميل إلا إلى الخطيئة، وعندما لا يساعدنا، نقع في بؤس لا حصر له.

بعد ذلك، يجب علينا أن ننمي في أنفسنا الثقة بالحب في أنفسنا
رحمته الإلهية، مدركًا أنه إذ شاء أن يفتح أعيننا على خطرنا، يريد أيضًا أن يحررنا منه وينضم إلينا معه في الصلاة والثقة؛ ولهذا نحن مدينون له بالشكر المتواضع.

للرجوع مرة أخرى إلى تلك الأفكار الدنيئة التي لا إرادية؛ من المؤكد أنهم سيُجبرون على القتال بشكل أسرع بكثير من خلال الاستسلام الصبور للقلق الذي يسببونه، والتطبيق السريع للعقل على شيء آخر، بدلاً من المقاومة المضطربة والمفرطة القلق.

الفصل العاشر

فيما يتعلق بفحص الضمير

في فحص الضمير، ضع في اعتبارك ثلاثة أشياء:

1. الأخطاء المرتكبة في اليوم المعين.
2. مناسبات هذه العيوب.
3. حاجتك إلى البراعة في إصلاح تلك العيوب وتحصيل الفضائل المخالفة لها.

وأما الأخطاء التي ترتكب كل يوم فتذكر توصيات الفصل السادس والعشرين الذي تناول السلوك الذي يجب أن يتبعه من وقع في الذنب. وغني عن القول أنه يجب عليك أن تسعى بأكبر قدر من الحيطة والحذر لتجنب مناسبات هذه العيوب. وأما تصحيح هذه العيوب واكتساب الفضائل المطلوبة، فينبغي أن تقوي إرادتك بالثقة الراسخة في الله الذي يعينك على علاج العادات الشريرة.

أما إذا وجدت أنك قد انتصرت في صراع النفس أو تفوقت في أداء عمل جيد، فاحذر من المجد الباطل.

وحتى ذكرى مثل هذه الانتصارات لا ينبغي أن تكثر في أفكارك، لئلا تتسلل الوقاحة والغرور إلى قلبك بهدوء ومكر. فاترك أعمالك الصالحة، مهما كانت، لرحمة الله، وانس انتصارات الماضي، وحصن نفسك لنضالات المستقبل.

أما بالنسبة لشكرك على العطايا والنعم التي أنعمها الرب عليك خلال اليوم، فاعترف بكل تواضع بأنه صانع كل خير، وحاميك ضد عدد لا يحصى من الأعداء غير المرئيين. اشكره لأنه ألهمك بالأفكار الصالحة وأعطاك فرص ممارسة الفضيلة. وأخيرًا، أشكره على كل مواهبه المجهولة التي لن تعرفها أبدًا.

بخصوص الطريقة التي يجب أن نثابر بها على الجهاد الروحي حتى الموت

أحد متطلبات النضال الروحي هو المثابرة في الإماتة المستمرة لعواطفنا الجامحة؛ لأنها لم تُخضع أبداً في هذه الحياة تمامًا، بل تتجذر في قلب الإنسان مثل الأعشاب الضارة في التربة الخصبة. هذه معركة لا يمكننا الهروب منها. إن عدونا هو عدو لا يمكننا الهروب منه. إن الكفاح ضد الهوى سيستمر مدى الحياة، ومن ألقى سلاحه قُتل.

علاوة على ذلك، يجب علينا أن نحارب الأعداء الذين يكرهوننا بغضب لا يمكن التغلب عليه، ويكرسون جهودهم لتدميرنا. كلما زاد عدد صداقاتنا معهم، كلما جعلوا منا منبوذين.
لكن لا تخيفهم قوتهم أو عددهم، لأنه في هذه الحرب، يُهزم وحده من يستسلم طوعًا، وقوة أعدائنا بأكملها في يد ذلك القائد الذي نقاتل تحت رايته. ولن يحفظنا من الغدر فحسب، بل سيكون بطلنا. إن من يتفوق بلا حدود على كل الأعداء سيتوجك بالنصر بشرط أن تعتمد، كمحارب، ليس على قواك المحدودة، بل على قوته القديرة وصلاحه اللامتناهي.

ومع ذلك، إذا بدا بطيئًا في مساعدتك وتركك في نار العدو المهلكة، فلا تثبط عزيمتك؛
بل حارب بحزم مع الإيمان الراسخ بأنه سيحول كل الأشياء التي تصيبك لمنفعتك النهائية، وحتى تاج النصر غير المتوقع سيكون لك.

ومن جهتك، لا تتخلى أبداً عن منصبك القيادي، الذي، من أجلك، لم يتراجع عن الموت نفسه، وبموته على تلة الجلجثة، غلب العالم كله. حارب بشجاعة تحت ألوانه، ولا تلقي بذراعيك بينما يتبقى عدو واحد. لأنه إذا أهملت رذيلة واحدة تكون خشبة في عينك، وشوكة في جانبك، تمنعك دائمًا من النصر في قضيتك المجيدة والمنتصرة.

وفي استعدادنا ضد الأعداء الذين يهاجموننا ساعة الموت

على الرغم من أن حياتنا كلها على الأرض هي حرب مستمرة، فمن المؤكد أن اليوم الأخير للمعركة سيكون الأخطر؛ فإن من يسقط في هذا اليوم لا يسقط لكي لا يقوم مرة أخرى.

لذلك، لكي نكون مستعدين، يجب علينا أن نستعد الآن؛

لأن من يقاتل جيداً طوال حياته سيخرج منتصراً بسهولة أكبر في الهجوم الأخير. تأمل أيضًا في الموت، مع الأخذ في الاعتبار أهميته، فإن مثل هذا التأمل سيزيل الرعب الذي يصيبك عندما يقترب الموت، ويمنح عقلك حرية أكبر للقتال.

لا يستطيع رجال العالم أن يحتملوا فكرة الموت؛ إنهم يرفضون التفكير في الأمر لئلا يصرفهم عن الملذات الأرضية التي وضعوا فيها عاطفتهم. إن فكرة فقدان الأشياء العابرة هي بطبيعتها فكرة كريهة ومؤلمة لمن غافل عن الأشياء الأبدية. وهكذا فإن عواطف أبناء العالم تصبح أكثر ثباتًا في هذا العالم يومًا بعد يوم. ويوما بعد يوم، يؤدي التفكير في فقدان الأشياء الدنيوية إلى زيادة الرعب في قلوب أولئك الذين استمتعوا بالدنيوية لفترة أطول.

لكي تكون مستعداً للخطوة الرائعة من الزمن إلى الأبد، تخيل نفسك في وقت ما وحيداً في مواجهة آلام الموت، وفكر في الأشياء التي من المرجح أن تزعجك في تلك الساعة. ثم انطبع بعمق في قلبك العلاجات التي سأقترح استخدامها عندما يكون الوضع في متناول اليد. فالضربة التي يمكن توجيهها مرة واحدة يجب التدرب عليها جيداً، لأن الخطأ الأخير يعني أبدية الندم والبؤس.

في غزوات العدو الأربعة عند ساعة الموت. الاعتداء الأول على الإيمان وكيفية مقاومته.

هناك أربع هجمات رئيسية من المرجح أن يلجأ إليها العدو عندما نكون على عتبة الموت. إنها تجارب ضد الإيمان واليأس، وأفكار المجد الباطل، وأخيراً، أوهام مختلفة يستخدمها أبناء الظلمة، المتنكرين في زي ملائكة نور.

أما الهجوم الأول فاعتمد بالأحرى على الإرادة لا على الفهم، قائلاً: "اذهب عني يا شيطان يا أبا الكذب، لأني لا أسمعك حتى، يكفيني أن أؤمن كما تؤمن الكنيسة الكاثوليكية المقدسة".

وبالمثل، كن متيقظًا ضد أي أفكار قد تبدو وكأنها تساعد على تقوية إيمانك؛ ارفضها على الفور باعتبارها اقتراحات من الشيطان، الذي يسعى يائسًا إلى استدراجك إلى النزاع. ومع ذلك، إذا وجدت أنه من المستحيل تحويل أفكارك بحزم عن مثل هذه الأمور، على الأقل كن مصراً في رفضك الاستماع إلى الاقتباسات من الكتاب المقدس التي قد يقدمها الخصم بسهولة؛ لأنه على الرغم من أنها واضحة ودقيقة ظاهريًا، إلا أنها دائمًا ما تكون مشوهة، أو يساء تفسيرها، أو تطبق بشكل غير صحيح.

إذا سأل الشرير في هذا الوقت عما تؤمن به الكنيسة، فتجاهله؛ ولكن عندما ترى أن هدفه هو مفاجأتك أو إيقاعك في شرك الكلمات، فاكتفِ بعمل إيمان عام. إذا كنت ترغب في المزيد من إماتته، أجب بأن الكنيسة تؤمن بالحقيقة؛ وإذا أراد أن يعرف ما هو الحق، فأخبره أن هذا هو ما تؤمن به الكنيسة وتعلمه.

وقبل كل شيء، ثبت قلبك على يسوع المصلوب قائلاً:
"إلهي، خالقي وفادي، أسرع إلى معونتي، وأقم معي لئلا أضل عن الحق الذي علمتني.
إمنحني أنه كما ولدت في الإيمان، كذلك أموت في الإيمان لمجدك وخلاصي!"

في غزوات العدو الأربعة عند ساعة الموت. الهجوم الثاني لليأس وعلاجه.

الهجوم الثاني الذي يحاول به الفاسد تدميرنا هو الرعب الذي سيبثه في أذهاننا عندما نتذكر خطايانا الماضية، على أمل أن يدفعنا بذلك إلى اليأس.

في هذا الخطر، تمسك بالقاعدة المعصومة من أن تذكر خطاياك هو نتيجة النعمة، ويكون مفيداً للغاية إذا كان يلهم قلبك مشاعر التواضع والندم والثقة في رحمة الله. ولكن إذا كان مثل هذا التذكر يخلق الانزعاج واليأس، ويتركك بلا روح من القوة الواضحة للأسباب المقدمة لإقناعك بأنك ضائع إلى الأبد، فتأكد أن هذا قد اقترحه الشيطان. في مثل هذه الظروف، تواضع أكثر، وكن لديك ثقة أكبر بالله؛ وبذلك تبطل حيل إبليس، وتوجه أسلحته ضده، وتعطي مجداً أعظم لله.

صحيح أنه يجب عليك أن تكون نادمًا حقًا لأنك أساءت إلى هذا الخير السيادي، كلما تذكرت إهاناتك السابقة؛
ولكن كلما طلبت المغفرة، يجب أن تكون لديك ثقة راسخة في رحمة يسوع المسيح اللامتناهية.
سأذهب إلى أبعد من ذلك وأقول إنه على الرغم من أن الله نفسه يبدو أنه يقول في قلبك أنك لست واحداً من قطيعه، فلا تزال تضع ثقتك فيه؛ بل قل له بكل تواضع: "لديك سبب وجيه حقًا، يا رب، لإدانتي على خطاياي، ولكن لدي سبب أقوى في رحمتك لأرجو المغفرة. إذاً، ارحم يا رب، على خاطئ متواضع أدين بخطيئته، ولكن تم فديته بدمك. إنني أسلم نفسي بالكامل إلى يديك، أيها الفادي، وكل رجائي عليك، واثقًا أنك برحمتك اللامتناهية، ستخلصني لمجد الرب". اسمك افعل بي ما شئت، لأنك أنت ربي وحدك، رغم أنك تهلكني، فسوف أثق بك دائمًا |.

في غزوات العدو الأربعة عند ساعة الموت. الهجوم الثالث من إغراء Vainglory

أما الهجوم الثالث فهو الغرور والظن. لا تخف من أي شيء بقدر ما تخاف من الخضوع لرأي سامٍ في شخصك أو في أعمالك الصالحة. لا تمجد إلا في الرب، واعترف أن كل ما أنت عليه أو تأمل أن تكون عليه، يُنسب إلى استحقاقات حياة يسوع المسيح وموته. حتى مساء الحياة، لا تسمع شيئًا داخل قلبك سوى الامتناع عن عدم وجودك. دع تواضعك يتعمق بينما تتلاشى محبة الذات، واشكر الله بلا انقطاع، خالق كل عظمتك. قف دائمًا في خوف مقدس وحذر، واعترف ببساطة أن كل مساعيك باطلة، ما لم يكللها الله، الذي فيه كل رجاءك، بالنجاح.

إذا اتبعت هذه النصيحة، فلن يقوى عليك عدوك أبدًا؛ سينفتح أمامك طريقك، فتعبر بفرح إلى أورشليم السماوية.

في غزوات العدو الأربعة عند ساعة الموت. الهجوم الرابع للأوهام المختلفة التي يستخدمها الشيطان ساعة الموت

إذا هاجمنا مقدمنا المثابر، الذي لا يكف عن اضطهادنا، متنكراً في هيئة ملاك نور، فاثبت وثبت حتى وإن كنت مدركًا عدمك، وقل له بجرأة: "ارجع أيها البائس إلى عوالم الظلمة، لأني غير مستحق للرؤى، ولست بحاجة إلى أي شيء سوى رحمة مخلصي وصلوات مريم ويوسف وجميع القديسين". وعلى الرغم من أن هذه الرؤى تبدو أنها تحمل العديد من الأدلة على ولادتك في السماء، فلا تزال ترفضها بقدر ما تستطيع القيام بذلك. ولا تخف من أن هذه المقاومة، المبنية على استحقاقك الشخصي، ستكون غير مرضية أمام الله. لأنه إن كانت الرؤيا منه فهو قادر على أن يعرّفك بها ولن يصيبك أي ضرر. فإن الذي يعطي النعمة للمتواضعين لا ينزعها بسبب الأعمال التي تنبع من التواضع.

هذه إذن هي الأسلحة التي يستخدمها العدو ضدنا في أغلب الأحيان في ساعة موتنا. كل فرد يُجرب وفقًا للميل الخاص الذي يخضع له أكثر من غيره. ولذلك، قبل ساعة الصفر من الصراع الكبير، ينبغي لنا أن نتسلح بشكل آمن، ونكافح بكل قوة ضد أهوائنا العنيفة، ليكون النصر أسهل في تلك الساعة التي لا تترك وقتاً مستقبلياً للاستعداد أو المقاومة.

دراسة عن سلام النفس والسعادة الداخلية للنفس التي تموت عن ذاتها لكي تحيا من أجل الله

الفصل

طبيعة قلب الإنسان وكيفية إدارته

لقد خلق الله قلب الإنسان ليس لهدف سوى أن يحبه وأن يحبه. ويجب أن يقنعنا سمو هذا التصميم الإلهي بأنه أنبل أعمال يده القادرة على كل شيء.

فواجبنا الأول إذن هو أن نوجه هذا القلب إلى وضع محبته في الأمور الصحيحة، حتى تنبع الأعمال الخارجية من استعدادات القلب الداخلية. لأنه على الرغم من أن التوبة الجسدية وتأديبات الجسد المختلفة تستحق الثناء عندما تمارس باعتدال حكيم، إلا أنه بهذه الوسيلة وحدها بدلاً من اكتساب فضيلة واحدة، من المحتمل أن تكتسب الغرور والغرور. كل العوامل الخارجية سوف تكون غير فعالة ما لم يتم تنشيطها وتخللها استعدادات داخلية جديرة بالاحترام.

إن حياة الإنسان ليست سوى حرب وإغراءات مستمرة؛ ولأنها حرب، يجب أن تراقب قلبك بعناية شديدة حتى يكون في سلام دائمًا. إذا كانت أي حركات تشير إلى اضطرابات حسية، احرص على تهدئة العواصف داخل قلبك على الفور، ولا تسمح أبدًا بالسعي وراء الملذات الباطلة والوهمية.

توخ الحذر ليس فقط في وقت الصلاة، بل في كل مرة تهاجمك فيها أفكار مزعجة، فالصلاة ستتلى بلا مبالاة حتى تعرف النفس السلام.
لكن لاحظ أن كل هذا يجب أن يتم بوداعة معينة وسهولة دون عناء، حيث أن الجهد الرئيسي في حياتنا يجب أن يكون تهدئة قلوبنا، وتوجيه تلك القلوب الحكيمة لئلا تضل.

الفصل ل

الحرص الذي يجب أن تمارسه النفس في الحصول على السكينة الكاملة

إن الاهتمام اللطيف الهادئ المستمر بمشاعر القلب سيأتي بنتائج رائعة؛ لأننا لن نصلي ونتصرف بسهولة وسلام كبيرين فحسب، بل سنعاني أيضًا دون أن نأسف على العناصر المزعجة للازدراء والإساءات نفسها.

ومع ذلك، فمن الضروري أن نتحمل الكثير من الكدح قبل أن نكتسب هذا الصفاء، لأن قلة خبرتنا تعرضنا حتماً لهجمات الأعداء الأقوياء. ولكن بمجرد اكتساب هذا السلام، فإنه سيجلب عزاء لا يوصف لأرواحنا في كفاحها ضد العناصر المزعجة في العالم، وسنتقن يوميًا فن تهدئة اضطراب الروح.

إذا كنت في بعض الأحيان في حالة من الارتباك الذهني بحيث تبدو غير قادر تمامًا على تهدئة نفسك، فالجأ فوراً إلى الصلاة.
وثابروا عليه متمثلين بالمسيح ربنا الذي صلى ثلاث مرات في البستان ليُظهر للبشر أنه فقط في الحديث مع الله يمكن للنفوس الحزينة أن تجد ملجأ وملجأ.

دعونا نصلي بلا انقطاع لكي تحل الراحة محل الفوضى في قلوبنا، ولكي يعيد الخضوع المتواضع لإرادة الله نفوسنا إلى هدوءها السابق.

دعونا لا ننزعج من العجلة التي لا نهاية لها والتي لا معنى لها في عالم الأعمال؛ عندما نكون في العمل، دعونا نهتم بشؤون العمل برباطة جأش وسهولة، ممتنعين عن الامتثال الصارم لجدول زمني صارم وقاس، وشغف كبير للغاية لرؤية عملنا يتم إنجازه.

إن نيتنا الأساسية، وهي الوعي المستمر بحضور الله المقدس، والرغبة التي لا تتغير في إرضائه، يجب أن تسود على كل أفعالنا. وإذا سمحنا لأي اعتبار آخر بالتدخل، فسرعان ما ستمتلئ نفوسنا بالخوف والقلق: وكثيراً ما نسقط، وستقنعنا صعوبة التعافي بأن شرورنا تنبع دائمًا من التصرف وفقًا لإرادتنا وميولنا. إذا نجحنا في مثل هذه المناسبات، فإننا ننتفخ بالرضا الباطل؛ وإذا خاب أملنا، يغمرنا القلق والانزعاج.

الفصل الأول

ضرورة بناء هذا المسكن السلمي بالتدريج

انزع من عقلك كل ما يميل إلى إحباطك وإرباكك، وحاول دائمًا بوداعة كبيرة لاكتساب صفاء الروح أو الحفاظ عليه. لأن المسيح نفسه قال: "طوبى لصانعي السلام.. تعلموا مني فإني وديع ومتواضع القلب". لا تشك أبدًا أن الله سيكلل عملك ويجعل روحك مسكن البهجة؛ كل ما يطلبه منك هو المحاولة الصادقة لتبديد الغيوم والعواصف كلما تعرضت لاضطرابات الحواس والأهواء، لتشرق شمس السلام على كل أعمالك.

كما لا يمكن بناء بيت في يوم واحد، كذلك لا يمكن بناء قصر السلام الداخلي في نفوسنا في لحظة عابرة. بل نجاحنا هو تحقيق تدريجي؛ إنها ذروة العمل الأساسي للمهندس الإلهي في تهيئة نفوسنا للصرح الذي يبنى فيها، والتأسيس الراسخ للتواضع الذي يجب أن يكون أساس ذلك الصرح.

ضرورة التخلي عن العزاء الإنساني في الحصول على السلام الداخلي

إن الطريق الذي يؤدي إلى هذا السلام السماوي يكاد يكون مجهولاً للعالم. لأنه على طول هذا الطريق يتم البحث عن المحن والتجارب بنفس الجشع الذي يظهره العالم في السعي وراء المتعة.
هناك يتم السعي وراء الازدراء والسخرية، وكذلك التكريم والمجد من قبل الطموحين؛ هناك حيث يتم تحمل آلام شديدة للإهمال والإهمال، والتخلي عنهم والتخلي عنهم، كما يحتاج الأقوياء والأغنياء إلى البحث عن أطفال هذا العالم ومداعبتهم وإعجابهم. وهناك الطموح المقدس معروف ومعزى ومفضل من الله وحده.

تتعلم النفس المسيحية، وهي تسير في هذا الطريق، أن تتحدث مع الله وحده وأن تتحصن بقوة بحضوره، حتى أنها مستعدة لتحمل أي شيء من أجله ومن أجل تعزيز مجده.
هناك يتعلم المرء أن المعاناة تحجب الشمس، وأن المعاناة التي يتم تحملها بالطريقة الصحيحة هي كنز مدخر للأبد؛ وهناك يتعلم المرء أيضًا أن المعاناة مع يسوع المسيح هي طموح النفس الوحيد الذي يسعى إلى مجد التشبه به.

هناك يتم تعليم المرء أن حب أنفسنا، واتباع إرادتنا، وإطاعة شهواتنا الحسية، وتدمير أنفسنا هي نفس الشيء. ويتعلم المرء أيضًا أن إرادتنا لا يمكن إشباعها بما يستحق الثناء، إلا إذا أخضعناها بكل بساطة وتواضع القلب لإرادة الله؛ وأن ما يأمرنا به، وليس ما نرغب فيه، يجب أن يكون هو حكم أفعالنا.

كثيراً ما نقوم بأعمال صالحة بدوافع خاطئة، أو بغيرة طائشة، تبدو كحمل بريء، مثل النبي الكذاب، بينما في الحقيقة ذئب مفترس. لكن الروح المتدينة سوف تكتشف الوهم من خلال التأثيرات الناتجة. وعندما يجد نفسه في ورطة وقلق، يقل التواضع ويضطرب رباطة جأشه؛ عندما لا يتمتع بالسلام والهدوء، ويدرك أن كل ما تم تحقيقه مع الكثير من الوقت والجهد قد ضاع، فإن الحقيقة هي في الحقيقة خيال.

قد نقع أحيانًا في طريق السلام الداخلي؛ لكن هذا لا يؤدي إلا إلى زيادة التواضع الذي يساعدنا على التعافي ومراقبة أنفسنا بشكل أكثر صرامة في المستقبل.
ولعل الله يأذن لنا بذلك

نسقط من أجل استئصال بعض الأخطاء السرية، التي تم إخفاؤها بمهارة من خلال حبنا الذاتي المخادع.

في بعض الأحيان، أيضًا، قد تتعرض النفس للتحرش بإغراءات ارتكاب الخطيئة، لكن يجب ألا تنزعج بلا داع لهذا السبب؛ بل يجب على النفس أن تنسحب بهدوء من مثل هذه الإغراءات، وتعيد نفسها إلى هدوءها السابق دون الانغماس في الإفراط في الفرح أو الفرح.

حزن.

باختصار، كل ما يجب علينا فعله هو أن نحافظ على نفوسنا في طهارة وسلام في نظر الله، عالمين بالخبرة أنه يرتب كل شيء من أجل خيرنا النهائي.

الفصل الخامس

ضرورة إبقاء النفس منعزلة ووحيدة حتى تعمل إرادة الله المقدسة فيها

إذا كنا ندرك حقًا القيمة التي لا تقدر بثمن للنفس الخالدة، ذلك الهيكل السامي لله نفسه، فلنحرص على ألا يتطفل عليه أي شيء من العالم. وإذ نضع رجاءنا في الرب، علينا أن ننتظر مجيئه بثقة راسخة، وندرك أنه سيدخل بالتأكيد إلى النفس غير مرتبط بالدنيويات ومستعدًا لاستقباله وحده. وحيدًا، ليس لديه رغبة سوى حضور الله؛

وحده، يحبه وحده؛ وحيدًا، خاليًا من كل إرادة إلا إرادة السماء.

دعونا نتعلم ألا نفعل شيئًا لإرضاء أنفسنا، حتى نستحق في النفس البشرية حضور الإله، الذي يتجاوز فهمه آفاق العقول المخلوقة.

دعونا نتبع بالضبط وصايا أبينا الروحي وأولئك الذين يحكموننا بدلاً من الله، حتى تكون كل معاناة وعمل صالح مقدم لله حكيمة ومخلصة.

ويكفي أن نبقي أنفسنا دائمًا مستعدين ومستعدين لتحمل كل ما يريده وبالطريقة التي يريدها من أجل محبته.

من يتصرف فقط بما يمليه عليه إرادته سيكون أفضل بكثير لو بقي في سلام منتبهًا لما يحدث.

شاء الله أن يؤدي فيه. لذلك، يجب علينا دائمًا أن نتجنب ارتباطات الإرادة التي يجب أن تكون حرة ومتناغمة تمامًا مع الإله.

وبما أنه لا ينبغي لنا أن نتصرف وفقًا لرغباتنا، فلا ينبغي لنا أن نعلق إرادتنا بوعي على أي شيء؛ ولكن إذا أردنا أن نرغب في شيء ما، فليكن بطريقة تجعلنا غير منزعجين كما لو أننا لم نرغب في أي شيء، إذا فشلت رغبتنا في التحقق.

لأن رغباتنا هي قيودنا، والارتباط بها يعني أن نكون عبيدًا. لذا فإن تحرير أنفسنا من الرغبات يعني تحرير أنفسنا من الطغيان.

يطلب الله أن تكون نفوسنا وحيدة وغير مرتبطة حتى يظهر فيهم عجائبه المتعددة، ويمجدهم حتى في هذه الحياة بقوته الإلهية.

أيتها العزلة المقدسة! يا صحراء السعادة! أيها المحبسة المجيدة حيث يمكن للنفس أن تجد إلهها! دعونا لا نركض فقط إلى هذا المكان المرتفع،

ولكن اطلب جناحي الحمامة لكي نطير إليها ونجد هناك راحة مقدسة. دعونا لا نتوقف على جانب الطريق؛ دعونا لا نتوقف في طريق المحادثة التافهة؛ فلنترك الموتى ليدفنوا موتاهم، تاركين أرض الأموات من أجل أرض الأحياء.

الفصل السادس

ضرورة أن تسترشد محبتنا للقريب بالحكمة حتى لا يتزعزع صفاء النفس

لا يسكن الله في نفس لم يلهبها أولاً بمحبته والمحبة للآخرين؛ لأن المسيح نفسه قال أنه جاء ليحرق العالم.

على الرغم من أن محبتنا لله لا حدود لها، إلا أن محبتنا تجاه قريبنا يجب أن تكون لها حدود. لا يمكننا أن نحب إلهنا أكثر من اللازم، ولكن إذا لم يسترشد محبتنا للآخرين بالاعتدال الحكيم، فقد ندمر أنفسنا في سعينا لخلاص الآخرين.

لذلك، دعونا نحب قريبنا بطريقة لا تضر نفوسنا؛ ومن الأفضل تحقيق ذلك من خلال عدم القيام بأي شيء بهدف وحيد هو جعلهم قدوة حسنة، حتى لا نفقد أنفسنا أثناء إنقاذهم. بل يجب أن تتم أعمالنا ببساطة وقداسة عظيمتين، بهدف وحيد هو إرضاء الله في اعتراف متواضع بالقيمة المحدودة لأعمالنا الصالحة لأنفسنا وللآخرين. لا يُنتظر منا أن نكون متحمسين لخلاص الآخرين بقدر ما ندمر سلام نفوسنا.

قد نرغب بشدة في استنارتهم عندما يسر الله أننا نفعل ذلك؛ لكن يجب ألا ننتظر اتصالاً إلهيًا ولا نتخيل عبثًا أنه سيتم الحصول عليه من خلال اهتمامنا المبالغ فيه وحماسنا الطائش.

دعونا نسعى إلى السلام والراحة في العزلة المقدسة، لأن هذه هي إرادة الله التي تربطنا به أكثر؛ ودعنا نبقى متذكرين وغير منزعجين حتى يطلب سيد الكرم خدماتنا.

سوف يلبسنا الله نفسه عندما يجدنا مجردين من كل شيء

الرعاية الدنيوية والرعاية.

عندما ننسى أنفسنا، لن ينسانا الله؛ سوف يسود السلام في قلوبنا، وسوف يمنحنا الحب الإلهي سهولة العمل دون عائق، فضلاً عن الاعتدال والاعتدال في كل ما نقوم به. وهكذا فإن كل عمل في حياتنا يجب أن يتم في راحة سلام أرسلته السماء، حيث يكون حتى الصمت بليغًا؛ والتحرر من الاهتمام الأرضي من أجل تقديم أنفسنا لخدمة السيد يعني التصرف وفقًا لإرادة المسيح. لأن صلاحه الإلهي هو الذي يجب أن يعمل فينا ومعنا، ولا يحتاج إلى المزيد

منا ما يكفي من التواضع لنقدم له نفسًا ليس لها سوى رغبة واحدة، وهذه الرغبة هي أن تتحقق مشيئة الله فينا على أكمل وجه ممكن.

الفصل السادس

ضرورة تجريد نفوسنا بالكامل من إرادتها حتى تتقدم إلى الله

"تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أرويكم... يا جميع العطاش، تعالوا إلى العين". هذه هي كلمات المسيح في الكتب المقدسة؛ فلنتبع هذا الاستدعاء الإلهي، دون اندفاع أو صخب، بسلام ووداعة، ونحيل أنفسنا باحترام وثقة إلى إلهنا المحب القادر على كل شيء.

فلننتظر بهدوء مجيء تلك الروح التي تحمل السلام؛ دعونا، مستسلمين تمامًا ومطيعين لأوامر مشيئته المقدسة، لا نفكر إلا في الوسائل التي يمكن من خلالها أن يكون مرغوبًا ومحبوبًا وممجداً.

فلتقم بهذه الأعمال دون استخدام القوة أو العنف على قلوبنا، لئلا، بالاستخدام غير الحكيم لهذه الأدوات، تصبح نفوسنا غير قادرة على تلك الراحة العذبة، التي هي مجدها على هذه الأرض.

بل لنعود نفوسنا تدريجيًا على عدم التأمل إلا في محبة الله وصلاحه. وليتذكروا دائمًا المن السماوي الذي سيتغذىون به في عذوبة لا توصف، عندما يعتادون على التأمل المتكرر في هذه الحقائق السامية. تجنب ذرف الدموع غير المجدية أو حاول أن تثير داخل نفسك عرضًا عاطفيًا للإخلاص؛ لكن ابق هادئًا في العزلة الداخلية حتى تتحقق مشيئة الله. وعندما يعطيك دموعًا، تكون حلوة وسهلة؛

اقبلهم بوداعة وهدوء، وقبل كل شيء بتواضع. بهذه المؤشرات ستتعرف على المصدر الذي تنبع منه، فتستقبلها كالندى من السماء نفسها.

دعونا لا نفترض أننا نعرف أو نملك أو نرغب في أشياء معينة، لأن حجر الزاوية في الصرح الروحي لا يعتمد على معرفتنا أو ممتلكاتنا أو رغباتنا بأي حال من الأحوال. بل ينبغي أن نبقى في حالة إنكار كامل للذات مثل مريم عند قدمي يسوع، بدلاً من الانشغال بأشياء كثيرة مثل مرثا.

عندما تبحث عن الله على ضوء فهمك البشري، يجب عليك أن تتجنب المفاهيم البشرية البحتة، أو المقارنات التي تحد من عظمته اللامحدودة، أو تقيدها عن غير قصد. لأنه هو

وراء كل مقارنة؛ إنه فوق كل انقسام، وهو موجود في كل مكان، ويحتوي في ذاته على كل الأشياء.

حاول أن تتخيل اتساعًا لا حدود له، ووحدة تؤجل حقًا الفهم البشري، وقوة خلقت وحافظت على كل الأشياء في الكون بأكمله في إنجاز عظيم لا يضاهى. ثم قل بكل تواضع في نفسك: "هوذا إلهك". تأمله وأعجب به بلا انقطاع في كل زمان وفي كل مكان، لأنه كما هو في كل مكان، فهو في نفسك، وبه يفرح كما قال. ومع أن القدير لا يحتاج إلى أدنى حاجة لروحك، إلا أنه يسر أن يجعلها مسكنًا لائقًا لنفسه.

في سعيك الفكري لهذه الحقائق السامية، تأكد من الاحتفاظ بإرادة هادئة وسلمية. لا تجتهد في أن تقتصر على الكثير من الصلوات أو التأملات أو القراءات، ولا تهمل ولا تحد من عباداتك المعتادة. بل دع قلبك يكون حرًا ليتوقف حيث يجد إلهه، دون أن يكون لديه أي شكوك بشأن التمارين غير المكتملة إذا كان مسرورًا أن يعلن نفسه لك في وسطها. لا تتردد في هذا الصدد، لأن غاية إخلاصك هي الاستمتاع بالله، وعندما تتحقق النهاية، لن يكون للوسائل أي أهمية في الوقت الحاضر.

إن الله يقودنا إلى الطريق الذي اختاره، وإذا ألزمنا أنفسنا بالتنفيذ الدقيق للتمارين التي نتخيلها، فإننا نفرض على أنفسنا التزامات خيالية؛ وبعيدا عن العثور عليها

يا الله، نحن في الواقع نهرب منه، ونتظاهر بإرضائه، ولكننا لا نتوافق مع إرادته المقدسة.

إذا كنت ترغب حقًا في التقدم بنجاح على هذا الطريق، وبلوغ النهاية التي يؤدي إليها، فاطلب وارغب في الله وحده؛ وكلما وأينما وجدته، توقف عند هذا الحد، ولا تذهب أبعد من ذلك. بينما يسكن الله معك تتمتع بصحبته بسلام القديسين السماوي.

وعندما يشاء جلالته أن يعتزل، فارجع مرة أخرى إلى طلب إلهك في عبادتك.

هذه النصيحة ذات أهمية قصوى وتستحق اهتمامنا. فكثيرًا ما نرى العديد من رجال الدين يرهقون أنفسهم في أداء واجباتهم المرهقة دون أن يحصلوا على أي مزايا لأنفسهم، أو يجدوا السلام. لأنهم يتخيلون أنهم لم يفعلوا شيئًا إذا تركوا مهمتهم غير مكتملة، معتقدين أن الكمال يتمثل في الالتزام المستمر بأدق التفاصيل.

وصفات بإرادتهم. وهكذا يقضون حياتهم في التعب والكدح كمن يعمل
بلا ثمر على مر السنين؛
إنهم لا يحصلون أبداً على تلك الراحة الحقيقية والسلام الداخلي الذي يسكن فيه الرب حقًا،
لأن النفس المسالمة هي ملاذ يسوع المسيح.

الفصل السادس

وعن إيماننا بالسر المقدس، والطريقة التي بها نقدم أنفسنا لله

يجب أن ينمو إيماننا ومحبتنا في القربان المقدس ويتقوى حتى يصبحا تقريبًا جزءًا من نسيج كياننا.

لا يمكن تنمية مثل هذا الإيمان والمحبة بنجاح بدون إرادة منضبطة، ومستعدة لتحمل كل الآلام والمحن والضعفات والجفاف الروحي من أجل يسوع المسيح. ليس من حقنا أن نطلب منه أن يتغيّر فينا، بل ينبغي لنا أن نطلب بكل تواضع أن نتغير إليه.

لا تسليوه بالخطابات الرنانة أو الكلمات الفارغة.

يجب أن يغمر الإعجاب والابتهاج نفوسنا بحيث يغمر هذه الوظائف عندما يكون حاضرًا. يجب أن يكون فهمنا منغمسًا تمامًا في التأمل البهيج لهذا السر غير المفهوم، ويجب أن تمتلئ قلوبنا بالفرح عند رؤية مثل هذا الجلال الهائل في مثل هذه المظاهر البسيطة. ولا نرغب في إظهار ألوهيته أكثر، متذكرين كلماته التي لا تموت: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا".

قبل كل شيء، دعونا نكون ثابتين ودقيقين في عباداتنا، ونمارس بلا انقطاع تلك الوسائل التي تساعد على تطهير نفوسنا وتزيينها ببساطة سلمية ولطيفة. وبينما نتبع هذه الأساليب، فإن نعمة المثابرة لن تنقصنا أبدًا.

إن النفس التي عرفت ذات مرة متعة السلام الروحي التي لا توصف، لا يمكنها أبدًا العودة إلى عجلة الحياة الدنيوية وارتباكها؛ لأنه من المستحيل عليها أن تتحمله في مثل هذه الظروف.

الفصل التاسع

السعادة الحقيقية لا توجد في المتعة أو الراحة، بل في الله وحده

إن النفس التي تتجاهل عمداً خيرات هذا العالم، ولكنها تستمتع بإماتاتها واضطهاداتها، التي لا تحب كل ما يمكنها أن تمنحه ولا تخشى كل ما يمكنها أن تلحقه به، والتي تتجنب الكرامة كما لو كانت عدوى، وتحب الإذلال كشيء محبوب - مثل هذه النفس يمكنها أن تتوقع كل تعزية من الله، بشرط أن تعتمد على قوة الله بدلاً من ضعف الذات.

لقد كانت شجاعة القديس بطرس عظيمة جداً عندما أعلن عزمه على الموت مع المسيح، وكانت إرادته ظاهريًا قوية بما يكفي لتستحق الثناء، لكن في الواقع كان اعتماد بطرس هو اعتماد على إرادته، وكانت هذه مناسبة سقوطه المخزي. ما مدى صحة أننا لا نستطيع أن نقترح أو ننفذ الخير ما لم تدعمنا قوة الله القديرة.

دعونا نطهر أرواحنا من كل الرغبات حتى لا يعوق أي شيء عملياتها في الموقف المحدد. هذا لا يعني أنه يجب على المرء أن يتجاهل الشؤون الزمنية تمامًا، لأنه يجب إدارتها بعناية حكيمة وجديرة بالثناء وفقًا لظروف الفرد. إن مثل هذه الإدارة للشؤون الزمنية تتوافق تمامًا مع الإرادة الإلهية، ولا تتعارض بأي حال من الأحوال مع سلام نفوسنا الداخلي وتقدمنا الروحي.

لا يمكننا أن نفعل شيئًا أفضل لتحقيق توظيف مربح في وقت معين من تقديم النفس، المجردة تمامًا من كل الرغبات، إلى الله القدير، واقفة أمامه بكل تواضع كمذنب بائس، غير قادر على فعل أي شيء لنفسه.

وفي حرية العقل والانفصال عن الذات التي يوجد فيها اعتماد كامل على الله وحده، نجد جوهر الكمال.
ومن المستحيل أن نتصور كيف يحب الله ويبارك أولئك الذين كرسوا أنفسهم له بالكامل دون أنانية. يسره أن ينال الثقة دون تحفظ، ويسر بتنيرهم، وحل صعوباتهم، ومغفرة ذنوب التائبين الحقيقيين، وإقامتهم عند السقوط.

لأن الله يظل كاهنًا إلى الأبد، ورغم أنه قد أعطى للقديس .
بطرس وخلفاؤه قوة الحل والربط، لم يتجرد من تلك القوى. فإذا لم يتمكن التائب من ذلك

يلجؤون إلى معترفيهم كلما رغبوا في ذلك، فإن الجلالة الإلهية تستقبلهم برحمته اللامتناهية، ويغفر لهم خطاياهم عندما يقتربون إليه بثقة حقيقية، وحزن كامل، ومحبة كاملة. هذه هي ثمار هذا الانفصال عن الذات.

- ضرورة عدم الاستسلام للعوائق والاشمئزاز الذي نجده في الحصول على هذا السلام الداخلي

غالبًا ما يسر الله أن يسمح لصفاءنا الداخلي، وهذه العزلة وسلام النفس المقدس، أن تكون مضطربة ومغطاة بالغيوم والعواطف الناشئة عن حبنا لذاتنا وميولنا الطبيعية. ولكن كما
إن صلاحه يسمح بهذه التجارب من أجل خيرنا الأعظم، ولن يفشل في أن يهطل أمطار التعزية الإلهية المنعشة على جفاف الروح هذا، فيغني النفس بثمار وأزهار حبه الذي لا يموت.

إن انقطاعات هدوءنا هذه الناجمة عن انفعالات الشهوات الحساسة هي نفس المعارك التي حقق فيها القديسون انتصارات استحقت لهم تيجانًا خالدة.

عندما تقع في مثل هذا الضعف والاشمئزاز وحزن الروح، قل لله بقلب متواضع ومحب: "يا رب، أنا عمل يديك والعبد الذي فُدي بدمك الثمين؛ اعتبرني بالكامل لك، لقد خلقت لك وحدك، وامنحني أن يكون رجائي الوحيد فيك." ثلاث مرات سعيدة هي النفس التي تقدم نفسها لله في وقت الضيق!

ربما في ظروف معينة تجد نفسك غير قادر على إخضاع إرادتك فوراً للخضوع الكامل لله؛ إذا كان الأمر كذلك، فلا تحزن، لأنه هو الصليب الذي أوصاك السيد أن تحمله وأنت تتبعه. ألم يحمل أولاً صليب الجلجثة ليُظهر لك كيف تحمل صليب ضيقتك الأرضية الصغير؟ تأمل معركته في الجنة عندما صارع طبيعته البشرية، التي جعله ضعفها يصرخ: "يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس". وتذكر النفس التي ارتفعت فوق ضعف الجسد، لتصرخ في تواضع عميق: لتكن لا إرادتي بل إرادتك." ربما يدفعك ضعف الطبيعة البشرية إلى تجنب كل مشكلة أو ضيق، وفي مثل هذه الأوقات قد تظهر كراهيتك مما يدفعك إلى مواصلة المعاناة بعيداً.

ومع ذلك، تأكد من المواظبة على الصلاة وأعمال التواضع حتى لا تجد رغبة أو ميلاً آخر سوى تحقيق مشيئة الله المقدسة في نفسك.

حاول أن تجعل قلبك محفوظًا لله وحده، حتى لا يكون هناك مجال للمرارة أو المرارة أو النفور الطوعي مما يعينه الله. لا تنشغل أبدًا بإخفاقات الآخرين، بل اتبع طريقك الخاص، ولا تهتم إلا بما قد يجرح ضميرك. السر العظيم في الانتماء إلى الله هو إهمال كل ما سواه والتجاوز عنه.

عن حيل الشيطان لتدمير سلام نفوسنا وكيفية مكافحتها

إن عدو البشرية يسعى بشكل رئيسي إلى إخراجنا من حالة التواضع والبساطة المسيحية من خلال الإيحاء لنا بتفوقنا على الآخرين؛ وسرعان ما يتبع ذلك مظهر من مظاهر الموقف الانتقادي، واحترام ازدراء لإخفاقات الآخرين. لكن أعظم وسيلة يستخدمها الشرير ليسرق نفوسنا هي غرورنا ومحبتنا لأنفسنا؛ وفن هزيمته يظل راسخًا في التواضع المقدس دون أن يتخلى عنه أبدًا. إذا لم نحاول تأديب أنفسنا بهذا الشكل، فإننا نسلم أنفسنا للروح الفخورة التي لا ننافسها. وبمجرد أن يمتلك إرادتنا، يلعب دور الطاغية إلى حد الكمال، مدخلاً كل رذيلة في نفوسنا.

لا يكفي أن نشاهد؛ ويجب علينا أيضًا أن نصلي. فقد قيل أنه يجب علينا أن نسهر ونصلي، وراحة البال هي كنز لا يمكن تأمينه إلا إذا تم حراسته بهذه الطريقة.

دعونا لا نسمح لأذهاننا أن تعاني أو تضطرب لأي سبب كان. الروح المتواضعة والمسالمة تفعل كل شيء بمهارة تقفز فوق العقبات بنعمة وسهولة؛ سلوكها مقدس والنفس تثبت فيه. لكن النفس التي تسمح لنفسها بالاضطراب لا تقوم إلا بالقليل من الأعمال الصالحة ذات الأهمية، وتعاني باستمرار ولكن دون أي فائدة.

سوف تعرف ما إذا كانت الأفكار ستتشجع أم ستطرد من خلال الثقة أو الخجل التي تثيرها في الرحمة الإلهية. إذا كانوا يقترحون الزيادة المستمرة في الثقة العاطفية، عليك أن تنظر إليهم كرسل من السماء، يسليونهم ويبتهجون بهم. لكن عليك أن تطرد، كإيحاء من الجحيم نفسه، كل الأفكار التي تجعلك أقل خجلاً من صلاحه اللامتناهي.

غالبًا ما يقوم مجرب النفوس التقية بتضخيم عيوبها، ويقنع المؤمنين بأنهم غير مخلصين لواجباتهم، وغير كاملين في الاعترافات، وفتورين في المناولة، وناقصين في الصلاة. وهكذا، فإنه يبقيهم في قلق دائم، بوازع مختلفة، محاولاً صرف انتباههم عن تمارينهم، كما لو أن الله قد نسيهم أو تركهم. لا شيء يمكن أن يكون أكثر خطأً من تصديق ذلك، لأنه

إن الفوائد الناجمة عن الانحرافات والجفاف الروحي وما شابه ذلك لا تعد ولا تحصى، بشرط أن تفهم النفس وتلتزم بما يتوقعه الله منها في تلك الظروف. ولا يتوقع الله إلا الصبر والمثابرة. فإن صلوات النفس وتمارينها، المحرومة من كل شبع في عملها، هي لذة القدير، كما يقول القديس غريغوريوس.

إن مثل هذه النفس ترضي الله بشكل خاص، إذا استمرت بشجاعة، على الرغم من عدم حساسيتها ولا مبالاتها. لأن صبر مثل هذه النفس هو صلاة في حد ذاتها، تغلب عند الله أكثر من أي صلاة تثقال بحماسة عاطفية كبيرة. ويضيف القديس غريغوريوس أن الظلمة الداخلية التي يحيط بها مثل هذا التكريس تشرق بشكل مشرق في حضرة الله، وأن لا شيء نفعله يمكن أن يجذبنا إليه عاجلاً أو يستحضر منه عطايا نعمة جديدة.

لذلك لا تترك أبداً أي عمل من أعمال التقوى، مهما كنت غير راغب في الدين، إلا إذا تمتثل لرغبات الشيطان. تعلم من الفصل التالي، فوائد لا حصر لها يمكن جنيها من خلال المثابرة المتواضعة في أعمال التقوى، عندما يصاحبها العقم الروحي الأكثر إزعاجًا.

الفصل الحادي عشر

ضرورة المحافظة على اتزان النفس وسط التجارب الداخلية

إن العقم والجفاف الروحي يمنحان النفس فوائد لا حصر لها إذا قبلتها بروح التواضع والصبر. إن التمكن الكامل من هذا السر من شأنه أن يمنع بالفعل العديد من الأيام المضطربة والساعات التعيسة من اضطراب الروح.

كم نحن مخطئون تمامًا عندما نظن أننا قد خذلنا الله تعالى ويمقتنا، وحرمنا من علامات محبته الإلهية الثمينة؛ كم من الخطأ أن نتخيل أنفسنا معاقبين بغضبه، في حين أننا في الواقع ينعم علينا بصلاحه. ألا يمكننا أن نرى أن عدم الارتياح الذي ينشأ من هذا الجفاف الداخلي لا يمكن إلا أن ينبع من الرغبة في أن نكون مقبولين تمامًا لدى الله وغيورين ومتحمسين في خدمته؟ نادرًا ما يحدث مثل هذا الانزعاج في بداية اهتداء الإنسان إلى خدمة الله؛ بل نجده في أولئك الذين كرسوا أنفسهم لبعض الوقت للمعلم، وعقدوا العزم على السير في طرق الكمال.

على العكس من ذلك، نادرًا ما نسمع الخاطئ المتأصل أو الدنيويين يشكون من مثل هذه الإغراءات. لذلك يمكننا أن نؤمن أن هذه التجارب تشكل طعامًا ثمينًا يغذي الله به من يحبهم. على الرغم من أن التجربة عنيفة جدًا لدرجة أنها تبث الرعب في قلوبنا، إلا أننا سنستمد منها بركات لا حصر لها؛ لأن النعمة المشتقة ستكون متناسبة مع شدة محنتنا.

مثل هذا الوضع لا تفهمه النفس دائمًا، وتنكمش عن طريق الصلبان والآلام. هذا يعني ببساطة أن النفس لا ترغب في الحرمان من اللذة والعزاء، وأي إخلاص لا يصاحبه توهج عاطفي، إذا جاز التعبير، يُنظر إليه خطأً على أنه ليس أفضل من العمل الضائع.

الفصل الحادي عشر

يسمح الله بالتجارب من أجل خيرنا النهائي

نحن بطبيعتنا فخورون وطموحون ومهتمون دائمًا بأهواء شهواتنا الحسية. ومن ثم فإننا نميل إلى زيادة وزن أنفسنا باستمرار، وتقدير أنفسنا بما لا يتناسب مع استحقاقنا.
إن مثل هذا الافتراض يشكل عائقًا كبيرًا أمام تقدمنا الروحي، لدرجة أن أدنى تلوث له يعيقنا عن تحقيق الكمال الحقيقي. وهو شر لا نميزه دائما إلا الله

من يحبنا ويعرف الشر الحقيقي للوقاحة، يسهر على إنقاذنا من هذا الخداع، ويوقظنا من سبات حب الذات ويوصلنا إلى معرفة الذات الحقيقية.

ألم ينقذ بطرس الضال مرة واحدة عندما سمح لذلك الرسول أن ينكره وينكر أي معرفة بربه؟ ألم يمنح بطرس معرفة الذات والقوة لكي يتخلى عن غطرسته الخطيرة؟ ألم يتعامل هو أيضًا مع القديس بولس عندما، لكي يحفظه من هذه الرذيلة الخبيثة ويمنعه من الاستخدام غير السليم للإعلانات السامية الموكلة إليه، سمح بتجربة مزعجة لتذكير الرسول باستمرار بضعفه؟

دعونا إذًا نعجب بإحسان الله وحكمته، الذي يعاملنا هكذا لخيرنا، ويفضلنا بشكل غير محسوس، حتى عندما نتخيل أنه يضايقنا.

ربما نميل إلى أن نعزو فتورنا إلى عيوبنا، ولامبالاتنا العاطفية تجاه أمور الله؛ ونحن نقتنع بسهولة أنه لا يوجد أحد مشتتًا أو مهجورًا مثلنا، وأن الله ليس لديه عبيد بائسين مثلنا، وأنه لا يوجد أحد سوى الأشرار تمتلئ عقولهم بأفكار مثل أفكارنا.

وهكذا، فبتأثير هذا الطب السماوي، يتراجع المريض، الذي ينتفخ بالوقاحة، في رأيه إلى مرتبة المسيحي غير المستحق.

هل يمكن أن يحدث مثل هذا التحول لو ترك الإنسان لأجهزته الخاصة؟ فهل ينزل الإنسان عن طيب خاطر من قمم الكبرياء السامية؟ هل كان سيُشفى من كبريائه يومًا ما؟ فهل كانت ستنقشع سحابات الغرور الوهمية من رأسه وقلبه لولا هذا العلاج الإلهي؟

وليس التواضع هو الفائدة الوحيدة التي يمكن الحصول عليها من هذه التجارب والآلام والخراب الداخلي الذي يجعل النفس مرهقة ومتعبة. بائسًا، وحرمانه من كل حلاوة عاطفية في الإخلاص. فإن مثل هذه التجارب تجبرنا على اللجوء إلى الله، والهروب من كل ما لا يرضيه، والاجتهاد أكثر في ممارسة الفضيلة. مثل هذه الآلام هي نوع من المطهر، الذي يحرق الزغل من نفوسنا، ويكسبنا أكاليل المجد عندما نقبلها بالتواضع والصبر.

قد تقرر النفس، المقتنعة بالحقائق المذكورة أعلاه، ما إذا كان ينبغي أن تضطرب أم لا، وتحزن لفقدان طعم العبادة. الخضوع أو الانغماس في الإغراءات الداخلية. وقد يحكم أيضًا ما إذا كان من المعقول أن يُنسب إلى الشيطان ما يأتي من الله، ويخلط بين علامات حنانه وعلامات سخطه.

في مثل هذه المناسبة، كل ما تحتاج إليه النفس هو أن تتواضع أمام الله؛ والمثابرة والصبر على الاشمئزاز الذي تجده في تمارين الإخلاص؛ أن يتوافق مع الإرادة الإلهية، ويحاول أن يحافظ على اتزان النفس من خلال الإذعان المتواضع لأوامره.
لأن هذه هي مشيئة أبينا الذي في السموات.
وبدلاً من أن تقبع في الحزن والاكتئاب، يجب على النفس أن تزدهر في أعمال الشكر، وتثبت نفسها في الخضوع لمواعيد السماء.

الفصل الرابع عشر

أسلوب السلوك الذي يجب أن نعتمده فيما يتعلق بأخطائنا

إذا حدث أن ارتكبت خطأً في القول أو الفعل، أو أفسح المجال للغضب، أو قطعت عباداتك بسبب بعض الفضول الباطل، أو انغمست في فرح أو رعونة مفرطة، أو تراودك أفكار مشبوهة عن جارك، أو استسلمت لأي فشل، فلا تقلق. حتى لو كنت تفشل كثيراً، مستسلمًا لخطأ اتخذت قراراً حازمًا تجاهه، فلا تسمح لمثل هذا الفشل أن يحبطك ويبتليك، معتبراً نفسك غير قادر على التعديل، وغير مبالٍ في إخلاصك. لأن مثل هذه الأفكار المزعجة تعذب النفس وتستهلك الكثير من الوقت الثمين.

ولا ينبغي لك أن تطيل التفكير في الظروف المختلفة لأخطائك، مثل دقة المداولات أو درجة الموافقة؛ لأن مثل هذه الاعتبارات لا تؤدي إلا إلى إرباك عقلك، قبل الاعتراف وبعده، وتملأك بعدم الارتياح.

ولن تنزعج من هذه الهموم لو كنت تعلم جيداً ضعفك الكامن، والسلوك الذي يجب أن تتخذه تجاه الله تعالى بعد ارتكاب مثل هذه الأخطاء. فالقلق وحزن العقل لا يفيدان، بل يؤديان فقط إلى إزعاج الروح وتثبيطها. ومع ذلك، فمن خلال التوجه إليه بتواضع ومودة كبيرين، فإنك تظهر السلوك الصحيح. ويجب الدفاع عن هذا فيما يتعلق بالأخطاء الجسيمة وكذلك الأخطاء، ليس فقط تلك الأخطاء الناجمة عن الكسل والفتور، ولكن حتى تلك الناجمة عن الحقد نفسه.

هذه النقطة لا يفهمها الكثيرون بشكل كافٍ؛ لأنه بدلاً من ممارسة هذا الدرس العظيم المتمثل في الثقة البنوية في صلاح الله ورحمته، تضيع أرواحهم إلى حد أنهم يصبحون غير فعالين في تنفيذ العمل الصالح كما هم في تصوره. وهكذا فإنهم يعيشون حياة بائسة وهابطة، من خلال تفضيل مخيلتهم الضعيفة على العقيدة السليمة التي تقوم عليها خيرهم.

يجب على الروح أن تؤلف نفسها دون ضياع الوقت وتحرز تقدمًا مطرداً

كلما كنت مذنبًا بأي خطأ، كبيراً أو صغيراً، متكرراً أو نادراً، يجب عليك اتباع الإجراء التالي بمجرد علمك بما قمت به. تأمل ضعفك، والجأ إلى الله بكل تواضع، قائلاً له بثقة هادئة ومحبة: "لقد رأيت يا إلهي أنني فعلت ما بوسعي.

لقد رأيت عجزي، وبما أنك منحتني نعمة التوبة، أتوسل إليك أن تضيف إلى عفوي نعمة عدم الإساءة إليك مرة أخرى."

بمجرد الانتهاء من هذه الصلاة، لا تعذب نفسك بأفكار قلقة بشأن غفرانك، ولكن دون مزيد من التحذير من سقوطك، تابع عباداتك بتواضع وسهولة، طالبًا نفس الهدوء وراحة البال كما كان من قبل.

وهذه الطريقة يجب مراعاتها كلما تكرر الخطأ ولو ألف مرة، بنفس القدر من الإخلاص والحماس بعد الخطأ الأخير كما بعد الأول. لأن هذه هي الطريقة التي نعود بها فوراً إلى الله، الذي، مثل الأب الحنون، مستعد لاستقبالنا كلما أتينا إليه.

كما تمنع مثل هذه الممارسة ضياع الوقت في قلق غير مثمر، لا يؤدي إلا إلى تعكير صفو العقل، ويمنعه من استئناف هدوئه وإخلاصه المعتاد.

أتمنى بشدة أن يدرس أولئك الذين يشعرون بالحزن عند ارتكاب الأخطاء هذا السر الروحي جيداً. سوف يفهمون قريبًا مدى اختلاف حالتهم عن العقل المتواضع المبتهج حيث يسود السلام والهدوء. وسرعان ما سيفهمون العقم المطلق وضياع الوقت الناجم عن القلق والقلق.